

مجلة
جامعة دمشق
للآداب
والعلوم الإنسانية والتربوية

مجلة علمية محكمة


إشبيلية
للدراسات والنشر والتوزيع
دمشق - سورية



مجلة

جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد ١٦ ــ العدد الأول ــ ٢٠٠٠



مجلة جامعة دمشق
للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية
المجلد ١٦ ــ العدد الأول ٢٠٠٠

شروط النشر في مجلة جامعة دمشق

للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

تقبل المجلة البحوث العلمية المبتكرة في العلوم الإنسانية والتربوية باللغة العربية أو بإحدى اللغات الحية، على أن تحقق الشروط التالية:

١- أن يكون البحث جديداً ولم ينشر مضمونه من قبل.

٢- يوضع اسم الباحث وصفته العلمية وعنوانه باللغتين العربية والانكليزية تحت عنوان البحث مباشرة.

٣- يكتب على ورقة مستقلة عنوان البحث واسم صاحبه وصفته العلمية مع ملخصين عن البحث أحدهما باللغة العربية والآخر بإحدى اللغتين الانكليزية أو الفرنسية على ألاّ يتجاوز كل منهما /١٥٠/ كلمة.

٤- ترسل ثلاث نسخ من البحوث مطبوعة على وجه واحد من الورق **210 × 297** مم **(A4)** ومنضدة على الحاسوب (وفق القياس والنموذج المنشور في هذا العدد)، ويرفق مع هذه النسخ «الديسك» .

٥ـ يجب ألا يتجاوز عدد صفحات البحث /٣٠/ صفحة بما في تلك الأشكال والرسوم والجداول والصور والمراجع.

٦- توضع قائمة بالمراجع في آخر البحث على ورقة أو أوراق مستقلة وفق الترتيب الألفبائي لأسماء أسر المؤلفين ودون أرقام.

٧- يُتجنب الاختزال مالم يُشر إلى ذلك.

٨- يقدم كل من أشكال البحث مرسوماً بالحبر الأسود على ورقة مستقلة لاتتجاوز أبعادها أبعاد الصفحة النموذجية.

٩- تقدم الصور واضحة على ورق صقيل بأبعاد بطاقة البريد.

١٠- يُضمَّن البحث المقابلات الأجنبية للمصطلحات العربية المستخدمة مرة واحدة عند ورودها لأول مرة.

١١- تخضع البحوث المقدمة للتقويم لبيان مدى صلاحيتها للنشر.

١٢- لاتعاد البحوث إلى أصحابها إذا لم تُقبل للنشر.

١٣- يحصل الباحث (الباحثون) على ثلاث نسخ من العدد الذي ينشر فيه البحث.

١٤- تتم جميع المراسلات باسم:

مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية ـ دمشق ـ الجمهورية العربية السورية

ص.ب: 5735 ـ هاتف: 2215743 ـ فاكس: 2129807

المحتوى

- جدلية المضمون والشكل في الخطاب الإعلامي العربي. — د. فريال مهنا — ٩
- اثر التنوع في عدد البدائل الصحيحة والخاطئة في اختبارات الصواب والخطأ. — د. يوسف سوالمة، د. أحمد قواسمة — ٦١
- النفاق والمنافقون في القرآن الكريم. — د. أميمة بدر الدين — ٨٩
- قضية الوحدة العربية. — د. غازي الصوا، د. خالد سليمان — ١٣٥
- مصادر الضغوط في العمل لدى المعلمين الكويتيين وغير الكويتيين. — د. عويد المشعان — ٢٠٣
- تطور بنوك المعلومات العمرانية في فرنسة. — د. فيصل قماش — ٢٤٣
- مظاهر لغة الترجمة في ترجمات القرآن الكريم. — د. عمر شيخ الشباب — ٢٥٩
- دلالية وبراغماتية وقابلية ترجمة الطرائف في شمال الأردن. — د. عبد الله الشناق — ٢٦١
- رسائل الدكتوراه والماجستير. — ٢٦٥



جدلية المضمون والشكل في الخطاب الإعلامي العربي
بين الموروث ومتطلبات الاتصال الجماهيري الراهنة

د. فريال مهنا
قسم الصحافة ــ كلية الآداب
جامعة دمشق

ملخص

تم استعراض الخطاب الإعلامي العربي عبر التاريخ بدءاً من الجاهلية الأخيرة حيث أدى الشعر والخطابة، كأداتين إعلاميتين، دوراً مؤثراً في تلك الفترة، غير أن تأثير الشعر عرف انحساراً شديداً في عصر النبوة التي أحدثت، عبر القرآن الكريم والسنة، تغييراً كبيراً في الخطاب الإعلامي الذي أصبح يستند إلى الإعلام القرآني وأحاديث الرسول (صلعم) في عملية بناء مجتمع جديد قائم على التوحيد.

وإذا كانت الخطابة قد بقيت أداة إعلامية مهمة في عهد الخلفاء الراشدين، فإن الشعر عاد إلى الشأن العام بقوة في العصر الأموي وشكل بصبغته الدنيوية والسياسية أداة خطاب إعلامي، إلى جانب القصص الإعلامي الذي ظهر كوسيلة إعلامية فعالة لتمكين الحكم الأموي.

مع بقاء الشعر والخطابة والقصص أدوات إعلامية في العصر العباسي، ظهرت وسيلة إعلامية فاعلة أخرى نمت وتطورت لترذف الإعلام العباسي في عصريه، ألا وهي المناظرات.

يشرح البحث منعكسات استمرارية تأثير الشعر والخطابة في الإعلام العربي الحديث والمعاصر، وضعف أو تلاشي تأثير القصص والمناظرات، مما أعطى الخطاب الإعلامي العربي، بالإضافة إلى عوامل سياسية

واقتصادية وثقافية واجتماعية، سمات خاصة على مر العصـــور العربيـــة المختلفة وحتى يومنا هذا.

تميزت السمة الأولى بوجود ضعف في الجانب المعلوماتي، يمكن تحديـــده بمقياس الأنتروبيا من خلال تطبيقه على نماذج تمثيلية للخطاب الإعلامـــي العربي في المجال المعلوماتي (التطبيق على نماذج في ملاحق البحث).

وتميزت أيضا بوجود خلل في العالم الدلالي لهذا الخطاب الذي يقوم علـــى الأحادية والتناغمية المناقضة تماما لطبيعة العالم الدلالي الحقيقي للمنبـــع (المجتمع). ويقدم لنا أومبيرتو إيكو مقياسا بسيطا ودقيقـــا مـــن الممكـــن تطبيقه على نماذج للخطاب الإعلامي العربي من أجل معرفة مواطن الخلـــل واتجاهاته (التطبيق على نماذج في ملاحق البحث).

نتيجة وجود هذين الجانبين الرئيسيين للخلل، عـــرض البحـــث لجوانـــب أخرى متعددة للخلل الناجم، أهمها مونولوجية الخطاب الإعلامـــي العربـــي الراهن واستقصائيته ورفضه للآخر، إضافة إلى صنمية التوكيـــد الناجمـــة عن جملة من المحظورات الثابتة في عالم متحرك ومتغير. وهذا ما يجعـــل الخطاب الإعلامي العربي في مجمله، ما خلا استثناءات قليلة جدا، خطابـــا غير اقتصادي يسهم في تبديد طاقات كبيرة.

ثمة أوجه خلل أخرى في شكل الخطاب الإعلامي العربي ومضمون الشـــكل، تعد نتائج وتداعيات لخلل المضمون، وتسهـــم، فـــي الوقـــت ذاتـــه، فـــي تعميق جوانب الخلل في المضمون.

يبرز البحث ضرورة إسهام المجتمع المدني بجميع فئاته والمجتمع المدنـــي النخبوي بشكل خاص، لإخراج الخطاب الإعلامـــي العربـــي مـــن أدواتـــه القرنية وزجه في معطيات الحضارة الراهنة.

الخطاب الإعلامي عبر التاريخ العربي

في العصر الجاهلي:

كالعديد من الأمم القديمة، استخدم العرب في جاهليتهم الكلمة المنطوقة، فجاء إعلامهم سمعياً على ألسنة الشعراء والخطباء والقصّاص والرواة وقد قدّم لنا الدكتور طه حسين في نظريته الشهيرة حول الأدب الجاهلي[1] قرائن معقولة على أن اللغة العربية الشعرية في العصر الجاهلي الأخير لم تكن ذاتية ومحصورة في نطاق التخاطب الشخصي، ولم تكن بريئة ساذجة، غامضة وجافة تصوّر حياة بداوة بسيطة داخل صحراء مترامية معزولة تماماً عن بقية العالم، وإنما كانت لغة شعرية متطورة تجسّد حياة عقلية ذات شأن ونضوجاً فكرياً مكّن الجاهليين من التواصل بسهولة مع لغة القرآن الكريم التي بلغت الإعجاز، ومن التأثر بالصور والأساليب والصياغة الفريدة التي أنزل بها الله عزّ وجلّ كتابه على نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم، فالقرآن الكريم يكشف لنا عن مجتمع جاهلي معقّد، متشابك، وصل فيه التمايز الاقتصادي والاجتماعي مراحل متقدمة، وظهر فيه التفاوت الثقافي والمعرفي بوضوح بين العامة والخاصة.

كما يكشف لنا عن وجود علاقات اقتصادية واجتماعية جاهلية متبلورة، حيث التجارة والعلاقات التجارية الداخلية والخارجية ناشطة ومزدهرة، حيث السياسة والحلقي السياسية تبرز صراعاً على السلطة ونزاعاً على الحكم وخصومة على توزيع الجاه والنفوذ في الداخل، وخلافاً في الموقف والسلوك على صعيد السياسة الخارجية، إذ يشير القرآن الكريم إلى تواصل جاهلي مع الفرس والرّوم.

---

[1] طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة رابعة، ١٩٨١.

لا يعقل أن يخلو الشعر الجاهلي من أية مظاهر لهذا المجتمع المركب وأن يتجاهل الشعراء الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية الحافلة في العصر الجاهلي المتأخر، لينصرفوا تماماً إلى الوقوف أمام الأطلال ومناجاة الحبيب.

لا بد أن يكون هؤلاء الشعراء الذين عاشوا تلك النهضة العقلية والفنية في الجاهلية المتأخرة قد تناولوا أحداث هذا المجتمع وخاضوا في تفاصيلها وجسّدوا في قصائدهم صوراً متنوعة للحياة الجاهلية متمثّلين عقلية ذلك العصر ومفاهيمه، معبّرين عن مشكلاته وصراعاته وتناقضاته.

وما دام شعراء الجاهلية الأخيرة قد استخدموا لغة عربية بلغت نضجا فكريا وفنيا معيناً، فمن المرجّح أن هذا الشعر السمعي قد تجاوز لغة الاتصال الشخصي إلى لغة الاتصال الجمعي، وأن هذه اللغة امتلكت قدراً كبيراً من الجديّة والرصانة والوضوح والمرونة التي جعلتها قادرة على التعبير عن ظواهر اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية شهدها المجتمع الجاهلي في أطواره الأخيرة.

كل ذلك يرجّح أن اللغة الشعرية مثّلت أداة إعلامية حقيقية في الجاهلية، إذ لم تكن تعبيراً عن الذات فحسب، وإنما كانت أيضا مرآة الجماعة، وأن الشاعر أدى دورا إعلامياً مؤثراً في العصر الجاهلي الأخير، مستعينا بلغة إعلامية غنية، مكتملة معنى وأسلوباً في ظل نهضة عقلية وفنية عرفها العرب قبيل الدعوة.

يقول ابن سلاّم في طبقاته: "كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون.. كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"[٢].

ويقول عمرو ابن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير"[٣].

---

[٢] محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، قراءة، مطبعة المدني ص ٢٤.

أما النثر الجاهلي، فإن للخطابة فيه أهمية خاصة بالنسبة للغة الإعلامية، لأنها تعد شكلاً من أشكال الاتصال الجمعي.

يقول الجاحظ: "وجملة القول إنّا لا نعرف الخطب إلاّ للعرب والفرس. إلاّ أن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة، وعن مشاورة ومعاونة وعن طول التفكر ودراسة الكتب. وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام.. فما أن يصرف همه إلى جملة المذهب والى العمود الذي إليه يقصد، فتأتي المعاني إرسالاً وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً.. وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلّفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر وأقهر، وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم أوجز والكلام عليهم أسهل"[٤].

ويقول عبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي: "وما تكلّمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلّمت به من جيد الموزون"[٥].

ويخيّل لمن يقرأ الجاحظ في البيان والتبيّين أن الجاهليين قاطبة كانوا خطباء، فالأسماء التي أوردها أكثر من أن تحصى.

وإذا كانت صناعة النثر في العصر الجاهلي بدأت، كما يقول الدكتور شوقي ضيف، "بصورة فنية لا تأنّق فيها ولا تعقيد تبعاً لحياة العرب البسيطة التي لم تكن تعتمد على تصعيب الأداء وعلى تنميق"[٦]، وإذا كان هذا النثر "استمر في العصر الإسلامي في الصورة التي رسمها العصر الجاهلي من حيث نسجه وصوغه، وإن اختلفت

[٣] طبقات ابن سلاّم، ص ٢٥.

[٤] الجاحظ، البيان والتبيّين، دار الكتب العلمية، الجزء الثالث، بيروت،ص ١٣.

[٥] الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٨٥١

[٦] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥، ص ٧.

موضوعاته وتشعّبت معانيه"[7]، فإن ذلك من شأنه أن يعمـق القناعـة بـأن الخطابـة الجاهلية أدت، موضوعاً وشكلاً، مهمة إعلامية، لأن الإعلام ليس معنيـاً بـالجوانب الجمالية والزخرفية التي تدخل في نطاق الأدب، وإنما يعنى بمضمـون هـذا النـثر وبمدى تمثله للشأن العام. يمكن القول، إذن، إن اللغة الخطابيـة الجاهليـة أدت دوراً في عملية الاتصال الجمعي في الحقبة الجاهلية المتـأخرة، وأدت، معنـى وأسـلوباً، أغراضاً إعلامية مهمة.

أما سجع الكهان، فهو شكل آخر من أشكال الخطاب الإعلامي الجـاهلي، فقـد كـان هؤلاء الكهان "يتمتعون بنفوذ واسع ولم يكن لهذا النفوذ حدود قبلية، فكثيراً ما يسـيطر الكاهن على مجموعة من القبائل بكهانته، فتصدر عن رأيه، وقد تتخطى شهرته إقليمـه فتقصده العرب من أقاليم نائية"[8].

لم يكن سجع الكهان سوى طقوس وثنية قائمة على الشعوذة لتحقيق أغراض أصحابـها الدنيوية، غير أنها تعدّ صورة من صور الخطاب الإعلامي الجاهلي، إذ كان هـؤلاء الكهان "يعتمدون على الإغراب في ألفاظهم للإيهام والتأثير في نفوس السامعين"[9].

وهكذا، نلاحظ أن الإعلام الجاهلي اتخذ طابعاً شـفهياً بحتـاً معتمـداً لغـة شـعرية ونثرية مسموعة، ناضجة ومتقنة.

في عصر النبوّة والراشدين:

نزل الوحي الإلهي على النبي صلى الله عليه وسلم، وبدأت ثورة جمعت العـرب فـي أمة استطاعت، تحت رايات الإسلام، أن تبني واحدة من أعظم الحضارات الإنسـانية، محدثة تغييرات خطيرة في تاريخ البشرية.

---

[7] المصدر نفسه، ص ٨

[8] المصدر نفسه، ص ٣٨.

[9] المصدر نفسه، ص ٨٣.

لقد جسّد القرآن الكريم الإعجاز الإعلامي بكل معانيه وأشكاله وأحاط بأنواع التعبير الإعلامي كلها، وأتت سنّة النبي صلى الله عليه وسلم، لتردف هذا الإعلام القرآني معطية الطابع الجوهري للخطاب الإعلامي في تلك الفترة.

وكان من المنطقي أن ينحسر الشعر انحساراً لافتاً وأن تشهد الخطابة مزيداً من الازدهار، فالتنزيل المنجّم أثار، على مدى ثلاثة وعشرين عاما، جملة من المسائل والقضايا والشؤون التي تحتاج إلى توضيح وتفسير وشرح وتحليل بلغة نثرية، كما أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أغنى الخطابة ورفع من شأنها وأدخلها في صميم الحياة الإسلامية.

وقد ارتقت اللغة الإعلامية النثرية فكرا وفنا إبان الدعوة، ذلك أن القرآن الكريم وحد اللهجات العربية وأغنى اللغة القرشية معنى ولفظا وأسلوبا، محققا للغة الإعلامية نهضة فكرية وفنية مهمة.

استمرت الخطابة، في صدر الإسلام، لغة إعلامية فعالة، مستمدة مادتها الأساسية من القرآن الكريم والسنة.

وكان النبي صلوات الله عليه، قدوة الخلفاء الراشدين في وصاياهم وخطبهم التي كانت تهدف إلى نشر تعاليم الدين الجديد.

تحدثنا كتب الأدب والتاريخ أن خطب الشيخين رضي الله عنهما، كانت آية في البيان والبلاغة والفصاحة، وأن عثمان، رضي الله عنه، لم يبلغ مبلغ سلفيه، أما علي، كرم الله وجهه، فلم يقل عنهما بلاغة في خطبه.

يمكن القول إن الخطاب الإعلامي الخطابي اتخذ طابعا دينيا وإيمانيا يهدف إلى تثبيت دعائم الإسلام واستكمال بناء المجتمع الإسلامي. في حين بقيت اللغة الشعرية منحصرة في أضيق نطاق.

في العصر الأموي:

شهد الخطاب الإعلامي في العصر الأموي تطورا نوعيا مهما نتيجة ظروف سياسية وعسكرية واجتماعية تميزت بها تلك الحقبة التاريخية.

إن استتباب الأمر للمسلمين وانتشار الدين الجديد في أقاليم وأمصار واسعة، وتفجر صراع خطير على الحكم في الدولة الإسلامية الفتية، تخللته فتن وحروب طاحنة، كل ذلك أعاد للشعر سطوته الإعلامية، إذ سخر كل طرف من الأطراف المتنازعة شعراء العصر لخدمة أغراضه السياسية، وشن حملاته الإعلامية الهادفة إلى إقناع الناس بصلاحيته وأحقيته في حكم المسلمين.

وفي خضم تلك الصراعات الدامية، نجد الخطابة التي ارتفع شأنها إبان الدعوة قد تلونت تلونا زمنيا واضحا وأصبح العنصر الديني فيها مطوعا لتحقيق الأهداف السياسية للفرق المتنازعة.

ويلاحظ أن اللغة الإعلامية الخطابية أخذت تؤدي دورا نفسيا كبيرا في تلك المرحلة المضطربة من حياة المسلمين.

تجدر الإشارة هنا إلى أن عنصرا جديدا دخل مجال الخطاب الإعلامي، ألا وهو القصص الذي "نشأ منذ عمر بن الخطاب، إذ كان هناك قصاص يقصون في المساجد، وآخرون يقصون في مقدمة الجيوش الفاتحة"[١٠].

غير أن هذا القصص عرف ازدهارا غير مسبوق في العصر الأموي وتبدلت أهدافه لذات الأسباب التي أدت إلى تسييس الخطابة وإيقاظ الشعراء. فقد كان "قصاص المسلمين يتحدثون إلى الناس في مساجد الأمصار، فيذكرون لهم قديم العرب والعجم وما يتصل بالنبوات ويمضون معهم في تفسير القرآن والحديث ورواية السيرة

[١٠] طبقات ابن سعد وأسد الغابة، عن الفن ومذاهبه، مصدر سابق، ص ٧٤.

والمغازي والفتوح.. وكان الناس كلفين بهؤلاء القصاص مشغوفين بما يلقون إليهم من حديث.. وما أسرع ما فطن الخلفاء والأمراء لقيمة هذه الأداة الجديدة.. فاصطنعوها وسيطروا عليها.. فالأحزاب السياسية على اختلافها كانت تصطنع القصاص ينشرون لها الدعوة في طبقات الشعب على اختلافها"[١١].

ارتقت اللغة الإعلامية ارتقاء عظيما في العصر الأموي، وإذا كان الخطباء قد عنوا "بإحكام خطابتهم عن طريق البيان التام والحجة البالغة والألفاظ المؤنقة"[١٢] فإن القصاص "ألانوا اللغة العربية وحملوها من الطاقات ما تستطيع به التعبير عن المعاني الدقيقة.. ففتحوا أبوابا لا حصر لها من الجدال في مسائل الدين والعقيدة، وتحولوا بمعانيهم يفرعون فيها ويولدون ويأتون بكل جديد مستطرف وبديع مستحسن"[١٣].

غير أن الأهم من ذلك كله هو أن هؤلاء القصاص والوعاظ الذين كانوا يخاطبون الناس بمختلف طبقاتهم وفئاتهم، استخدموا لغة إعلامية حقيقية بالمعنى المعاصر إذ "هبطوا بأساليبهم قليلا عن مستوى أساليب الخطابة السياسية حتى تفهمهم جميع الطبقات وحتى لا يرتفعوا بكلامهم عن فئات الشعب.. ومع هذا الهبوط لم يخرجوا إلى كلام السوقة بل وازنوا موازنة دقيقة بين كلامهم ومستوى الفصاحة، فأخلوه من الألفاظ الغريبة، وفي الوقت نفسه، لم يسقطوا به إلى ألفاظ مبتذلة، وألجأهم ضيق معانيهم إلى التنويع فيها والتفريع والتوليد، كما ألجأهم إلى ضروب من الترداد والتكرار والترادف"[١٤].

---

[١١] طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ص ١٦٠.

[١٢] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، مصدر سابق، ص ٨٠.

[١٣] المصدر نفسه، ص ٩٢.

[١٤] المصدر نفسه، ص ٩١.

وهكذا فإن الشعر والقصص السياسيين والخطابة ذات الصبغة الدنيوية شكلوا مرتعا غنيا لخطاب إعلامي راق في العصر الأموي.

في العصر العباسي:

أضفى العصر العباسي على الخطاب الإعلامي سمات جديدة نمت وتبلورت في ظل التطور الاجتماعي والثقافي والعلمي الهائل الذي تحقق في تلك الحقبة. لقد احتفظ الشعر بدوره الإعلامي طوال القرن الثاني للهجرة متمثلا ملامح المجتمع العباسي بكل طبقاته وفئاته، إلا أن "أمره ضعف في القرن الثالث.."[15]. ولم يبق له "إلا فنون يمكن أن تستغني عنها الجماعة"[16].

أما النثر " فقد بلغ أشده.."[17] ومصدر ذلك "تلك العلوم الكثيرة التي نشأت في القرن الأول، ثم العلوم الأجنبية التي أدخلت في اللغة العربية"[18].

ولكن أي نثر اضطلع بالإعلام في عصر العباسيين؟

لقد استمرت اللغة الخطابية أداة إعلامية مؤثرة في الحقبة الأولى من ذلك العصر، ولكنها سرعان ما تضاءل شأنها وسارت نحو الأفول عندما استتب الأمر للحكم العباسي.

أما القصص، فقد ظل أداة قيمة للخطاب الإعلامي في العصر العباسي كله.

ولكن الخطاب الإعلامي العباسي دخل مضمارا جديدا أحدث تطورا لا سابقة له في بنياته ووظائفه، وهو مضمار المناظرات الكلامية التي حققت ارتقاء كبيرا في

---

[15] طه حسين، من حديث الشعر والنثر، دار المعارف بمصر، ص ٥٣.

[16] المصدر نفسه، ص ٨٨.

[17] المصدر نفسه، ص ٥٣.

[18] المصدر نفسه، ص ٥٥.

العصر العباسي، والتي مارس الإعلام من خلالها دورا يفوق أي دور قام به في جميع العصور العربية الإسلامية.

ويتحدث الجاحظ مطولا عن متكلمي هذه المناظرات مبينا عمق تأثيرهم في عقول الناس ونفوسهم، ويصفهم قائلا: "فقد مرنوا على الجدال ومكايلة الألفاظ وموازنة المعاني وعرضها بخفيات حدودها ودقائقها، والحوار فيها والجدال ومحاولة إقناع الخصوم وإسكاتهم، وبلغوا من ذلك كل مبلغ"[١٩].

والحقيقة أن المناظرات الكلامية في العصر العباسي شكلت ظاهرة إعلامية فريدة في المناخ الحواري والجدالي الذي أوجدته، وفي أجواء التنور العقلي والتحرر الفكري التي أشاعتها، وفي الموضوعات شديدة التنوع والمتشعبة التي طرحتها وعبرت عنها بلغة راقية وغير معقدة، وفي التفاعل العميق الذي حققته بين أقطاب هذه المناظرات بمختلف اتجاهاتهم الفكرية والاجتماعية، وبين العامة بجميع فئاتها.

من العسير الادعاء بأن الكتاب العباسي حقق عملية اتصال جمعي، إذ بقي في نطاق الخاصة ولم يجر تداوله لأسباب ثقافية وتقنية، على صعيد السواد. ولكن هذا الكتاب أدى دورا مهما في رفد الإعلام السمعي وتغذية قنواته لأن رجال إعلام ذلك العصر، الذين كانوا ينتمون إلى الخاصة المثقفة، استمدوا موضوعاتهم، وخاصة في مجال المناظرات، من تلك الكنوز المدونة التي كانوا يطلعون عليها ويسهمون في إغنائها ويتجادلون حولها، ويخرج كل منهم بقناعات معينة يطرحها على الناس بلغة مبسطة سهلة وقابلة للفهم في أوساط العامة.

[١٩] حيوان الجاحظ عن الفن ومذاهبه، ص ١٣٠.

في العصور العربية الإسلامية المتتالية:

يلاحظ أن العصور العربية التي أعقبت العصرين العباسيين قد أحدثت تغيرات ملموسة في طبيعة الخطاب الإعلامي ومضامينه وصيغه، وإن استمرت بعض أشكال تعبيره القديمة لفترات زمنية طويلة.

فقد شهد عصر الإمارات "حركة أدبية وعقلية واسعة"[20] وهو يعد "أحفل العصور العربية بالنشاط الأدبي والعلمي والفلسفي"[21]، غير أن الكتابة الفنية دخلت طورا جديدا حيث " أصبح التصنيع أساسيا.."[22] وكانت موجة التصنيع في القرن الرابع الهجري "حادة حدة شديدة، فلم يسلم منها أحد إلا في القليل الأقل، حتى كتاب التاريخ أنفسهم.."[23]

ويلاحظ "أن هؤلاء الكتاب جميعا من أصحاب مذهب التصنيع والسجع والبديع، أخذت تظهر على أسلات أقلامهم وشيات مذهب آخر هو مذهب التصنع، إذ نراهم يعمدون إلى تعقيد أساليبهم الزخرفية أو إلى اتخاذ فنون جديدة في نثرهم لا تمت إلى التجميل والتصنيع بصلة، وإنما تمت إلى التحذلق والتكلف.. فالمعاني فقدت قيمتها ولم يعد لها أهمية، إنما الأهمية كلها للألفاظ وما تطرز به من وشي وحلي.."[24].

وإذا كانت الأندلس "قد تقدمت في الحركة العقلية في عصر سلطان المغاربة، بعد ذهاب عصر ملوك الطوائف، فإنها لم تتقدم في الحركة الأدبية.. وقد سرت ظاهرة التعبير بالأساليب المحفوظة التي لا تفصح عن فكرة محددة"[25].

---

[20] الفن ومذاهبه، ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩.

[21] الفن ومذاهبه، ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩.

[22] الفن ومذاهبه، ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩.

[23] الفن ومذاهبه، ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩.

[24] الفن ومذاهبه، ص ٢٢٩.

[25] المصدر نفسه، ص ٣٣١.

أما الفاطميون، فقد استمروا في انتهاج مذهب التصنيع، وجنى الأيوبيون "ثمار النهضة الفنية الفاطمية.. إلا أنهم استمروا على نهجهم التصنيعي.. واتجهوا ذات الوجهة من الإطراف بغرائب العبارات"[٢٦].

أما المماليك، فقد "عنوا بالحركة العلمية.. وعنوا بالحركة الأدبية"[٢٧].

"واقرأ في الآثار الكتابية في أثناء العصر العثماني، فستجد هذه الآثار أضعف وأقل من أن تقرن إلى أي عصر من العصور السابقة"[٢٨].

ولا شك في أن الاتجاه الذي سلكته اللغة الأدبية العربية خلال العصور الأخيرة، قد أسهم، إلى جانب عوامل تاريخية وسياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية، في تحديد ملامح خطاب إعلامي عربي أدى احتضانه لبذور التصنع وغرقه في لجة الألفاظ المرصعة الجوفاء والعبارات الغريبة، إلى فقدانه أهم مقوماته الطبيعية وخصائصه الفيزيولوجية المتمثلة في إصابته المعنى وبساطته وسهولة تعبيراته وفعالية تواصله المعرفي والثقافي مع السواد.

وبدخول العرب نفق الاحتلال العثماني، الذي أذن ببداية تأريخ جديد لعصر تراجع فكري وعلمي وثقافي وأدبي ولغوي امتد قرونا طويلة واستمر خلال فترات الاحتلال الغربي للوطن العربي، وجد الخطاب الإعلامي العربي نفسه حاملا لذلك الموروث، في زمن أخذت تتقلص فيه العلاقات الاتصالية الأولية وتتعاظم أهمية الكتابة، للنهوض بعلاقات اتصالية ثانوية غدت مهيمنة في إطار نشوء وتطور صحافة جماهيرية، تبدلت من خلالها أشكال الاتصال الجمعي والأدوات اللغوية وطرائق التعبير وفنون الصياغة لتلبي متطلبات الحقبة المعاصرة.

---

[٢٦] المصدر نفسه، ص ٣٦٧.

[٢٧] المصدر نفسه، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

[٢٨] المصدر نفسه، ص ٣٧٨.

الخطاب الإعلامي العربي المعاصر[٢٩]

الخلفية التاريخية:

عندما دخلت الأقطار العربية مرحلة الاستقلال تباعاً بعد احتلالات استمرت قروناً عديدة، وجدت المجتمعات العربية نفسها خارج قطار الحضارة التي كانت قد استقلته أمم أخرى، ووجد العرب أنفسهم حاملين أثقال موروث الحقبات الأخيرة، شبه منقطعين عن تلك البعيدة، غير مدركين بعد عواقب إجهاضات متكررة لخفقات نهضوية فكرية وسياسية وثقافية متفرقة تلاشت مع الزمن، وإن تركت بعض الأثر في مجالات قليلة وبقع محدودة جداً من الوطن العربي.

ومنذ اعتلاء القوى الوطنية سدة الحكم، حرصت الأغلبية الساحقة من الدول العربية، بما فيها تلك التي اختارت طريق التطور الرأسمالي، على عدم خوض تجربة الإعلام الليبرالي، وازداد هذا الحرص، فيما بعد، لدى انتشار الإعلام المسموع والتلفزيوني وما ترتب على ذلك من تبدلات في بنيات الاتصال الجماهيري ووظائفه.

وتبنّت تلك الأقطار نموذج إعلام الدولة[٣٠]، منطلقة من قناعة معلنة بأن هذا النموذج يشكل حتمية تفرضها مرحلة التطوُّر الاجتماعي والاقتصادي والظروف السياسية

---

[٢٩] ليس ثمّة فروق جوهرية في الخطاب الإعلامي العربي الرسمي، المطبوع أو المسموع أو المتلفز، لأن النظام الإعلامي العربي برمّته (باستثناء لبنان) واتجاهات تطوّره وعلاقته بالنظام السياسي والمنظومة الفكرية الرسمية، كل ذلك، فرض خطاباً إعلامياً متجانساً وسائدا في جميع وسائل الاتصال الجماهيري يسمح بتعميم سماته وطبيعة بنياته من حيث المحتوى والشكل ومحتوى الشكل.

[٣٠] تحتكر الدولة في البلدان العربية، باستثناء لبنان (وقطر مؤخراً، ولكن بصورة غير معمّمة وغير مقوننة)، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، أما بالنسبة للإعلام المطبوع، فقد سمحت دول عربية للقطاع الخاص بالاستثمار فيه، تاركة هوامش حرية تضيق وتتّسع ـ حسب شروط وظروف قطرية موضوعية وذاتية غير مستقرّة وغير ملحوظة في القانون المدوّن - ولكن محتفظة بهيمنة قانونية

والقومية والاستراتيجية الناجمة عن واقع التجزئة والاستعمار الاستيطاني لجزء من الأرض العربية. وهذا ما أدى بالفعل إلى إبعاد الأفراد والجماعات عن الإعلام وانفراد الدولة بالمسؤولية الإعلامية جميعاً لأن الشأن الإعلامي يقع في مجال عمل المجتمع ولا يجوز تركه نهباً للمبادرة الخاصة كغيره من الأنشطة، إذ إن المرحلة التاريخية غير العادية تتطلب إعلاماً مجتمعياً غير عادي ينخرط في عمليات التنمية ويسهم في تحقيق طموحات الأمة.

الواقع أن هذه القناعة تولّدت أيضاً لدى معظم الدول الرأسمالية المتطورة التي كانت حققت تطلعاتها القومية وانهمكت في بناء حضارتها الصناعية وبعد الصناعية، والتي كانت أطلقت يد المبادرة الخاصة في الصحافة المطبوعة تطبيقاً للمفاهيم الليبرالية واطمئناناً إلى نوعية جمهور المطبوع ومستويات وعيه. فقد عمدت تلك الدول إلى حصر الإعلام المسموع والتلفزيوني في نطاق الدولة عقوداً عديدة إدراكاً منها للتغيّرات الجوهرية التي طرأت على تركيبة الجمهور الإعلامي وخضوعاً لضغوطات قطاعات واسعة في المجتمع المدني، رأت في الإذاعة وفي التلفزيون خاصة تهديداً للتماسك الاجتماعي والقيم الأخلاقية السائدة.

ثم بدأت هذه الدول في النصف الثاني من السبعينيات تفتح الأبواب تدريجياً أمام القطاع الخاص وقيّدته بسلسلة من التشريعات والقوانين والإجراءات الإدارية والرقابية، بعد أن قطع إعلام الدولة أشواطاً وتعاظمت قدرته وتهيأت بنياته لخوض التنافس بكفاية، وبعد أن ولّت مرحلة الانبهار الأولى بالوسائل الإلكترونية وتطوراتها، وأخذت تنمو في أوساط الجمهور العريض القدرة التحليلية والروح النقدية تجاه المنتج المسموع والمتلفز.

ورقابية فعلية عليه، مما يجعله تابعاً وخاضعاً، بصورة جوهرية، لمقوّمات الخطاب الإعلامي الرسمي السائد.

ولكن في حين مارست تلك الدول الغربية المتقدمة إعـــلام الدولـــة بمختلــف أبعـــاده وجوانبه، تخلّت الدول العربية عنه محوّلة الإعلام الوطني إلى إعلام فئوي يتعذّر عليه تحقيق النهوض لردم الهوّة الحضارية.

إعلام الدولة وإعلام السلطة:

ومن أجل أن نتعرّف على أبعاد هذا التحوّل، نتساءل:

ما هو إعلام الدولة؟

إعلام الدولة هو إعلام المجتمع بكل فئاته وتياراته السياســية والاقتصاديــة والثقافيــة والفكرية والقيمية، وإعلام الدولة هو المعبّر عن وقائع المجتمع بتفاعلاته وإشــكالياته، بإنجازاته وإخفاقاته، بتناغميته وتناقضاته، وإعلام الدولـــة هــو المحتضـــن للحركـــة المجتمعية والمجسّد لطبيعتها والمشارك في تحديد اتجاهاتها.

من الواضح أن الإعلام الوطني في أغلبية البلدان العربية لا يحمل هـــذه الخصـــائص ولا يتمتع بهذه الصفات، ذلك لأن آليات تشكّل النظام السياسي والاجتماعي العربـــي، والمسوّغات التاريخية والفكرية والحقوقية التي استخدمت لضمان اســتمراريته، عـــبر عقود الاستقلال، وفي مراحل انتشار الإعلام الإلكـــتروني خاصـــة، ولأن الظـــروف العربية والإقليمية والدولية التي صنعت النكبة ثم النكسة وما نجم عنهما مـــن احتـــلال وصراعات عربية عربية بلغت حد الدموية، وحروب أهلية وإخفاقات قومية، كل ذلـــك متضافراً ومتفاعلاً، قدّم الذرائع الكافية لكي يتمكن أحد أطراف الدولـــة، أي الســـلطة، من استقطاب الإعلام الجماهيري برمّته، وتعميق هذا الاستقطاب، عقـــدا بعـــد عقـــد، "لمواجهة معطيات المرحلة الحرجة"، حتى فقد إعلام الدولة أهم مقوّماته وتحول إلـــى إعلام الطرف الوحيد في معظم الحالات، وجـــرى توظيفـــه للحفـــاظ علـــى الحالـــة القائمة (Statu Que) "ريثما يتم حل المعضلات القومية والإقليمية".

أين موقع الخطاب الإعلامي العربي في إطار استتباب هـذه العلاقـة بيـن السـلطة والإعلام والمجتمع الكلي[٣١]؟

الواقع أن السلطة الوطنية وجدت في الخطاب الإعلامي العربي أداة ملائمـة لتسـويغ الاستقطاب وتمريره. فهذا الخطاب كان قد خرج من أحشاء خطاب أدبـي انحطـاطي ممتد، وحال الاستعمار القرني، ثم الإحباط النـهضوي دون انفتاحـه علـى تيـارات التفكير والتعبير الإعلامي المعاصر، فأصبح إحدى أهم النقاط الاستنادية فـي إنجـاز عملية الاستيلاء السلطوي الذي دفعها بدوره، في مراحـل لاحقـة، نحـو اسـتكمال عناصر تأقلمه الكامل مع متطلبات إعلام احتكره الطرف الأقوى في المجتمع.

[٣١] يقوم هذا البحث على تحليل الخطاب الإعلامي العربي الرسمي من خلال تموضعه ضمـن إطـار سياقات تاريخية ومجتمعية كلية، معتمدا أدوات تحليـل جديـدة لـم يسـبق للبحـوث الإعلاميـة أن استخدمتها، وهي أدوات دقيقة وبسيطة تسمح بتشخيص الخطاب، متجاوزة أدوات تحليـل المضمـون التقليدية، وذلك لأن الخطاب الإعلامي العربي بطبيعته وتركيبتـه، موضوعـا و مضمونـا وشـكلا، لا يحمل سمات الخطاب الإعلامي الاعتيادي المتعارف عليه بالمقاييس العالمية، والذي يمكن أن يفـهم ويقوم بمجرد خضوعه لقواعد تحليل المضمون، فهذا الخطاب الإعلامي العربي يحتوي ألفاظا وكلمات وصفات ونعوتا وأساليب لغوية وأنماطا تعبيرية يتم استخدامها بحكم العادة، أي بصورة روتينية غـير تعيينية وغير قصدية وغير مدركة في معظم الأحيان، مما أدى، بمرور الزمن، إلـى إفراغـها مـن مضامينها ومعانيها الأصلية، ومن ثم فإن تحليل مغزاها وأهداف وخلفيات استخداماتها قد لا يوصـل الباحث إلى استنتاجات واستقراءات واستخلاصات حقيقية.

لا بد من الإشارة، في هذا السياق، إلى أن هذا البحث يقتصر علـى دراسـة النصـوص الإعلاميـة المرتبطة بالتقديم المباشر للمعلومات (التقارير والبرامج الإخبارية) وبالنصوص التعليقية والتفسـيرية والتحليلية للأحداث في جميع المجالات، ولا يتطرق إلى الخطاب الإعلامي في لغـة الدرامـا أوفـي البرامج الترفيهية والمنوعات أو لغة المناظرات والحوار أو اللغة الإعلانية أو التوثيقية التي تحتاج إلى تحاليل مختلفة.

الخطاب الإعلامي العربي موضوعا ومضمونا:

وهكذا، فإن تفاعل جملة من العوامل التاريخية والمعاصرة، أدى، في المحصلة، إلـــى تبلور خطاب إعلامي راهن ذي مضامين وأشكال متفردة، يمكن تناولها بشـــيء مـــن التفصيل، كما يلي:

- إن نظرية الإعلام تسمح بقياس الأنتروبيا (Entropy)[٣٢] أي "بقيـــاس كميـــة المعلومات الواردة في إشارة أو في رســـالة أو فـــي مصـــدر معيـــن. وتعـــرف المعلومة بأنها كاللايقينية التي تصبح يقينية بظهور الإشارة فقط، هـــذه اللايقينيـــة تتناسب عكسيا مع ازدياد احتمالية ظهور هذه الإشارة.. وتزداد الأنتروبيـــا كلمـــا ازداد عدد الاحتمالات وتنخفض كلما كانت الاحتمالات غير متســـاوية، وتصبـــح الأنتروبيا مساوية للصفر عندما يحتوي أحد الإمكانات احتمالا مساويا لـــ (١/١) أي عندما يصبح الاحتمال أكيدا، إذن، ليست هناك أية عدم يقينية.. إذن، ليســـت هناك أي معلومة "[٣٣].

هذه النظرية تعني، ببساطة، أن كمية الأنتروبيا، أي نسبة المعلومـــات الـــواردة فـــي رسالة إعلامية ما تنخفض كلما ازداد احتمال ظهور هذه المعلومات في تلك الرســـالة، أي كلما ازداد يقين المتلقي بورودها.

إذا أردنا تطبيق هذا المقياس على نماذج لا حصر لها من رسائل إعلامية عربيـــة[٣٤]، نجد:

---

[٣٢] عامل رياضي يعد مقياسا للطاقة غير المستفادة في نظام حراري دينامي.

[33] Escarpit Robert, L'Écrit et La Communication, P. U. F., Paris, 1984, pp.22-24.

[٣٤] تتضمن ملاحق البحث بعض النماذج التمثيلية لنصوص إعلامية في وسائل الإعلام العربية الكـبرى وكيفية تطبيق نظريتي الأنتروبيا وأمبيرتو إيكو عليها.

- أن الأنتروبيا، أي كمية المعلومات تقترب من النسب الاعتيادية الموجودة في رسائل إعلامية لمجتمعات متطورة أو نامية، عندما تكون هذه الرسالة متعلقة بشؤون خارجية لا تماس للجمهور الإعلامي العربي معها.
- تهبط نسبة الأنتروبيا هبوطا لافتا، وخاصة في النص المسموع والمتلفز، عندما ترتبط الرسالة الإعلامية بأحداث وقضايا قومية أو إقليمية.
- تدنو الأنتروبيا من الصفر، أي من اللامعلومة، عندما يتم نشر أو بث رسالة متصلة بوقائع قطرية داخلية.

لا شك أن الأنتروبيا أو حجم المعلومات الواردة في رسالة إعلامية عربية تتفاوت من موضوعات لأخرى ومن وسيلة إعلامية لأخرى ومن مجتمع عربي لآخر، ولكنها تقع، بصورة عامة، ضمن نطاق تلك المقاييس الأنتروبية. كل ذلك يعني أن الخطاب الإعلامي العربي يعاني خللا في حقل حيوي من بنياته، ناجما عن ضعف (Anémie) معلوماتي جوهري، تزداد حدته لدى تناول هذا الخطاب لأحداث وشؤون تقع في أعلى سلم أولويات الجمهور الإعلامي العربي لأنها ترتبط بصميم حياته وصيرورة المحيط الذي يعيش فيه.

- في كتاب له حول السيميائية العامة، يقدم أومبيرتو إيكو[٣٥] نموذجا لنظام حراري مبسط في رسمين بيانيين توضيحيين (الرسمان البيانيان رقم١ و ٢)، يبين فيهما أن استخدام المفردات الدالة الواقعة ضمن لون واحد فقط، وإغفال أو إخفاء أو تجاهل تلك الواقعة ضمن الألوان الأخرى، يجب أن ينظر إليه على أنه أيديولوجيا.

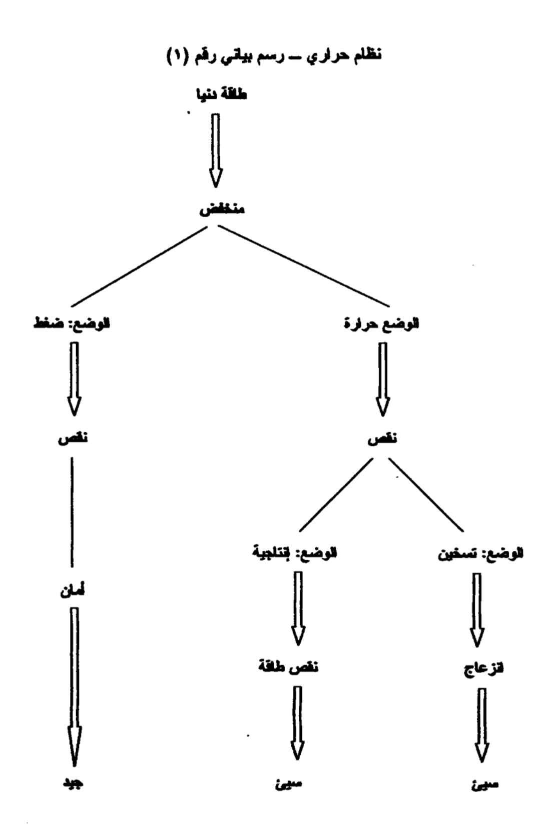
[35] Eco Umberto, A Theory of Semiotics, Indiana University Press, IV Ed. Bompiani, Milano, 1975, PP. 359-371

وانطلاقا من هذا النموذج، يعد إيكو أن مسألة تتطلب طبيعتها إجراء مقارنة بين نوعين من المقدمات (Premises) مختلفين، إلا أنه يجري انتقاء ذلك النوع الذي لا يحتوي خاصيات تناقضية ويتم، بصورة واعية أو غير واعية، إهمال النوع الآخر الذي يعرقل سيرورة المسألة بصورة مستقيمة خالية من التعرج. كل ذلك هو أيديولوجيا.

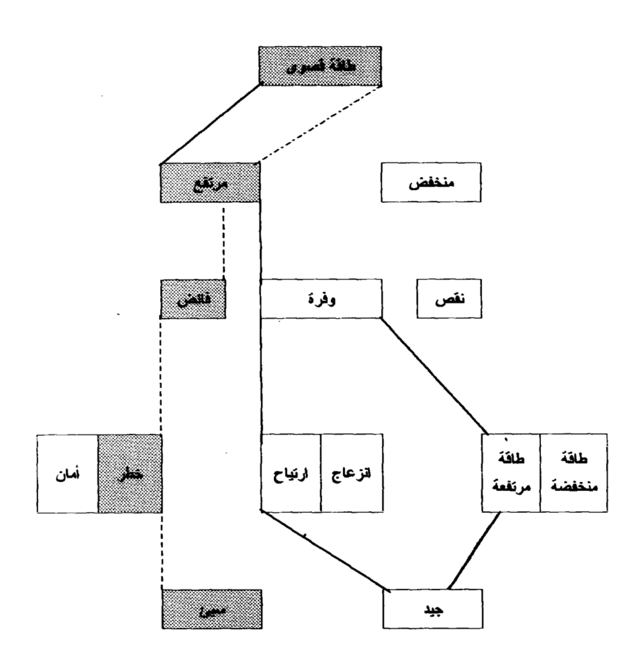
ويعرف إيكو الطرح الأيديولوجي عموما، بأنه كل موضوع يتم عرضه أو تناوله أو تفسيره من خلال اختيار واحدة من الإمكانيات الاصطفائية الظرفية فقط، كمقدمة له، وتجاهل وجود إمكانيات أخرى لمقدمات تناقضية، أو تكميلية ظاهريا من شأنها أن تقود إلى نتائج متعارضة.

ويقول إيكو إن هذا التجاهل هو طمس لتناقضية المساحة الدلالية الآتية من المنبع (Continuum).

نظام حراري ــ رسم بياني رقم (١)



نظام حراري ــ رسم بياني رقم (٢)



ويميز إيكو بين الأيديولوجيا والإقناعية (Persuasion) فيصف الأخيرة بأنها تعرض للقيم الاختلافية (أي تستخدم المفردات الواقعة على خطوط الألوان كافة في الرسمين البيانيين التوضيحيين رقم١ و٢)، وتقرر أسس القيم ذات الأفضلية، ولكنها تمارس عملية الإقناع انطلاقا من أن تلك القيم التفضيلية لا تتحرك في نطاق استبعادية مطلقة كما الأيديولوجيا، بل في نطاق أفضليات تدرجية ونسبية مفتوحة الآفاق.

إذا عمدنا إلى تطبيق نموذج إيكو على نصوص إعلامية عربية راهنة في مجالات متعددة، تبين بوضوح أن النظام اللغوي الإعلامي السائد، في محاولة مستمرة منه لطمس تعددية الاصطفاء، يعمد إلى إحداث استبدالات كودية[٣٦]، من شأنها أن تثبت مفاهيم مفرطة التكويد (Hypercodés) غير قابلة للنقاش، ومن شأنها أن تحيد أي "تشويش" وأن تقضي على أي "انحراف" يحاول اعتراض القانون الذي يحكم العالم الدلالي الخالي من التناقضات الذي يعتمده النظام اللغوي الإعلامي العربي.

بديهي أن هذا النظام اللغوي العربي الذي يشكو فقرا في بنياته المعلوماتية ويعاني خللا في عوالمه الدلالية، ينتج باستمرار، خطابا إعلاميا عربيا ينفرد بخصائص وسمات معينة لعل أهمها يتجلى فيما يلي:

١) انطلاقا من مفهوم عام جرى تداوله في الأدبيات الإعلامية الغربية وغير الغربية خلال نشأة الصحافة الجماهيرية المطبوعة، حول تقسيم هذه الأخيرة إلى صحافة خبرية وصحافة رأي، واكتسب هذا المفهوم صبغة نضالية وعقائدية في الأوساط السياسية والإعلامية العربي إبان النشاط المعادي للاحتلال الأجنبي، حيث اعتبرت صحافة الرأي أحد أهم أركان هذا النشاط، روجت السلطة الوطنية لهذا المفهوم خلال مراحل الاستقلال، مبدلة منطلقاته العقائدية الأصلية، إذ ركزت على جدية صحافة الرأي وصدقيتها ووصمت الصحافة الخبرية باللا الترامية الوطنية، موحية،

[٣٦] يمكن استخدام مصطلح "كود" كما هو وإخضاعه للتصريف: كود ـ كود ـ يكود ـ تكويد ـ مكود.

في الوقتنفسه، بأن تعميم رؤية السلطة وأطروحاتها، دون الأطـــراف الأخـرى فـي المجتمع، عبر احتوائها لإعلام الدولة، من شأنه أن يؤكّد هــذه الالتزاميــة ويعطيــها أبعادها الحقيقية.

وبذات المنطق، جيّرت السلطة هذا المفهوم لتوجد تناقضــاً وهميــاً بيــن الالتزاميــة والمهنيّة الإعلامية بحيث تستبعد إحداهما الأخرى بصورة حتمية، وذلك لكي يتســنّى لها التضحية بالثانية لصالح الأولى، "فالأوضاع الاســتثنائية" التــي تعيشــها البلــدان العربية قومياً وإقليمياً تجعل الإعلام "الالتزامي" يحتل أولوية مطلقة في جميع الأحوال.

الواقع أنه، عبر مختلف الحقبات التاريخية والتشكيلات الاجتماعيـــة، وســواء أكــان الإعلام مملوكاً لمؤسسات أم لجماعات أم لأفراد أم لدول، وسواء أكان يغلــب عليــه الطابع الخبري أم الموقفي أم غير ذلك، لا يمكن أن يتحرك إلاّ فــي حالــة إلتزاميــة، بصورة أو بأخرى، فالإنتمائية هي دوما خاصيّة أساسية من خصائص الإعلام.

حقيقة الأمر أن التناقض الفعلي في الإعــلام العربــي الواقعــي يقــع بيــن أحاديــة الالتزامية وبين الحرفيّة التي تتطلّب ممارستها، قبل كل شيء، تفاعلاً وتقابلاً وتبــادلا ضمن إطار تعدّدية انتمائية للإعلام الجماهيري، تجسّد المجتمع بكل تنوّعــه وتلوّنــه واتجاهاته.

ولا شك أن هذا اللاتعايش الموضوعي بين وحدانية الانتماء وبين المهنيّة ينبثــق مــن تناقض لا خلاف عليه بين الأيديولوجيا والإقناعية في الإعلام العربي الرسمي[٣٧].

لهذا كله، نجد أن الخطاب الإعلامي الذي يمثّل أحــد عنــاصر النظــام الاجتمــاعي والسياسي العربي، لا يمكنه، بتركيبته ووظائفه، أن يفرز لغة انتمائية مؤهّلة للاندمــاج

[٣٧] الأيديولوجيا تطرح وجهة نظر وحيدة وتكرّرها إلى ما لا نهاية، داعية إلى اعتناقها والإيمــان بــها كمسلّمة، أما الإقناعية فهي تطرح وجهات نظر متعددة وتناقشها وتقارن فيما بينها ثم تدعو إلى اعتنــاق إحداها بناء على اقتناع عقلي ناجم عن حوار ومفاضلة.

في محيط تسوده تعدّدية الانتماء، ولا لغة إقناعية بالمعنى الذي طرحه أومبرتو ايكو، وإنما يستطيع أن ينتج فقط لغة إعلامية أيديولوجية.

٢) من المنطقي أن هذه اللغة الأيديولوجية، التي لا تقوى على الحركة إلاّ في إطار عالم دلالي متناغم ومتجانس، تفقد صلتها بالحركة الواقعية للبيئة المحيطة القريبة والبعيدة، لأن تلك الحركة تعيش داخل عالم دلالي يعدّ التناقض إحدى صفاته الأساسية.

ولذلك، نرى أن الخطاب الإعلامي العربي هو خطاب ذاتي، طقسي[٣٨] يحتضن "حقائق مطلقة" ويتجول فيها تفكير مغلق الدوائر يحول دون قيامها بأدوارها الفيزيولوجية كأداة لأحد أطراف العملية الاتصالية أو الإعلامية.

٣) كذلك، فإن هذه اللغة هي لغة مونولوجية[٣٩]، استقصائية[٤٠]، تنفي الآخر وتنبذ تركيبتها، موضوعيا، القيم الحوارية والمفاهيم الاحتمالية، وترفض، بطبيعتها، كل ما يقع في إطار الظرفية والسياقية والنسبية.

٤) قد رأينا أن النظام اللغوي الإعلامي العربي يتصف بصنمية التكويد، وهذا يعني أن الخطاب الإعلامي العربي المفرط التكويد (H ypercodé) هو، في الوقت نفسه، رث التكويد أو بالي التكويد لأن بنياته لا تسمح باستقبال أية صناعة كودية جديدة أوتجديدية قادمة من المنبع (Continuum)، مما يجعلها عصية على الإغناء والارتقاء والتكيف وممتنعة، ومن ثم، عن تقبل الإبداع بأشكاله وصوره كافة.

---

[٣٨] أي تكرار لعبارات وجمل وأنماط تعبيرية ضمن لازمة تشبه الطقوس القبلية البدائية أو النصوص اللاهوتية.

[٣٩] مونولوج كلمة أجنبية (Monologue) معربة وتعني مناجاة المرء نفسه، أو احتكار شخص واحد الكلام في أثناء محادثة، دون السماح للآخر بتحويل هذه المحادثة إلى حوار بين طرفين.

[٤٠] استقصائية تعني عقلية التشبث بفكرة معينة وإسقاط أي أفكار أخرى تتعارض معها، على أساس أن هذه الفكرة هي الوحيدة الحاملة للحقيقة.

٥) بديهي أن خطابا تجتمع فيه هذه الخصائص يمثل نموذجا مثاليا للغة المحظورات (Tabou)، ولذلك فهو غير صالح للاضطلاع بوظائفه الإفشائية التي تعد أحد مبررات وجود الإعلام في أي مجتمع راهن.

ولنبحث ما شئنا في نصوص إعلامية عربية، وخاصة في المسموع والتلفزيوني منها، فسنجد أن ثمة غيابا لافتا لمعظم المفردات والمصطلحات المتصلة بأداء هذه الوظائف الرقابية التي يسميها لازرسفيلد وميرتون (L azarsfeld & Merton) وظائف "تثبيت احترام الضوابط الاجتماعية أو فرض المعيار الأخلاقي"[٤١].

٦) يلاحظ أن النظام اللغوي الإعلامي يتناول مختلف القضايا والموضوعات ويتوجه نحو جميع القطاعات والفئات والشرائح والمجتمعات، بخطاب إعلامي وحيد النسيج والحياكة، في زمن اشتد فيه التفاوت العمري والاقتصادي والاجتماعي والتنوع الثقافي والقيمي في صفوف الجمهور الإعلامي، وثبت فيه الدور الذي يؤديه قادة الرأي، وأصبح إسهام الإعلام الوطني في تحقيق التنمية، وخاصة التنمية العقلية، مسألة مصيرية بجميع المعايير.

٧) إن مجمل هذه الخواص، متفاعلة ومتساندة فيما بينها، تضفي على الخطاب الإعلامي العربي طابعا بافلوفيا يحدث في عقول الناس ونفوسهم حالة اغترابية متفاقمة، حيث تبدو عملية المنعكسات الشرطية التي ينتجها في محيطه الاجتماعي وكأنها، في المحصلة، استجابة لقناعات الجمهور وعقلياته وميوله وسلوكياته الاتصالية. وهذا ما يوفر على الدوام مبررات "منطقية" لتوغل هذا الخطاب في

[41] Lazarsfeld P. & Merton R., Sociologie de L'Information, Ed. Librairie Larousse, Paris, 1973, p. 59.

استخدام الآليات البافلوفية. ويدخل الإعلام في حلقة مفرغة تقود باستمرار إلى مزيد من الركود والعزلة[٤٢].

٨) وإذا انتقلنا من المحيط الداخلي والقريب إلى الخارجي والبعيد، يتضح أن الإعلام العربي يناجي ذاته في نطاق بيئة مغلقة، بخطاب إعلامي عائلي أو قبلي، ليس له حضور يذكر في الأنظمة الإعلامية المتداولة عالميا، مما يدل على أن هذا الخطاب غير قادر على التواصل الخلاق مع الحالة الحضارية الراهنة بسبب افتقاره لأدوات تستنبط بواسطتها صيغا مرنة، مواكبة، يستطيع العالم "الآخر" فك رموزها والتعاطي مع المنطق الذي يحكمها وتنظيم ردود أفعال دقيقة حيال ما تحتويه. كل هذا يجعل الخطاب التي يعتمده الإعلام العربي يتموضع خارج الزمان والمكان.

---

[٤٢] ليس المقصود في هذا المقام، فعالية أو عدم فعالية استخدام الآلية البافلوفية مع الخصم أو العدو، بل اتباع الإعلام أسلوب المنعكسات الشرطية مع الجمهور العربي العريض، وهو أسلوب " يضرب جذوره في المناطق الأكثر ظلمة للاوعي الجماعي.. حيث الفكرة لا أهمية لها ولا قيمة.. حيث تجد الأهواء العادات اللامعقولة والمتناقضة منطقيا، تأثيرها وتوازنها.. ". ويقول تشاكوتين " إن تحريك الغريزة يجعلها تتجلى بسلبية تعبر عن نفسها بالخوف وبمظاهر الاكتئاب والامتناع، وبايجابية تفضي إلى الحماسة الشديدة والى حالة من الهذيان. الإثارة يمكنها أن تؤدي إلى النشوة والذهول، أي إلى حالة يخرج فيها الانسان عن طوره.. إن طرائق دعاية هتلر مع الشعب الألماني وضعته في حالة تنويم مغناطيسي حقيقي وانتزعته من نفسه، فوقوعه حتى العظم في خضم الانعكاسات الشرطية البافلوفية أفقده القدرة على الفهم.. " (فريال مهنا، تقانات الاقناع في الإعلام الجماهيري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٩، فصل "الدعاية الهتلرية"، صفحة ٣٤ مترجم عن:

Tchakhotine S., Le viol des foules par la propagande politique, en Domenach Jean – Marie, La Propagande Politique, P.U.F 8° Ed. Gallimard, Paris1979.

لقد اتبع الإعلام العربي غير مرة الطرائق البافلوفية التي أسفرت دوما عن إحباطات عميقة في صفوف الجمهور الإعلامي العربي. ولنا في الإعلام الذي ساد إبان وبعيد نكسة حزيران أبلغ مثال على عواقب الخطاب البافلوفي.

الخطاب الإعلامي العربي من حيث الشكل ومضمون الشكل:

في إطار العلاقة العضوية التي تربط بين المضمون والشكل في النظام اللغوي، فإن السمات المضمونية للخطاب الإعلامي العربي تتبادل تأثيرات عميقة مع أنماط التعبير وطرائق الصياغة وأساليب التناول والمعالجة في هذا الخطاب، يمكن التعرض لها بمايلي:

١) كما هو طبيعي في المجتمعات الانسانية، يحمل الخطاب الإعلامي العربي من ناحية الشكل، ملامح حقبات متتالية لأنماط الخطاب النثري العربي، وجد النظام السياسي في تعميق بعضها وطمس الآخر توطيدا لعملية مصادرة إعلام الدولة:

- فالشعر الذي يعده رومان جاكوبسون إحدى وظائف اللغة المكتوبة والمنطوقة بشكل عام[43]، ليس له وجود في نطاق الخطاب الإعلامي المعاصر لأن هذا الأخير بعيد بطبيعته وأهدافه عن هذا النوع من التعبير اللغوي غير أن النظام اللغوي الإعلامي العربي يجد في توسيع رقعة هذه الوظيفة سبيلا لتمرير ضروب مختلفة من صياغات نثرية مديحية وهجائية ورثائية يغلب عليها التفخيم أو النيل أو الإغراق، لكي يستطيع النظام السياسي العربي أن يقلص المساحة المعلوماتية والتحليلية ويموه الدوافع الواقعية لسياساته وتحالفاته، لصراعاته وحروبه وسلوكياته.

- كذلك، فإن الخطابة التي أدت أدوارا عقائدية وسياسية وإعلامية مهمة عبر التاريخ العربي، وتم تعميقها بوصفها سنة في التراث الديني، والتي تؤدي اليوم وظائف دينية ودنيوية فاعلة في المجتمعات العربية والإسلامية، دخلت لتشكل عنصرا أساسيا من عناصر الخطاب الإعلامي الراهن، رغم أن طرائقها التعبيرية تتنافى تماما مع لغة الإعلام الجماهيري المعاصر.

---

[43]Lionel Bellenger, L'Expression Orale, 2° Ed. P. U. F., Paris, 1983,p. 79.

غير أن تثبيت مشروعية أحادية الانتماء تتطلب فنونا خطابية قادرة على تغليب العنصر الانفعالي والطقوسي وتهميش العنصر الإقناعي الذي يعد سمة مميزة من سمات وسائل الإعلام الكبرى في هذا العصر.

- أما القصص الذي ازدهر في الإعلام الراهن لأكثر الدول تطورا بسبب حاجة المتلقي الملحة إلى أن يعرف دقائق ما يحدث في عالم يزداد تعقيدا وتشابكا، والمناظرات (Talk Show) التي يعتقد علماء في الاجتماع والإعلام أنها أحد أسباب عودة التلفزيون إلى سطوته وجاذبيته بعد مراحل من الفتور إثر زوال الانبهار الأولي بظهور وانتشار الوسيلة الجديدة، فإنهما يكادان يكونان غائبين في مفردات الخطاب الإعلامي العربي رغم أنهما يمثلان نقاطا مشرقة وغنية في التراث الثقافي والسياسي العربي والإنساني. ومن الواضح أن أسباب عدم تثمين هذا التراث وإبراز خصائصه وأقلمته ليدخل في سياق الراهن، تعود إلى أن القصص يستدعي غزارة في المعلومات وقدرات توليدية وإبداعية معاصرة، والى أن المناظرات تستوجب منهجا علميا، حواريا، يخضع لمنطق الاقناعية والاعتراف بالآخر ونسبية الحقيقة، وهي سمات تتعارض مع إعلام الطرف الوحيد في المجتمع.

٢) ويتشبث الخطاب الإعلامي العربي بتراث آخر لم يعد له وجود في أي من لغات العصر المتطورة لأنه يعيق الاتصال بمختلف صوره ومستوياته وينال من فعاليته ومردوده، وهو تراث يتمثل في الصياغات الديوانية الاستطرادية والديباجات الأستانية الممتدة والخواتيم المطولة التي تهيمن على النص الإعلامي العربي بكل أجناسه.

وهكذا، وبدلا من أن يتخلص من موروث لغوي معيق، وبدلا من أن يطور موروثا قيما ويعصرنه ليكتسب شخصية معاصرة أصيلة، غدا الخطاب الإعلامي العربي

مرتعا لصياغات وحيدة الخلية، وحيدة اللون، تهيمن فيها عيوب التطرف والمغالاة والتكلف والترصيع، وتتزاحم الصفات النافلة والنعوت المعبأة المتشنجة، وتتدافع العبارات المقولبة والشعارية والاستظهارية.

٣) إن خضوع الخطاب الإعلامي لهذه الأنماط التعبيرية التي تستجيب لطبيعة بنياته المضمونية، دفعه إلى مجابهة مشكلات المقاييس والأحجام المتعارف عليها في النصوص الإعلامية الراهنة، باستخدام أشكال تعبيرية أخرى أدت إلى تفاقم ثغرات الشكل.

فهذا الخطاب مطالب بأن يصوغ نصوصا طبيعية في الحجم والمساحة والزمن، لكي يستطيع صنع صحيفة أو مجلة بصفحات وأبواب وزوايا وعنوانات وتقسيمات شبيهة بالصحف والمجلات التي يتم تداولها في مختلف المجتمعات، ولكي يتمكن من إعداد برامج ومواد إذاعية وتلفزيونية يومية شبيهة بتلك المصطلح عليها في بقية أنحاء العالم، ولما كان هذا الخطاب لا يمتلك خواص التناول العلمي والعقلاني والواقعي وبقي أسير عبودية تعبيرية مزمنة، ولما كان يعاني، كما رأينا، خللا في نظامه المعلوماتي والدلالي، ولما كان، رغم ذلك، مضطرا إلى التقيد بقوانين الحجم ومقاييس المساحة والزمن السائدة في الإعلام الراهن، فقد عمد إلى ملء فجوات النص عن طريق اللجوء إلى تدابير تتمثل في الحشو واللغو والتكرار والاجترار المثير لظاهرة المرتدة (البوميرانغ)[٤٤]، ويتمثل خاصة في اعتناق لغة الخشب (La ngue de Bois)، وهي اللغة المبنية على تجميع ألفاظ وعبارات وجمل خالية من أي معنى أو مدلول، أي تلك اللغة التي يتكلم بها أصحابها دون أن يقولوا شيئا.

[٤٤] المرتدة ترجمة لمصطلح " البوميرانغ " Boomerang " وهو سلاح خشبي أسترالي ذو شكل هندسي معين، يطلق فيقوم بدورة في الهواء ثم يرتد إلى صدر من أطلقه، وتعني مجازيا خطة أو عمل أو قول يرتد أذاه إلى حر صاحبها.

٤) إن حل الخطاب الإعلامي للمسائل المرتبطة بالحجم والزمن على هذه الصورة، أدى إلى خرق قواعد أساسية تتعلق بالأنواع أو الأجناس الصحفية. إذ يلاحظ أن هذا الخطاب يتبع معايير اعتباطية في اختيار النوع الصحفي وتحريره، بحيث تخترق الأجناس الإخبارية والتقريرية تلك التعليقية والموقفية أو التفسيرية والتحليلية، وتضيع الأنواع التي تبرز شخصية الكاتب واستقلاليته بتلك التي تتوخى تجسيد اتجاهات الوسيلة الإعلامية.

ومن المنطقي أن ممارسة الخطاب الإعلامي فوضى الأنواع، مضموناً وشكلاً، تضفي أشكالا فريدة وغير مألوفة من الغموض والتشويش على النصوص الإعلامية تلائم المرسل ولكنها تخرب عملية تنظيم المتلقي لردود أفعال تنسجم ومصالحه تجاه قضايا تمس حياته اليومية الخاصة والعامة.

بناء على هذه الخصائص التي يتميز بها النظام اللغوي الإعلامي العربي من حيث المضمون والشكل، ومن حيث مضمون الشكل، يمكن القول إن الخطاب الإعلامي الذي ينتجه هو خطاب غير اقتصادي.

فالضعف الكائن في بنياته المعرفية والمعلوماتية، والخلل الحاصل في أنماطه التعبيرية، وعجزه عن تحقيق حضور ذي شأن في الحركة الإعلامية الدولية. كل ذلك، يؤدي إلى تدني مستويات الإنتاجية وارتفاع نسب الهدر اليومي للصناعة الإعلامية العربية، تزداد كميته طردا مع انفتاح الجمهور العربي على الإعلام الفضائي وتعاظم منجزات ثورة الاتصالات وتسارع وتائر تنوع وارتقاء الكود اللغوي الإعلامي في العالم.

الخطاب الإعلامي العربي والبيروقراطيات الإعلامية:

حول هذا الخطاب الإعلامي العربي المدغمت[٤٥] فكريـــا والمعـــير ثقافيـــا والخاســـر اقتصاديا واجتماعيا[٤٦]، تتكوم اليوم بيروقراطيات إعلامية عربية تترعرع في مطاويـــها هرمية وظيفية راسخة ومستقرة، تصنع رسالة إعلامية صورية تحقـــق دورة إنتاجـــها بآلية نسخية مكرورة، مهمتها تحصيـــن البيروقراطيـــات الاقتصاديـــة والاجتماعيـــة والسياسية والثقافية والعلمية والخدمية التي تحمـــل ذات الخصـــائص، والتـــي تســـهم بدورها في تقوية تلك الإعلامية وضمان استمراريتها وولائـــها للحيلولـــة دون قيـــام الإعلام الجماهيري بوظائفه الضبطية والإقشائية منها على وجه الخصوص.

وللحفاظ على هذا الخطاب الإعلامي وحيد اللازمة والإيقـــاع، فـــإن هـــذا التحـــالف البيروقراطي الذي يتبادل المنفعة والمصالح، يحرص علـــى تصفيـــة المهنيـــة "غـــير الملتزمة" بكل أشكالها واجتذاب حملة الأختام الساهرين على ألا تظهر في الأفـــق أي "هرطقة" تجعل الزمام يفلت، حتى في إطار وحدة الموقف والهدف.

الخطاب الإعلامي العربي والمجتمع:

يقول معتنقو التحديدية الاقتصادية إن اعتلال الخطاب الإعلامي نـــاجم عـــن تخلـــف أسلوب الإنتاج الذي تعاني منه المجتمعات العربية، وإنه من غير الممكن أن ينفصـــل هذا الخطاب عن الواقع المادي القائم أو أن يمتلـــك، كبنيـــة فوقيـــة، أدوات تطوريـــة بمعزل عن طبيعة البنيات التحتية ودرجة تطورها.

---

[٤٥] المدغمت صفة مشتقة من دوغماتية وهي تعريب لمصطلح أجنبي "Dogmatism" يعني الجزمية أو توكيد الرأي والقطع به من غير مبرر كاف، ويعني وجهة نظر مبنية على مقدمات غير ممحصـــة تمحيصا وافيا. وقد أخضع المصطلح باللغة العربية للتصريف: دغمـــت ـــ يدغمـــت ـــ مدغمـــت ـــ والاسم دوغماتية.

[٤٦] انظر ملاحق البحث.

من المسلم به، حتى بالنسبة للتحديديين، أن فعل القوانين الموضوعية للتطور لا قيمة له في غياب وعي اجتماعي، متكون عبر آليات طوعية، والخطاب الإعلامي تحديدا يعد أحد أهم العوامل في تشكيل هذا الوعي ورسم مساراته، لأنه، وخلافا لأنواع أخرى من الخطاب المجتمعي، تتجول في المجتمع، لا يقف عند مخاطبة الخاصة أو شرائح اجتماعية محدودة، بل يتوجه، محمولا في عربة وسائل البث الجماعي، إلى تلك الكثرة التي تعد أداة لا غنى عنها في تفعيل الحركة المادية العامة والتي من دونها يبقى التطور المادي مجرد أوهام في أذهان النخبة وأوراقها.

إلى ذلك، فإن الخطاب الإعلامي كعامل ذاتي وكنظام جزئي، على احتكاك مباشر وغير منقطع بأحداث حياة كل يوم وكل ساعة، أي بالجديد والمستحدث المتعلق بجميع أنواع العلوم والمعارف، يمتلك عناصر تطوره الداخلية التي تؤثر في عمل القوانين العامة، تماما كما تتأثر بها.

ولنا في الإعلام العربي الخاص الذي يعيش خارج الأوطان دليل على إمكانية ارتقاء الخطاب الإعلامي، رغم أن معظم هذا الإعلام يقيم علاقات وثيقة مع "الداخل" ويستمد موضوعاته من صميم حياة المجتمعات العربية.

ولا ريب أن تأثير هذا الخطاب قد ازداد شدة واتساعا في وسائل الإعلام الإذاعية والتلفزيونية والفضائية، فالكلمة المنطوقة، كما يقول ليونيل بولانجي "أصبحت وسيلة عمل، طريقة تعبير، قوة إقناع، سلطة حقيقية"[٤٧].

من جانب آخر لا نستطيع أن نزعم أن العلة تكمن في تخلف وسائل الإعلام العربية الرسمية من النواحي الفنية والتقانية، فلقد حرصت البيروقراطيات الإعلامية في أغلبية الدول العربية على تزويد مؤسساتها المطبوعة والمسموعة والمتلفزة بتقانات أرضية وفضائية لا تقل تطورا عن وسائل إعلام العديد من دول العالم المتقدم.

---

[47] L'Expression Orale, op. cit., p. 3.

الحقيقة أن الإعلام البيروقراطي هو الذي يعطل عمـــــل القوانيـــن الداخليـــة لتطـــور الخطاب الإعلامي العربي وهو الذي يجمد إمكانية إسهامه في تحريك عوامل تطوريـــة أخرى، مادية وفكرية، أو تسريع وتيرتها.

وتدرك هذه البيروقراطيات الإعلامية اليوم أن الخطر الحقيقي الذي يتهددها يكمن فـــي التطور اللامنقطع لتقانات الاتصال الأرضي والفضائي، ولذلك فإنها، وفـــي محاولـــة منها لحماية امتيازاتها وتثبيت عوامل استمراريتها، تلجأ إلى عقد اتفاقيات فوقية فيمـــا بينها وإقامة ندوات ومؤتمرات واجتماعات مشتركة تبحث في "أخطار الغزو الثقـــافي والقيمي "العابر للفضاء" وكيفية التصدي له".

والواقع أن وجود هذه البيروقراطيات يعد العامل الأهم في تحقيـــق أهـــداف "الغـــزو الخارجي" وتمرير استراتيجياته، فهذه البيروقراطيات تجسد كل ما من شأنه أن يحـــدث قطيعة بين الجمهور العربي وإعلامه الوطني، وتدفعه بقوة لتلقـــف مـــا يأتيـــه عـــبر الفضاء، غثه وثمينه، بعد أن جردته من أسلحته ومنظوماته الدفاعية.

إلا أنه، رغم الذرائع العقائدية والفكرية والثقافية والقيمية التي تتـــوارى خلفـــها، فـــإن هذه البيروقراطيات تبدو، في هذا العقد الأخير مـــن القـــرن الحـــالي، كدينـــاصورات افتراضية ترسف في أغلالها وترنو من بعيد إلى مدنية واقعية طليقـــة تتـــهيأ لدخـــول القرن القادم.

الخطاب الإعلامي العربي بين الإعلام العام والخاص:

هل هذا كله يعني أن الحل هو في التخلي عن إعلام الدولة وتبنـــي مفـــاهيم الإعـــلام الخاص وإخضاع المنتج الإعلامي لقوانين العرض والطلب في الداخـــل كمـــا يفعـــل الإعلام العربي في الخارج، خاصة وأن العديد من المجتمعات العربيـــة يتجـــه نحـــو الخصخصة في قطاعات صناعية وزراعية وخدمية وإنتاجية أخرى؟

ثمة شرائح واسعة داخل الأكثرية الصامتة في الوطن العربي تعتقد بأن أمراض الإعلام العربي تزداد في ظل "إعلام الدولة" وأن وسيلة الشفاء تكمن في تسليم الإعلام الجماهيري للقطاع الخاص. ولا ريب أن هذا الاعتقاد يستمد شرعيته من حقيقة أن هذه الأكثرية خاضت بألم إعلام الطرف الوحيد ولم تتعرّف قط على إعلام الدولة نتيجة الانفصام الذي حصل بين المفهوم التشريعي والحقوقي لإعلام الدولة وبين الممارسة العملية لهذا المفهوم في المجتمعات العربية، وهو انفصام أدى، كما رأينا، إلى تقويض معظم مقوّمات إعلام الدولة وأهمها.

ولكن إعلام الدولة قائم على أرض الواقع في مجتمعات أخرى بلغت أقصى مراحل التقدم، وهو يؤدي وظائف لا غنى عنها، لأنه يحقق تماسكاً اجتماعياً وتوازناً ثقافياً وقيمياً، ويخوض تنافساً مع الإعلام الخاص يسفر عن ارتفاع وتائر التطور في العمل الإعلامي ولا سيما الفكري واللغوي، ويؤدي إلى تساوقهما المستمر مع متطلبات الجمهور المتغيّرة.

وإذا كان إعلام الدولة يمثّل حاجة في مجتمعات تقانية، فإنه يجسّد ضرورة في مجتمعات نامية تتعرّض لتحدّيات تهدّد هويّتها وشخصيتها وتراثها، لأن إعلام الدولة، في حالته الفيزيولوجية، يمثّل نقطة ارتكاز لا بديل عنها، فبه يناط جانب حيوي من جوانب وضع وتنفيذ استراتيجيات التنمية، وعبره يخوض المجتمع عملية التواصل والتفاعل المجدي مع العالم الخارجي، وعليه تقع مسؤولية الاشتراك الفعلي في بناء المعاصرة داخل بوتقة الأصالة لذلك كله، لا مناص من العمل على إعادة "إعلام الدولة" إلى المجتمع وتحريره وتوفير عوامل انعتاقه.

الخطاب الإعلامي العربي والمجتمع المدني:

ولكن هذه العملية تتطلب خيارات صعبة وتغييرات مهمة في سلوكيات وعقليات أطراف عديدة في هذا المجتمع، لعل أهمها يتجلى فيما يلي:

صحيح أن السلطة السياسية تتحمّل مسؤولية إخفاق تجربة إعلام الدولة، غير أن ثمة مسؤولية لا يستهان بها تقع على عاتق أطراف أخرى، أدت مواقفها إلى تمرير إعلام الطرف الواحد.

- أهم هذه الأطراف هي النخبة المثقفة والمتنورة التي تعاملت مع عملية التجيير السلطوي باتباع سلوكين مختلفين يتراوح أولهما بين دعم إجراءات السلطة والمساعدة في إنجاح الاستقطاب وتثبيته بهدف احتلال مفاصل أساسية في المؤسسات الإعلامية المختلفة لم يستمر طويلاً، وبين عدم الاكتراث والسلبية، ويتراوح ثانيهما بين الرفض الصامت أو المتردد وبين عداء سافر غير تمييزي لكل مبادرات السلطة الوطنية، بلغ حد اللاموضوعية والتطرّف المجّاني في كثير من الأحيان.

لقد أدى السلوك الأوّل إلى مد السلطة بأدوات فاعلة لإنجاز التحويل، وأدى السلوك الثاني إلى شعور السلطة بالقلق أو الخطر تجاه عدائية راديكالية، مما دفعها إلى إغلاق جميع الهوامش وإبعاد النخبة المتعاونة والإمساك بناصية الإعلام كله.

ومن المنطقي أن تسفر هذه القطيعة بين المفكّرين والمثقّفين وبين السلطة عن تفاقم التبعية الوظيفية وعن تورّم البيروقراطيات، وأن تؤدي، من ثم إلى إفقار الخطاب الإعلامي موضوعاً وشكلاً وتعميق عزلته عن الثقافة بجميع فروعها وعن مستجدات الحضارة وتيارات التعبير الإبداعي.

ولكن، وضمن إطار معطيات الوضع القائم، ولكي يخرج الإعلام الوطني من المأزق الذي يجد نفسه فيه اليوم، لا بد لهذه النخبة المتنورة من القيام بإعادة نظر شاملة في سلوكياتها تجاه السلطة، بحيث يتحول الصمت الرافض والعدائية المجهرة إلى مواقف موضوعية وواقعية استقلالية الطابع، تبني هذه النخبة من خلالها جسوراً مع السلطة تمهّد لنشوء ما يمكن أن نطلق عليه "الحالة التفاوضية".

ويفترض أن يشكّل الوضع الذي آلت إليه البيروقراطيات الإعلامية دافعاً لكي يتقبّل النظام السياسي العربي هذه الصيغة التي بمقدورها أن تحقق فعالية وأن تمارس تأثيرات في المجتمع، تصبّ، في النهاية، في مصلحة السلطة أيضاً.

ولا شك أن هذه الحالة التفاوضية بين طرفين مستقلين ومتعاونين تنهي التبعية من جهة، وتضع حداً للتنافر وفقدان الثقة المتبادل من جهة أخرى. والأهم من ذلك أنها تزعزع أحد أقوى مرتكزات الإعلام البيروقراطي المتمثّل في ابتعاد النخبة المختصة عن الشأن الإعلامي في الداخل ولجوء قسم مهم منها إلى الإعلام العربي المهاجر.

إن دخول أهل العلم وحملة القلم الحقيقيين إلى الإعلام الوطني المطبوع والإذاعي والتلفزيوني من شأنه أن يقود، دوماً في حالة تفاوضية غير منقطعة مع السلطة، إلى تصفية عناصر الارتزاق وتثبيت معايير الكفاية والمهنية، وأن يؤدي، في المحصلة، إلى إقالة الخطاب الإعلامي من عثراته وتحريره من أسر حاملي "الدمغات" وإعداده لتلبية حاجات متجددة لجمهور عربي متطلّب يعيش مرحلة الانبهار بالرسائل الهابطة إليه عبر الفضاء وجمهور شاب يخوض تجربة تقانات الاتصال المتعدّد بكل أبعاده.

- لا بد من التنويه في هذا المقام، بأن تأهيل الخطاب الإعلامي العربي لدخول العصر ليس معناه الوقوع مجدداً في اتباع طرائق نقلية مشوّهة، بحجة التواصل مع الإعلام الحضاري، وإنما يعني تجاوز الموروث الانحطاطي والنهل من تراث مشرق شكّلت اللغة العربية أحد أهم منابعه وأدواته، ويعني الانطلاق من السياقات المعاصرة للمجتمعات العربية وليس من سياقات مجتمعات أخرى مغايرة.

فصناعة الخطاب الإعلامي تستدعي استخدام هوامش الحرية المتاحة للالتصاق بوقائع المجتمع والعمل على الارتقاء به من خلال آلية إقناعية، وتستوجب التعبير

عن هذه الوقائع عبر الاستعانة بإمكانات لغة عربية غنية تتميز بالمرونة والقدرة الفائقة على التكيّف.

- تشكّل الرقابة "الذاتية" داخل المؤسسات الإعلامية العربية عائقاً كبيراً أمام انطلاقة الخطاب الإعلامي، فالأطر الرقابية المعتمدة تعشش في معظمها عقليات لا تنتمي إلى هذه الحقبة، وعناصر غير مؤهلة تمارس رقابة ديوانية، جزئية وحرفية تشلّ العمل الإعلامي وتهدر طاقاته.

لقد بات من الضروري في هذا الزمن، إحداث تغيير جذري في مفهوم الرقابة وطبيعتها ومستويات ممارسيها، بحيث تنضوي هي الأخرى تحت لواء التعايش التفاوضي المستمر وتخضع لرؤية تقويمية ذات طابع استراتيجي مفتوح الآفاق، يراعي الاتجاهات العامة دون الدخول في التفاصيل والجزئيات اليومية المرهقة للنشاط الإعلامي.

- يحق للمجتمعات العربية أن تخوض تجارب الإعلام المشترك والإعلام الخاص داخل الوطن، وخاصة في الإعلام الإذاعي والتلفزيوني لأن هذه المساكنة بين إعلام الدولة والإعلام المدني يمكن أن تشكّل حافزاً للارتقاء بالإعلام الوطني فكراً ولغة وحضوراً، ويمكن أن تفتح آفاق دخوله عالم القرن المقبل.

وإذا كان من الطبيعي الإفادة من تجارب متقدّمة في هذا المضمار، فإنه من غير الملائم تبنّي أنماط جاهزة، إذ إن جانباً لا يستهان به من الخلل الذي أصاب النظام الإعلامي العربي ناجم عن اتباع الأسلوب النسخي.

ـ وفي جميع الأحوال، من المهم بمكان أن تنضوي أية تجربة مستقبلية للإعلام العربي تحت لواء المسؤولية الوطنية والاجتماعية التي تحدّدها الظروف الملموسة لكل مجتمع عربي على حدة، بما يؤسس نظاماً إعلامياً عربياً يقوم بدور الرقيب بدلا من أن يكون مراقباً ومحاصراً، ويشكّل مصدراً مستقلاً من مصادر المجتمع بدل أن

يكون مجرد تابع خامل لمصادر أخرى، ويتهيأ لتمثل قيم التطور وخوض المقايسة بشكل خلاق، ضمن نطاق التميز والخصوصية.

الملاحق

تطبيق نظرية الأنتروبيا على الخطاب الإعلامي العربي الرسمي والخاص الخاضع للحكومة، في جميع وسائل الإعلام الكبرى.

- قبل عرض النصوص، من الضروري تحديد المعايير التالية:

١. يتحدد سلم الاحتمالات في ورود المعلومة، بصورة اصطلاحية، من (٠) إلى(١٠)، إذ إن الصفر يعني وجود احتمال وحيد أو وجود يقينية لدى المتلقي في أن معلومة ما سترد قبل أن ترد، مما يعني أنه لا توجد معلومة لأن المتلقي مطلع عليها من قبل ولذلك تيقن من ورودها. أما رقم (١٠) فيعني أن الاحتمالات في ورود معلومة معينة، قبل أن ترد، هي في حدودها القصوى، وفيما يتعلق بالأرقام الواقعة بين الـ (٠) والـ (١٠)، فإنها ترتبط بنسب الاحتمالات ومدى تساويها في إمكانية ورود كل منها على وجه الدقة، أي بمعطى رقمي، وهذا المعطى هو الذي يدل على حجم الأنتروبيا أي على مقدار المعلومات الموجودة في إشارة ما أو رسالة ما.

٢. بتطبيق هذه النظرية على رسالة إعلامية، يمكن تحديد هل تحتوي الإشارات الواردة في الرسالة على معلومات أو لا تحتوي، دون الحاجة إلى استخراج معطى رقمي محدد على امتداد السلم الواقع بين الصفر والعشرة، أي دون الحاجة إلى معرفة حجم الأنتروبيا على وجه التحديد. لأن المهم، في هذا المجال، معرفة هل يتضمن النص الإعلامي معلومات أم لا، وهل هذه المعلومات منخفضة أو مرتفعة الأنتروبيا.

٣. تعد الكلمة وحدة القياس الأساسية في النص الإعلامي، أي أن الكلمة هي الإشارة التي تحتوي أو لا تحتوي على معلومة بمفهوم الأنتروبيا المرتبطة بحجم الاحتمالات وباليقينية أو اللايقينية.

لمزيد من الإيضاح، يمكن ايراد المثال الآتي على كيفية استخدام نظام الأنتروبيا:

◆ إذا ورد في نص صحيفة أو إذاعة أو تلفزيون صينيين أن "عاصمة الصين الشعبية هي بكين.."

يلاحظ أن المعلومة الموجودة في كلمة " بكين "، في مقياس الأنتروبيا، تكاد تساوي الصفر لأنه:

- يوجد احتمال وحيد في أن تكون بكين هي عاصمة الصين الشعبية، وهذا معناه عدم وجود احتمالات أخرى أو بديلة، وعدم وجود احتمالات متعددة لها فرص متساوية في أن تكون صحيحة.

- هناك يقين لدى الجمهور الصيني بورود كلمة بكين، قبل أن ترد، مما يعني أنه لا توجد أي لايقينية، أي لا توجد معلومة.

- يمكن القول إن هذه الكلمة أو الإشارة بالنسبة للمتلقي الصيني الراشد لا تزوده بمعلومة.

عرض لنصوص إعلامية تتكرر يوميا في الإعلام العربي المطبوع والمسموع والتلفزيوني، حول شؤون داخلية[٤٨]:

ــ نص مطبوع لصحيفة يومية حكومية:

((عقد مجلس الوزراء برئاسة السيد (اسم رئيس الوزراء ــ "كلمتان") اجتماعا الساعة العاشرة قبل ظهر أمس واستعرض أعمال لجنة الخدمات واللجنتين الاقتصادية والثقافية.

واستمع مجلس الوزراء في جلسته هذه من السيد (اسم الوزير ــ "كلمتان") وزير الزراعة إلى عرض شامل للأوضاع الزراعية ونتائج أعمال الاجتماع الوزاري الزراعي الذي عقد منذ أيام.

وبحث مجلس الوزراء الإجراءات المتخذة لإجراء الانتخابات البلدية التي توفر للمواطن المناخ الديمقراطي وتحقق أفضل الشروط لضمان الانتخاب وحريته.

ودرس مجلس الوزراء الموضوعات المعروضة عليه واتخذ بشأنها القرارات المناسبة)).

حسب نظرية الأنتروبيا، يلاحظ:

- أن النص مؤلف من (٧٥) كلمة تحتوي (٨) كلمات منها على معلومات (الانعقاد ــ أمس ــ الزراعة ــ المؤتمر الزراعي ــ الخدمات ــ الاقتصادية ــ الثقافية)، إلا أن هذه المعلومات أيضا تقدم احتمالات قليلة ودرجة اليقينية فيها

[٤٨] لم يذكر اسم الوسيلة التي نشرت أو بثت النص لكي لا يكون بلد عربي مقصودا بعينه. وتم اختيار النماذج الأكثر تمثيلا من حيث المضامين والدلالات والأشكال والأنماط في وسائل الإعلام العربية الرسمية خلال ثلاثة أشهر (سبتمبر ــ نوفمبر ــ ديسمبر) من العام ١٩٩٨، والثلاثة أشهر الأولى من العام ١٩٩٩.

عالية نسبيا، مما يجعل حجم الأنتروبيا منخفضا إلى حد ما،، لأن مجلس الوزراء هذا ينعقد، منذ سنين طويلة، كل أسبوع في اليوم والوقت المشار اليه، وهناك وزراء أو لجان محدودة ومعروفة تقدم تقارير عن أعمالها إلى المجلس.

- هذا يعني أن النص يتضمن (١٠%) تقريبا من المعلومات منخفضة الأنتروبيا، وأن (٩٠%) منه خال من أي معلومات لأن الحضور ووجود جدول أعمال والمناقشة واتخاذ إجراءات وقرارات وعرض الوزراء .. الخ. هي معلومات يقينية لا وجود لتعدد أو لتساوي الاحتمالات فيها، وورود إشاراتها متوقع قبل أن ترد.

- ويعني أيضا أن (٩٠%) من النص يكاد يساوي الصفر بمقياس الأنتروبيا، ذلك لأن الرسالة الإعلامية حجبت جملة من المعطيات التي كان يمكن أن تشكل، لدى المتلقي،لايقينية وأن تبلغ فيها الاحتمالات المتساوية نسبة عالية.

هذه المعطيات هي:

- فحوى أعمال اللجان والتفاصيل والحيثيات والمشكلات المتصلة بها.
- مضمون عرض وزير الزراعة ومحتوى الاجتماع الوزاري.
- طبيعة الإجراءات التي اتخذها مجلس الوزراء حول موضوع الانتخابات البلدية.
- مضمون الموضوعات المعروضة على مجلس الوزراء ونوعية القرارات التي أصدرها بشأنها.

إن عدم إيراد هذه المعلومات التي تقع في نطاق تعددية الاحتمالات واللايقينية:

- حجب عن المتلقي معطيات حيوية تتعلق بحياته ومصيره و بالبيئة التي يعيش فيها والتي ينظم ردود أفعاله على أساسها.

- تسبب في هدر جسيم للطاقة في مجال الإنتاج الإعلامي.
- أدى إلى إقحام جمل إنشائية ذات صفة عمومية ومفرغة من معناها للتغطية على الضعف المعلوماتي:

".. .. التي توفر للمواطن المناخ الديمقراطي وتحقق أفضل الشروط لضمان الانتخاب وحريته".

ـ نص من إحدى الإذاعات العربية الرسمية:

((عقد البرلمان (اسم الدولة ـ "كلمة واحدة") جلسته الأسبوعية الاعتيادية في مقر المجلس صباح اليوم برئاسة (اسم رئيس المجلس ـ "ثلاث كلمات") رئيس المجلس.

وعقب انتهاء الجلسة أدلى رئيس المجلس بتصريح قال فيه: إن المجلس ناقش الموضوعات المدرجة على جدول أعماله وفي مقدمتها تقرير لجنة الشؤون القانونية بشأن مشروع قانون يتعلق بتعديل بعض أحكام قانون العقوبات.

وقد ناقش الأعضاء التقرير مناقشة مستفيضة أبدوا خلالها آراءهم وملاحظاتهم عليه)).

بتطبيق نظرية الأنتروبيا يتضح:

- أن ثمة معلومة واحدة في الفقرة الأولى حول وقت الانعقاد، أما مكان الانعقاد ورئيس الجلسة يعدان من قبيل تحصيل الحاصل ويتوقع المتلقي ورودها قبل أن ترد.
- أن مناقشة المجلس لموضوعات مدرجة على جدول أعماله تحتوي على احتمال وحيد، فالاحتمالات المتعددة والمتساوية وأيضا اللايقينية، إذن، غائبة تماما.
- ثمة معلومتان ترتبطان بنوعية اللجنة (الشؤون القانونية) وبعنوان الموضوع (تعديل قانون).

- أن الأعضاء ناقشوا وأبدوا آراءهم وملاحظاتهم لا تتضمن أي احتمال آخر وهي نافلة.

من ذلك يستنتج:

- أن النص المؤلف من (٦٠) كلمة، يحتوي على معلومات مؤلفة من (٩) كلمات فقط (عقد ـ صباح اليوم ـ لجنة الشؤون القانونية ـ تعديل قانون العقوبات).
- هذا يعني أن(١٥%) فقط من النص الإخباري تحتوي على معلومات، وأن (٨٥%) من النص خال من المعلومات بالنسبة لمتلقي تلك الدولة والمتلقي العربي بشكل عام.

يمكن القول إن الملاحظات الآنفة الذكر في النص السابق، تصلح أيضا للنص الحالي.

ـ نص بثته محطة تلفزيونية عربية عامة: (مشاهد متكررة للمضيف وضيوفه)

((استقبل (صفات تفخيمية مؤلفة من ثلاث كلمات + اسم المسؤول مؤلف من كلمتين) رئيس الوزراء الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم، أعضاء مجلس إدارة الهيئة العامة للصناعات النسيجية برئاسة) اسم مؤلف من ثلاث كلمات (رئيس مجلس الإدارة وأعضاء الهيئة، إذ عبروا عن خالص الشكر والتقدير والامتنان) اسم رئيس البلاد مؤلف من ثلاث كلمات + صفات تفخيمية مؤلفة من أربع كلمات (على الدعم والتسهيلات التي حظيت بها الهيئة من قبل) اسم رئيس الدولة مؤلف ثلاث كلمات + اسم رئيس الوزراء مؤلف من كلمتين + صفات تفخيمية مؤلفة من ثلاث كلمات) مشيدين بالجهود الطيبة التي قامت بها الجهات العليا في الدولة لتطوير الصناعات النسيجية، مما كان له أطيب الأثر على الجميع، مبتهلين إلى الله العلي القدير أن يحفظ) اسم رئيس البلاد: ثلاث كلمات + اسم رئيس الوزراء: كلمتان (ذخرا وفخرا وسندا لأبناء هذا الوطن وأن يمدهما بعونه لمواصلة مسيرة الخير والعطاء لبلدنا العزيز)).

بتطبيق نظرية الأنتروبيا، يتبيّن:

- أن النص الذي يتألّف من (١٠٨) كلمة، يحتوي على (٢١) كلمة معلومات (الاستقبال ــ اسم رئيس الوزراء "كلمتان" + صفته "رئيس الوزراء" ــ الثانيةعشرة ــ اليوم ــ رئيس + اسمه "ثلاث كلمات" ــ وأعضاء مجلس إدارة الهيئة العامة للصناعات النسيجية ــ الدعم ــ التسهيلات).
- أي أن نسبة المعلومات في النص تقدّر بـ (١٩%)، مما يعني أن (٨١%) من هذا النص يمكن إدراجه في إطار الاحتمال الواحد واليقينية لأنه لا يحتوي على أي احتمالات متعدّدة ومتساوية الفرصة في أن ترد في النص، مما يعني أن الخبر لا يقدّم للمتلقّي أية معلومات حول مستجدّات هذه الصناعات أو أوضاعها الراهنة أو مشكلاتها، ولا يلمّح إلى الأسباب الحقيقية لهذه المقابلة، أو على الأقل، مناسبتها.
- يحفل النص بحوالي (٤٠) كلمة وصفة تفخيمية وتقريظية، تبلغ نسبتها حوالي (٤٠%) من كامل النص، وهي طاقة إضافية مهدورة.

ــ خبر تلفزيوني بثّته محطة تلفزيونية عربية عامة في مستهل نشرة أخبارها الرئيسية: (صورة ثابتة لرئيس الدولة تبعتها صورة ثابتة لرئيس الدولة الأخرى)

"بعث (اسم رئيس الدولة: ثلاث كلمات + صفته وألقابه والعبارات التعظيمية: سبع كلمات) اليوم برقية تهنئة إلى (اسم رئيس الدولة الأخرى: كلمة واحدة + صفته وألقابه: أربع كلمات) بمناسبة عيد ميلاده، أعرب (صفات تفخيمية لمرسل البرقية: ثلاث كلمات) من خلالها عن خالص التهاني وأطيب الأماني لـ (صفة لمتلقّي البرقية: كلمة واحدة) بوافر الصحة والسعادة ولشعب (اسم الدولة: كلمة واحدة) الصديق بالمزيد من التقدّم والرقي".

- يتألّف النص من(٤٥) كلمة، منها (١١) كلمة تحتوي معلومات منخفضة جداً في مقياس الأنتروبيا (بعث ـ اسم رئيس الدولة "ثلاث كلمات" ـ اليوم ـ برقية ـ تهنئة ـ عيد ـ ميلاد ـ اسم مستقبل البرقية "كلمتان").

- أي أن نسبة المعلومات، بمقياس الأنتروبيا تبلغ ما يقرب من (٢٥%)، وأن نسبة اليقينية وأحادية الاحتمالية تقدّر بـ (٧٥%).

- وتصل نسبة ألفاظ التعظيم والتفخيم إلى (٣١%) من حجم النص.

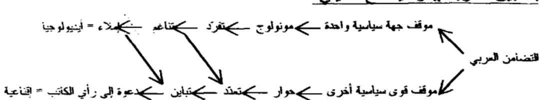
- احتلّ الخبر المركز الأوّل في أجندة نشرات أخبار تلك المحطة، في خضم أحداث داخلية مهمّة في هذا البلد وأحداث عربية (جنوب لبنان وفلسطين والعراق) ودولية (حرب البلقان) ساخنة.

تطبيق نظرية أومبيرتو إيكو على نصوص إعلامية تمثيلية في وسائل الإعلام المطبوعة والمسموعة والتلفزيونية:

نص (تعليق) ورد في إذاعة عربية رسمية:

((.. .. إن التضامن العربي شعارنا الأوّل وقضيتنا المقدّسة، لقد حملنا لواء التضامن عالياً وناضلنا في سبيله نضالاً بطولياً وكافحنا من أجله كفاحاً مريراً. ولم يكن تأكيدنا على هذا التضامن تعبيراً أصيلاً وصادقاً عن رغبة الأمة العربية في استعادة مكانتها في صنع التاريخ فحسب، بل كان أيضاً ترجمة واقعية وعلمية لمطلب الجماهير في الوطن العربي التي تحس أن التضامن الذي تصنعه القوى الشعبية والذي يقوم على أساس ديمقراطي ويرتكز على بنيان صلب، إنما هو التضامن الحقيقي والضامن لمصالح الشعب. إن العمل من أجل التضامن العربي هو منطلق نضالنا وعلينا وحدنا تقع المسؤولية المباشرة في خلق مبادرات دائمة تهيئ الشروط الموضوعية الكفيلة بتحقيق التضامن على أسس راسخة)).

بتطبيق نظرية إيكو، يتضح ما يلي:



لقد اتّبع النص اتجاه الأسهم العليا وأهمل تماماً اتجاه الأسهم السفلى، فهو نص أيديولوجي (بافلوفي) وليس إقناعياً.

ــ نص بثّ في تلفزيون رسمي (في برنامج إخباري):

" والآن، وبعد أن اختار الشعب ممثّليه، نستطيع أن نتبيّن أن الديمقراطية التي يمارسها أبناء بلدنا بكل مكوّناتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، نسبق بها الكثير من الدول التي تدّعي أنها ترفع راية الديمقراطية على طريقتها وحسب مفهومها، والتي تخالف تماماً ما يجب أن تمارس به الديمقراطية.

نحن اخترنا النهج الديمقراطي وعلى طريقتنا الخاصة، وأثبتت التجربة صحة نهجنا الديمقراطي هذا.

ونحن، عندما نقول ذلك لا نقول من فراغ، إننا نمارس الديمقراطية في حياتنا العامة، وما الانتخابات التي جرت إلاّ دليل واضح على ممارسة هذه الديمقراطية بأحسن صورها وأشكالها، لأن الديمقراطية التي اخترناها ليست إطاراً جامداً وليست طريقاً موصداً، بل هي موضوع حي يتطوّر ويتجدّد، ومن ثم، أي الديمقراطية، ليست سلعة نستوردها من هذا البلد أو ذاك، إنها الإطار الذي مارسناه ونمارسه بكل حرية ونحن نختار ممثّلينا.

إننا ونحن نمارس الديمقراطية نرى أنها النور الذي ينير لنا الطريق، ويبرز الهدف الذي يجب أن يسير عليه ممثّلو الشعب وهم يعملون من أجل تحقيق مصالح الناس

ومعالجة مشكلاتهم وهمومهم الحياتية، وخاصة في مجال تقديم أفضل الخدمات للناس)).

(مشاهد صناديق اقتراع حيث تجري عملية الانتخاب، واحتفالات ومظاهر فرح في الساحات المحيطة).

- بتطبيق نظرية إيكو، يتبيّن:

(مقدّمة واحدة) ← إمكانية وحيدة ← قيمة واحدة ← خط مستقيم ← استبعادية مطلقة = أيديولوجيا

الديمقراطية

مقدّمات متباينة ← إمكانيات تناقضية ← قيم اختلافية ← تعرّجات ← أفضلية نسبية = إقناعية

سار النص على خط الأسهم العلوي وتجاهل تماماً خط الأسهم السفلي، فجاء أيديولوجياً ومنافياً للإقناعية.

ـ نص مطبوع (مقال تحليلي) لصحيفة تابعة لحكومة عربية:

((الفارق الأساسي بين فلسطين وإسرائيل هو أن فلسطين وطن وإسرائيل دولة.

لم يغب الوطن الفلسطيني قط عن ضمير أبنائه حتى حينما كانت الدولة تبدو بعيدة بعيدة .. فقد كان الوطن الفلسطيني حاضراً في الكارثة وفي المأساة التي لحقت بالفلسطينيين، وكان حضوره أقوى في المقاومة وفي الثورة

لقد فرض الوطن " فلسطين " نفسه حتى على الذين استبد بهم اليأس أو الخوف أو الاستسلام .. حتى جاءت اللحظة الموعودة لتسجيل الوطن " فلسطين " باسم الدولة.

لقد كان تاريخ ٤ أيار ١٩٩٩ وعداً للوطن .. لا وعداً بوطن.

لهذا فإن الحنث بهذا الوعد كان خذلاناً للوطن الفلسطيني. تسأل عنه قيادة آثرت أن تفي بوعودها للواقفين بوجه فلسطين الوطن والدولة على أن تفي بهذا الوعد للوطن. تسأل عن هذا الخذلان للوطن قيادة أعدت للانسحاب من معركة الدولة بكل وسائل التخويف والترهيب والتقرّب إلى العدو واسترضاء الحليف السند الأكبر للعدو .. بدلا

من أن تستعد لهذه المعركة بجعل نتائج المواجهة بين إعلان الدولة الفلسطينية وكل الإجراءات المضادة، كارثة على العدو ودولته وسياسته.

هذه القيادة هي المسؤولة عن تعبئة الحكومات "الصديقة" وراء التأجيل .. راحت تتسول ببيانات التأييد للتأجيل ..

لكن، هل كان من المشروع أو الأخلاقي أو التاريخي بأي معنى أن يؤجّل تتويج الوطن الفلسطيني بتاج الدولة لأسباب من نوع الانتخابات الإسرائيلية؟ إن وضع الدولة الفلسطينية في موقع الارتهان للسياسة الداخلية الإسرائيلية والسياسة الخارجية الأمريكية ليس فقط خذلاناً للوطن الفلسطيني، إنه إرساء لقواعد بالغة الخطورة لما يمكن أن يشكّل شروط الدولة الفلسطينية عندما تقوم، وطبيعة علاقاتها الخارجية، خصوصاً مع إسرائيل والولايات المتحدة.

لقد أنقذت القيادة الفلسطينية الراهنة أعداء الوطن الفلسطيني والدولة الفلسطينية من الوقوع في سلسلة أخطاء فادحة استراتيجية وسياسية وقانونية، عندما سمحت لتاريخ ٤ أيار بأن يأتي ويمضي هكذا .. وكأنه واحد من الأيام الكثر.

وعلى هذا المنوال، وفي إطار هذه الطريقة في القيادة، فإن أسباب التأجيل ستكون حاضرة دائماً .. لكن شجاعة الوطن الفلسطيني حاضرة بالمثل ولن تسمح بخذلانه مرة أخرى)).

- <u>بتطبيق صيغة إيكو، يتبيّن:</u>

إعلان الدولة

مقدّمة واحدة ← رأي وحيد ← تحليل أحادي ← عالم دلالي متناغم ← نتائج استقصائية =

أيـــــــــــــــــــــو لـــــــــــــــــــــوجيا

مقدّمات متباينة ← عرض تعدّدي ← تحليل متشعّب ← عالم دلالي متناقض ← ترجيح رأي الكاتب =

أيـــــــــــــــــــــو لـــــــــــــــــــــوجيا

اتّبع الكاتب (الوسيلة الإعلامية) اتّجاه الأسهم في الأعلى، لاغياً تماماً اتّجاه الأسهم في الأسفل.

المراجع العربية

- طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة رابعة، ١٩٨١.
- طه حسين، من حديث الشعر والنثر، دار المعارف بمصر، من دون تاريخ.
- محمد ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، السفر الأول والثاني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة،١٩٨٠.
- الجاحظ، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، من دون تاريخ.
- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥.
- فريال مهنا، نحو بلاغة إعلامية معاصرة، منشورات جامعة دمشق، الجزء الأول ١٩٩٣، الجزء الثاني ١٩٩٥.
- فريال مهنا، تقانات الإقناع في الإعلام الجماهيري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٩.

المراجع الأجنبية

- Lionel Bellenger, L'Expression Ecrite, Ed. P. U. F., Paris 1981.
- Lionel Bellenger, L'Expression Oracl, 2^0 Ed. P. U. F., Paris 1983.
- Escarpit Robert, L'Ecrit et La Communication, Ed. P. U. F., Paris 1984.
- Umbcort Eco, A Theory of Scmiotics, Indian University press, IV ED. Bompiani, Milano 1975.
- P. Lazarsfeld & R. Morton, Sociologic dc L'Information, Ed. Librairic Laroussc, Paris 1973.
- Jacqucs Durand, Lcs Form's de la Communication, Ed. Dunod, Paris 1981.
- Madeline Dimaggio, How Write for TV, Ed. Prentice Hall Press, NewYork 1990.
- David Glover, The Sociology of the Mass Media, Ed. Causewway Book, CLP, Lancashirc 1984.
- Domenach Jean-Marie, La Propagand Politique, P. U. F., 8^0 Ed., Paris 1979.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ٢٠/٩/١٩٩٨



أثر التنوع في عدد البدائل الصحيحة والخاطئة في اختبارات الصواب أو الخطأ المتعدد في خصائصها السيكومترية

د. يوسف سوالمة ـ أحمد قواسمة
قسم المناهج ـ كلية التربية
جامعة اليرموك

الملخص

هدفت الدراسة إلى بحث أثر توزيع عدد البدائل الصحيحة والخاطئة في اختبارات الصواب أو الخطأ المتعدد في خصائصها السيكومترية. وتألفت عينة الدراسة من (٩٣) طالباً وطالبة في مساق التقويم في التربية الابتدائية و (١٤٥) طالباً وطالبة في مساق مقدمة في البحث والإحصاء التربوي. واشتملت أدوات الدراسة في كل مساق على اختبارين من إعداد مدرس المساق: تكون الأول من ٢٠ فقرة اختيار من متعدد؛ وتكون الثاني من ٢٠ فقرة صواب أو خطأ متعدد. وتم بناء ثلاثة نماذج للاختبار الثاني. وتختلف النماذج الثلاثة فقط في توزيع عدد البدائل الصحيحة والخاطئة؛ فجميع فقرات النموذج الأول تنتمي إلى فئة واحدة من حيث البدائل الصحيحة، حيث تحتوي كل فقرة بديلين صحيحين من بين أربعة بدائل. وتنتمي فقرات النموذج الثاني إلى فئتين من الفقرات، حيث تحتوي كل فقرة من الفئة الأولى بديلاً واحداً صحيحاً وثلاثة بدائل خاطئة، وتحتوي كل فقرة من الفئة الثانية ثلاثة بدائل صحيحة وبديلاً واحداً خاطئاً. أما فقرات النموذج الثالث فتنتمي إلى ثلاث فئات من حيث عدد البدائل الصحيحة، تحتوي كل فقرة من الفئة الأولى بديلاً واحداً وتحتوي كل فقرة من الفئة الثانية بديلين صحيحين، وتحتوي كل فقرة من الفئة الثالثة ثلاثة

بدائل صحيحة. وقد وزعت النماذج الثلاثة بالإضافة إلى اختبار الاختيار من متعدد عشوائياً على الطلبة بحيث طبق كل نموذج على ثلث طلبة المساق تقريباً. وقد حسبت مؤشرات الثبات والصدق التلازمي في النماذج الثلاثة. وأشارت النتائج وجود اختلافات في قيم الثبات التلازمي ولصالح النموذج الذي يحتوي على أكبر عدد من الفئات لفقرات الصواب أو الخطأ المتعدد من حيث البدائل الصحيحة.

المقدمة:

يعد التقويم عنصراً أساسياً في العملية التعليمية. ويعني التقويم بتحديد مستوى ما تحقق لدى التلميذ من نتاجات تعليمية وخبرات مكتسبة، ومدى توافقها مع الأهداف المرسومة (Tyler, 1974). ويميز المعنيون بالقياس التربوي بين مصطلحات التقويم والقياس والاختبار، وينسبون لكل منها دوراً معيناً، فالاختبار هو أسلوب أو طريقة منظمة لقياس عينة من السلوك. ويشير مصطلح القياس إلى العملية المنظمة التي عن طريقها يمكن الحصول على وصف كمي لخصائص الشيء وفق قاعدة معينة، أما التقويم فهو عملية استخدام المعلومات أو البيانات التي يوفرها القياس بهدف إصدار أحكام أو قرارات تتعلق بمدى التوافق بين الأداء والأهداف (Gronlund, 1985).

وتختلف وسائل القياس وتتنوع باختلاف مستويات الأهداف المراد قياسها وأنواعها فقد تكون هذه الوسائل على صورة اختبارات كتابية أو شفوية أو أدائية كما يمكن استخدام أساليب أخرى غير الاختبارات كمقاييس التقدير أو ملاحظة السلوك. وللاختبارات أشكال متعددة، فمنها ما يتطلب من المفحوص أن يعطي الإجابة بلغته الخاصة كاختبارات المقال والإجابة القصيرة والتكميل، ومنها ما يتطلب منه أن يختار الإجابة الصحيحة من بين مجموعة من الخيارات المتوافرة (البدائل)

كاختبارات المطابقة (م) والصواب أو الخطأ (ص خ) والاختيار من بديلين (خ ب) والاختيار من متعدد (خ م) Multiple Choice، والاختيار المركب من متعدد (خ م م) Complex Multiple Choice، والصواب أو الخطأ المتعدد (ص خ م) Multiple True-False.

وتستخدم الاختبارات بأشكالها المختلفة في البرنامج التعليمي لتقويم السلوك الحاصل لدى التلاميذ، أو ملاحظة مدى تقدمهم، أو تحديد الصعوبات والمشكلات التعليمية التي تعترضهم، أو في قياس نواتج عملية التعلم. وتفيد نتائج الاختبارات في مقارنة

التلاميذ بعضهم ببعض، أو في تشخيص جوانب القوة والضعف لديهم، أو في انتقاء الأفراد للوظائف أو البرامج التعليمية المختلفة.

وتتحكم مجموعة من العوامل في اختيار الشكل المناسب لفقرات الاختبار كمستوى الهدف المراد قياسه، وعمر المفحوص، وطبيعة المادة الدراسية، وغرض الاختبار (نورنداليك، هيجن ١٩٨٦). ويلاحظ أن فقرات الاختيار من متعدد هي الأكثر استعمالا لقياس تحصيل الطلبة في العديد من الأغراض التربوية (Gronlund, 1985)، فهي تتفوق على فقرات الصواب أو الخطأ في قياس تحصيل الطلبة، وتتسم النتائج المتوافرة عنها بدرجة عالية من الصدق والثبات. وتتمتع فقرات الاختيار المركب من متعدد باستعمال واسع في الاختبارات المقننة، ولاسيما في المجالات الطبية (Albanese, 1993). وفي الآونة الأخيرة، زاد الاهتمام بفقرات الصواب أو الخطأ المتعدد حيث يتوافر الكثير من المؤشرات التي تؤيد استمالها على نطاق أوسع مما هو عليها الآن (سوالمة، ١٩٩٤ Frisbie and Sweeney, 1982).

ونظرا للتشابه الكبير بين الأنواع الثلاثة من الفقرات، فمن المفيد وصف مكونات كل منها بهدف تعرف خصائصها والاختلافات فيما بينها. ففقرة الاختيار من متعدد تتكون من متن (Stem) ومجموعة من البدائل حيث يطلب من المفحوص اختيار البديل الصحيح (أو الأكثر صحة) من بين هذه البدائل. وتتكون فقرة الاختيار المركب من متعدد من متن وقائمتين من الإجابات المحتملة. تدعى القائمة الأولى بمجموعة الاستجابات الرئيسة (Primary Responses)، وهي تمثل مجموعة من الإجابات المحتملة التي تناظر قائمة البدائل في فقرة الاختيار من متعدد. وتدعى القائمة الثانية بمجموعات الإختيارات الثانوية (Secondary Choices) وهي بمثابة مجموعة من الخيارات المركبة التي يشكل كل منها تركيبا معينا لاستجابات القائمة الأولى. ويطلب إلى المفحوص الإجابة عن هذه الفقرة أن يختار أحد البدائل الثانوية. أما فقرة الصواب أو الخطأ المتعدد فتتكون من متن ومجموعة من البدائل كما هو الحال في

فقرة الاختيار من متعدد، وبدلاً من اختيار بديل واحد صحيح من بين مجموعة البدائل في فقرة الاختيار من متعدد، يطلب إلى المفحوص في فقرة الصواب أو الخطأ المتعدد أن يتعامل مع المتن وكل بديل من البدائل المختلفة بصفته فقرة صواب أو خطأ منفصلة، وتوضح الأمثلة المبينة في النموذج (١) طبيعة هذه الأنواع من الفقرات، حيث روعي فيها أن تعالج المحتوى نفسه ويكون لها المتن نفسه.

نموذج (١)

أمثلة توضح فقرات الاختيار من متعدد، الاختيار المركب من متعدد، والصواب أو الخطأ المتعدد

مثال (١): فقرة اختيار من متعدد (خ م) [ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة]

* إذا كانت الرتبة المئينية للعلامة ٧٠ تساوي ٦٠ فإن:

أـ ٧٠% من العلامات تقل عن ٦٠

ب ـ ٤٠% من العلامات تزيد على ٧٠

جـ ـ ٦٠% من العلامات تزيد على ٧٠

د ـ ٣٠% من العلامات تزيد على ٦٠

مثال (٢): فقرة اختيار مركب من متعدد (خ م م) [ضع دائرة حول رقم الإجابة الصحيحة من بين الاستجابات الثانوية].

* إذا كانت الرتبة المئينية للعلامة ٧٠ تساوي ٦٠ فإن:

الاستجابات الرئيسة

أ- ٧٠% من العلامات تقل عن ٦٠

ب- ٤٠% من العلامات تزيد على ٧٠

جـ- ٦٠% من العلامات تزيد على ٧٠ أو تساويها

د- ٣٠% من العلامات تزيد على ٦٠

١- أ، ب، جـ

٢- ب، جـ

٣- ب، أ

٤- د فقط

٥- أ، ب، ج، د

مثال (٣): فقرة صواب أو خطأ متعدد (ص خ م) [أجب بنعم أو لا لكل بديل فيمايلي:]

* إذا كانت الرتبة المئينية للعلامة ٧٠ تساوي ٦٠ فإن:

(لا) أ- ٧٠% من العلامات تقل عن ٦٠

(نعم) ب- ٤٠% من العلامات تزيد على ٧٠

(نعم) جـ- ٦٠% من العلامات تقل عن ٧٠ أو تساويها

(لا) د- ٣٠% من العلامات تزيد على ٦٠

وهكذا تتميز فقرات الاختيار المركب من متعدد وفقرات الصواب أو الخطأ المتعدد عن فقرات الاختيار من متعدد في إمكان وجود أكثر من بديل صحيح ضمن مجموعة بدائل الإجابة حتى في حال وجود أكثر من بديل صحيح في فقرة الاختيار من متعدد فإنه يطلب إلى المستجيب اختيار إجابة واحدة تمثل البديل الأكثر صحة. وفي الوقت

الذي لا تراعي فقرات الاختيار من متعدد وفقرات الاختيار المركب من متعدد المعرفة الجزئية نجد أن فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد تتميز في مراعاتها للمعرفة الجزئية. وتقوم طريقة تصحيح فقر الصواب أو الخطأ المتعدد (MTF Scoring) على افتراض أن هناك معلومات صادقة في كل استجابة من استجابات المفحوص إذ يطلب من المفحوص في هذا النوع من الأسئلة أن يوضح صحة كل بديل من بدائل الفقرة وخطأه مما يتيح التعرف إلى المعرفة الجزئية للمفحوص وإعطاء درجات عليها، فالمفحوص الذي يجيب بشكل صحيح بديلاً، بديلين، أو ثلاثة بدائل من بين أربعة بدائل لديه معرفة جزئية يجوز مكافأته عليها (Albanese & Sabers, 1988).

ويؤخذ على فقرات الاختيار المركب من متعدد أنها توفر في كثير من الأحيان منبهات للإجابة الصحيحة فمثلاً في المثال السابق، توحي معرفة أن البديل أ هو بديل خاطئ باستبعاد الاستجابات ١، ٣، ٥ من قائمة الاستجابات الثانوية. وبسبب بمنبهات الإجابة في فقرات الاختيار المركب من متعدد فقد أوصى هلادينا ودونينك (Haladyna & Downing, 1989) بتجنب استخدامها. وفي السنوات الأخيرة، توفر المزيد من الأدلة على وجود مشكلات في فقرات الاختيار المركب من متعدد. وقد عززت هذه الأدلة توصية هلادينا ودوننق لدرجة أن العديد من المؤسسات التي تُعنى ببناء الاختبارات المقننة وإدارتها وعلى رأسها المجلس القومي للفاحصين في المجالات الطبية (NBME (National Board of Medical Examiners إستجابت لتلك التوصية واتخذت قراراً يقضي بتجميد استخدام هذه النوع من الفقرات (Albanes, 1993).

ويتوقع لفقرات الصواب أو الخطأ المتعدد أن تكون البديل المرتقب لفقرات الاختيار المركب من متعدد. فمن الناحية النظرية، يؤمل منها أن تعطي النتائج المرغوبة التي تعطيها فقرات الاختيار من متعدد نفسها (Frisbie & Sweeng,

1982). وتمتاز عن فقرات الاختيار من متعدد بمراعاتها للمعرفة الجزئية حيث أنه في الوقت الذي تخضع فيه فقرة الاختيار من متعدد للعدم أو الكل من خلال كون علامة الطالب عليها صفراً أو واحداً صحيحاً، نجد أن علامة الطالب على فقرة الصواب أو الخطأ المتعدد التي تتضمن أربعة بدائل عندما تستخدم طريقة تصحيح الصواب أو الخطأ المتعدد (Albanes, Kent, and Whitenty, 1979) هي صفر، ربع، نصف، ثلاثة أرباع، أو واحد صحيح حسب عدد البدائل التي تم الإجابة عنها بشكل صحيح. كما تمتاز عن فقرات الاختيار من متعدد بكون احتمال الحصول على علامات مرتفعة عليها بالتخمين العشوائي اقل مما هو عليه في فقرات الاختيار من متعدد إذ إن احتمال الحصول على العلامة الكاملة للفقرة (١) بالتخمين العشوائي لفقرة الاختيار من متعدد ذات أربعة البدائل يساوي (٠,٢٥). في حين أن احتمال الحصول على العلامة الكاملة للفقرة (١) بالتخمين العشوائي لفقرة الصواب والخطأ المتعدد ٠,٠٦٢٥ ويؤيد جروس (Gross, 1978) استعمال فقرات الصواب والخطأ المتعدد، وفي الوقت نفسه يرى أنه لا داعي لتصحيح العلامات عليها لأثر التخمين.

ومن الناحية العملية فقد أشارت نتائج مجموعة من الدراسات إلى (Hills and Woods, 1974; Frisbie and ory' 1980; Frisbie and Sweeney, 1982; Kreiter and Frisbie, 1989; Frisbie, 1992) تفوق فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد على فقرات الاختيار من متعدد في قياس تحصيل الطلبة بدقة من حيث الصدق والثبات ودرجة تفضيل الطلبة لها. وتمثل ذلك بالحصول على قيم أعلى لمعاملات الصدق والثبات وقيم أقل للأخطاء المعيارية في القياس.

ويؤخذ على الدراسات السابقة أنها لم تأخذ في الحسبان عدد البدائل الصحيحة في فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد عند مقارنتها مع فقرات الاختيار من متعدد. فقد اكتفت تلك الدراسات بتثبيت محتوى الاختبار وعدد فقراته ولم تحاول ضبط متغير

عدد البدائل الصحيحة في فقرة الصواب أو الخطأ المتعدد والذي يتوقع له في الفقرة المكونة من أربعة بدائل أن يأخذ القيم: صفراً، ١، ٢، ٣، ٤، وتعني القيمة صفر أن جميع البدائل خطأ.

وتعد دراسة السوالمة (سوالمة ١٩٩٤) أول دراسة اهتمت بمتغير عدد البدائل الصحيحة حيث تم ضبطه من خلال إدخاله للدراسة. فقد درست الخصائص النسبية لفقرات الصواب أو الخطأ المتعدد مقارنة مع فقرات الاختيار من متعدد التي توازيها في المحتوى والعدد في ضوء عدد البدائل الصحيحة في فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد. واشتملت أدوات الدراسة على اختبارين متوازيين في المحتوى وفي عدد الفقرات، يتكون الأول من ٢٤ فقرة من نوع الاختيار من متعدد لكل منها أربعة بدائل ويتكون الثاني من ٢٤ فقرة من نوع الصواب أو الخطأ المتعدد وكل فقرة في الاختبار الثاني تقابل فقرة اختيار من متعدد في الاختبار الأول حيث أن فقرات الاختبار الثاني هي نتاج لعملية تحويل فقرات الاختبار الأول إلى فقرات الاختبار الأول إلى فقرات صواب أو خطأ متعدد من خلال إحداث تغييرات بسيطة في الصياغة أو في تعليمات الإجابة مع المحافظة على محتوى الفقرات. وقد صُنفت فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد إلى ثلاث فئات حسب متغير عدد البدائل الصحيحة فيها: (٩) فقرات فيها أقل من بديلين صحيحين، (١٣) فقرة فيها، بديلان صحيحان، وفقرتان فيهما أكثر من بديلين صحيحين وقد حسبت الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ومعاملات ثبات الاتساق الداخلي وفق معادلة كرونباخ الفا لكل فئة من فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد ولفقرات الاختيار من متعدد المقابلة لها. وأسفرت نتائج الدراسة عن أن الاختلاف في توزيع عدد البدائل الصحيحة في فقرات اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد يؤدي إلى اختلاف درجة الصعوبة النسبية له عنها لاختبار الاختيار من متعدد الذي يناظره في محتوى الفقرات. وأشارت بيانات الثبات المتوافرة عن الدراسة إلى تفوق فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد

على فقرات الاختيار من متعدد المناظرة. وكان التفوق أبرز ما يكون في حالة فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد ذات البديلين الصحيحين.

وفيما يتعلق بالدراسة السابقة فهي لا تساعد على مقارنة الفئات المختلفة لأسئلة الصواب أو الخطأ المتعدد بعضها ببعض. ويعود ذلك إلى الاختلاف في محتوى الفقرات وعددها من فئة إلى أخرى. وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن التحكم بتأثير عدد الفقرات في خصائصها السيكومترية من خلال الضبط الإحصائي، بينما لا يمكن التحكم بتأثير المحتوى للفقرات إلا بالضبط التجريبي.

وتعد دراسة السوالمة (Alswalmeh, in press) حول أثر عدد الفقرات الصحيحة في استقلالية الفقرات وخصائص أخرى في اختبارات الصواب أو الخطأ المتعدد أول دراسة تهتم بمقارنة نماذج مختلفة لاختبار صواب أو خطأ متعدد في ضوء عدد البدائل الصحيحة في الفقرة. فقد جرى مقارنة ثلاثة نماذج (أ، ب، جـ) لاختبار صواب أو خطأ متعدد يغطي الثلث الأول من محتوى مساق في الإحصاء التحليلي الطلبة الدراسات العليا في التربية من حيث استقلالية الفقرات، والثبات، والصدق التنبؤي، والنماذج الثلاثة متماثلة في المحتوى وفي عد الفقرات لكنها مختلفة في عدد البدائل الصحيحة للفقرة، إذ تشتمل كل فقرة في النموذج (أ) على بديل واحد صحيح، وتشتمل كل فقرة في النموذج ب على بديلين صحيحين، وتشتمل كل فقرة في النموذج ج على ثلاثة بدائل صحيحة. وقد أشارت النتائج إلى أن ارتباط فقرات الصواب أو الخطأ المشتركة في المتن نفسه بعضها ببعض أقوى من ارتباطها بالفقرات الأخرى، وقد تحققت أعلى درجات الاستقلالية للنموذج ب حيث يتساوى عدد البدائل والخاطئة. وقد أشارت بيانات الثبات إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=٥ و٠) وعملية بين قيم الثبات للنماذج الثلاثة تعزى إلى اختلاف عدد البدائل الصحيحة في الفقرة. وقد بلغت قيم معاملات ثبات الاتساق الداخلي المحسوبة وفقاً لمعادلة كرونباخ الفا ٠,٧٩ للنموذج أ، ٠,٨٦ للنموذج ب، و٠,٤٦ للنموذج جـ.

وتشير مؤشرات الصدق التنبؤي إلى أن النموذج ب هو الأقدر على التنبؤ بالتحصيل اللاحق.

ويجدر في تفسير تفوق النموذج (ب) في الدراسة السابقة على النماذج الأخرى من حيث الصدق والثبات الانتباه إلى عاملين: الأول يتعلق بكونه يتكون من فقرات جميعها ذات بديلين صحيحين، والثاني يتعلق بكونه الأكثر انسجاماً مع الإرشادات الخاصة ببناء اختبارات الصواب أو الخطأ بخاصة تلك التي تقتضي أن يكون مجموع الفقرات الصحيحة في الاختبار مساوياً مجموع الفرات الخاطئة. ومن المعلوم أن العامل الثاني هو نتيجة ضمنية للعامل الأول، وعلى الرغم من ذلك فإن تصميم تلك الدراسة لا يسمح بتحديد أيهما الأكثر إسهاماً في تفسير ذلك التفوق. إذ يمكن ذلك فقط، عندما يتم ضبط أحدهما ومعالجة الآخر، وهذا الأمر هو مجال اهتمام الدراسة الحالية.

وتهتم الدراسة الحالية بمقارنة ثلاثة نماذج لاختبار صواب أو خطأ متعدد متماثلة في المحتوى وعدد الفقرات من حيث الثبات والصدق المرتبط بمحك مع ضرورة تثبيت أحد العاملين المشار لهما سابقاً في تصميمها ومعالجة الآخر. ولكون العامل الثاني نتيجة ضمنية للعامل الأول، فإنه لا يجوز تثبيت العامل الأول، حيث يعني تثبيته تلقائياً تثبيت العامل الثاني. لذلك فقد جرى تثبيت العامل الثاني واستحداث اختلافات مقصودة بين النماذج الثلاثة على العامل الأول. أي أن النماذج الثلاثة متماثلة في قضية تساوي مجموع الفقرات الصحيحة والخاطئة لكنها مختلفة في توزيع الفقرات حسب عدد البدائل الصحيحة. ويتوقع أن تسهم نتائج هذه الدراسة في إعطاء صورة أوضح عن اختبارات الصواب أو الخطأ المتعدد وقواعد بنائها.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

لقد وفرت الدراسات السابقة إجابات معقولة لعدد من الأسئلة المتعلقة باختبارات الصواب أو الخطأ المتعدد، مقارنة مع غيرها من الفقرات، من حيث الطرائق المناسبة لتقدير ثباتها، ومؤشرات صدقها، وصعوبتها، وتقبل التلاميذ لها واستقلالية فقراتها. واستناداً إلى مراجعة فرزبي (Feisbie, 1992) الشاملة للأدب التربوي المتعلق باختبارات الصواب أو الخطأ المتعدد، فقد ذهب إلى الاستنتاج بأنه يمكن تحسين قياس التحصيل التربوي من خلال زيادة استعمال هذا النوع من الاختبارات سواء في القياس الصفي، أو في الاختبارات المقننة التي تستخدم لأغراض التعيين أو منح الدرجات.

وتقتضي مسألة التوسع في استعمال هذه لاختبارات، الإلمام بها، والوعي بقواعد بنائها، واكتساب مهارات إعدادها. وللأسف، فإنه في الوقت الذي تؤدي فيه كتب القياس والتقويم المتوافرة حالياً دوراً أساسياً في التعريف بالأنواع المختلفة للأسئلة والإرشادات الخاصة بكتابتها، يلاحظ أنها عاجزة عن أداء الدور نفسه فيما يتعلق باختبارات الصواب أو الخطأ المتعدد. ولذلك ما يبرره، فالمعرفة الشاملة باختبارات الصواب أو الخطأ المتعدد لم تكتمل بعد، وبعض الإرشادات الخاصة بقواعد بنائها لا زالت غير معروفة ولم تتطرق لها الدراسات التجريبية. وتأتي الدراسة الحالية امتداداً للدراسات السابقة في محاولة منها للإسهام في تحديد معالم أخرى تتعلق باختبارات الصواب أو الخطأ المتعدد وقواعد بنائها. فقد أجريت هذه الدراسة بهدف مقارنة ثلاثة نماذج لاختبار صواب أو خطأ متعدد من حيث الثبات والصدق التلازمي. والنماذج الثلاثة متماثلة من حيث المحتوى وعدد الفقرات، ويتساوى في كل منها المجموع الكلي للبدائل الصحيحة والخاطئة، لكنها تختلف في توزيع عدد

البدائل الصحيحة في فقرات الاختبار. وبالتحديد فقد حاولت الدراسة الإجابة عن السؤالين التاليين:

١- هل تختلف قيمة معامل ثبات الاتساق الداخلي لاختبار صواب أو خطأ متعدد يتساوى فيه المجموع الكلي للبدائل الصحيحة والخاطئة باختلاف توزيع عدد البدائل الصحيحة في الفقرات؟

٢- هل تختلف قيمة معامل الصدق التلازمي لاختبار صواب أو خطأ متعدد يتساوى فيه المجموع الكلي للبدائل الصحيحة والخاطئة باختلاف توزيع عدد البدائل الصحيحة في الفقرات؟

الطريقة والاجراءات

عينة الدراسة

تألفت عينة الدارسة من (٢٣٨) طالبا وطالبة هم جميع المسجلين في شعبتين لمساق التقويم في التربية الابتدائية وثلاث شعب لمساق مقدمة في البحث والإحصاء التربوي خلال الفصل الثاني من العام الدراسي ١٩٩٦/١٩٩٥ في جامعة اليرموك، والذين تقدموا للامتحان النهائي في موعده المقرر. ويعد المساق الأولى واحدا من المتطلبات الإجبارية لطلبة التربية الابتدائية (معلم صف) وبلغ عدد الطلبة فيه (٩٣) طالبا وطالبة. أما المساق الثاني فهو متطلب إجباري لطلبة التخصص الفرعي في التربية، وبلغ عدد الطلبة فيه (١٤٥) طالبا وطالبة. وقد تم تدريس المساقين من قبل الباحثين، وفي تقديرهما لم يختلف أداء أفراد عينة الدراسة في المتوسط على الاختبارات الفصلية (الأول والثاني) في المساقين عن أداء الطلبة في السنوات السابقة، مما يمكنهما من عد عينة الدراسة ممثلة للطلبة الذين يدرسون هذين المساقين.

أداة الدراسة:

تكونت أداة الدراسة في كل مساق من الاختبار النهائي لذلك المساق وبواقع (٤٠) فقرة تغطي المحتوى التعليمي للمساق. وكل اختبار يتضمن (٢٠) فقرة من نوع الاختيار من متعدد (خ م) و (٢٠) فقرة من نوع الصواب أو الخطأ المتعدد (ص خ م)، حيث يتبع لكل فقرة أربعة بدائل. وقد تم تشكيل ثلاثة نماذج لاختبار الصواب أو الخطأ المتعدد من خلال إحداث تغييرات بسيطة في الصياغة أو البدائل مع مراعاة المحافظة على محتوى الفقرات. يتكون النموذج الأول من (١٠) فقرة صواب أو خطأ متعدد في كل منها بديلان صحيحان وبديلان خاطئان وبذلك يتساوى المجموع الكلي للبدائل الصحيحة والخاطئة في هذا النموذج (٤٠) بديلاً لكل منهما. ويتكون النموذج الثاني من (١٠) فقرات في كل منها بديل صحيح واحد وثلاثة بدائل خاطئة، و (١٠) فقرات في كل منها ثلاثة بدائل صحيحة وبديل خاطئ واحد. ويتجمع لهذا النموذج (٤٠) بديلاً صحيحاً و (٤٠) بديلاً خاطئاً وبذلك يتساوى المجموع الكلي للبدائل الصحيحة والخاطئة. أما النموذج الثالث، فيتكون من (١٠) فقرات في كل منها بديلان صحيحان وبديلان خاطئان. و (٥) فقرات في كل منها ثلاثة بدائل صحيحة وبديل خاطئ واحد، و (٥) فقرات أخرى في كل منها بديل صحيح وثلاثة بدائل خاطئة. ويتجمع لهذا النموذج (٤٠) بديلاً صحيحاً و (٤٠) بديلاً خاطئاً. ويبين جدول رقم (١) توزيع فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد في النماذج الثلاثة للاختبار حسب عدد البدائل الصحيحة والخاطئة فيها.

وتجدر الإشارة إلى أن وجود فقرات الاختيار من متعدد في كل من الاختبارين يؤدي غرضين هما: ١- استخدام العلامات عليها للتحقق من أن التوزيع العشوائي لنماذج الاختبار قد أدى الهدف منه وهو تشكيل مجموعات متكافئة، و ٢- استخدام العلامات عليها كمحك في تقدير الصدق المحكي لنماذج اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد. ويضاف إلى ذلك أن الاختبارات المستخدمة في كل مساق هي من إعداد مدرس

المساق وليست اختبارات مقننة ولا يتوقع أن ترقى خصائصها السيكومترية إلى المستوى الذي تتمتع به الاختبارات المقننة، وفي الدراسة الحالية يسعى الباحثان إلى دراسة خصائص الجانب الثاني من كل اختبار (الصواب والخطأ المتعدد) ومعرفة مدى تأثرها بتنوع عدد البدائل الصحيحة للفقرة. وفيما يتعلق بالجانب الأولى للاختبار (الاختيار من متعدد) فإن تصميم الدراسة وهو تصميم المجموعات العشوائية يأخذ جوانب الضعف الموجودة في هذا الاختبار. إذ يتوقع أن يكون تأثير الضعف في صدق تمثيل هذا الاختبار وثباته متعادلاً في المجموعات الثلاث كون الاختبار مشتركاً فيما بينها. هذا مع العلم أن الاستجابة لفقرات الجانب الثاني مستقلة عن الاستجابة لفقرات الجانب الأول.

جدول رقم (١)

توزيع فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد لنماذج الاختبار

حسب عدد البدائل الصحيحة فيها

نموذج الاختبار	البدائل الصحيحة والخاطئة في الفقرة			المجمع الكلي للفقرات	المجموع الكلي للبدائل الصحيحة
	(٢ص،٢خ)	(١ص،٣خ)	(٣ص،١خ)		
الأول أ	٢٠	٠	٠	٢٠	٤٠
الثاني ب	٠	١٠	١٠	٢٠	٤٠
الثالث جـ	١٠	٥	٥	٢٠	٤٠

الإجراءات:

طبقت أدوات الدراسة بنماذجها المختلفة على عينة الدراسة في الظروف العادية لتطبيق الاختبار النهائي. حيث وزعت كراسة اختبار كل مساق على طلبة ذلك المساق. وتتضمن كراسة تعليمات تتعلق بكيفية الاستجابة لفقرات الاختبار، وأسئلة الاختبار. فبعد جلوس الطلبة للامتحان، وزعت نماذج الاختبار على الطلبة، وأسئلة

الاختبار. فبعد جلوس الطلبة للامتحان، وزعت نماذج الاختبار على الطلبة بشكل عشوائي. وبذلك انقسم الطلبة في كل مساق إلى ثلاث مجموعات عشوائية حسب نموذج الاختبار المعطى لهم: المجموعة أ، المجموعة ب، والمجموعة جـ وقد أشرف الباحثان على جميع إجراءات التطبيق في الاختبارين وساعدهم على ذلك مجموعة من طلبة ماجستير التربية في الجامعة. وقد استغرقت عملية التطبيق في كل مساق نحو (٩٠) دقيقة وهو الوقت المخصص للامتحان النهائي.

بعد الانتهاء من إجراءات التطبيق صححت الأوراق وأعطيت العلامات (صفر،١) لفقرات الاختيار من متعدد حسب كون الإجابة خاطئة أو صحيحة، وأعطيت العلامات لفقرات الصواب أو الخطأ المتعدد بحسب عدد الإجابات الصحيحة للبدائل فيها على النحو التالي هو: جميع الإجابات خاطئة =صفر، إجابة واحدة صحيحة=٢٥و٠، إجابتان صحيحتان = ٠,٥٠ ثلاث إجابات صحيحة = ٠,٧٥، جميع الإجابات صحية=١ وبذلك تكون الدرجة العليا على اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد وكذلك على اختبار الاختيار من متعدد (٢٠)، والدرجة الدنيا هي (صفر).

المعالجة الإحصائية:

بعد إدخال علامات الطلبة في المساقين إلى ذاكرة الحاسوب، حسبت مجموعة من الاحصائيات المتعلقة بفقرات الصواب أو الخطأ المتعدد وفقرات الاختيار من متعدد في كل من الاختبارين. بالفعل فقد حسبت الأوساط الحسابية، والانحرافات المعيارية ومعاملات α للثبات، ومعاملات الارتباط بين الدرجات على فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد والدرجات المناظرة على فقرات الاختيار من متعدد واستخدام تحليل التباين الأحادي لفحص فرضية تساوي المتوسطات الحسابية لأداء أفراد المجموعات الثلاث ف عينة الدراسة في كل مساق على كل من فقرات الاختيار من متعدد وفقرات الصواب أو الخطأ المتعدد. واستخدام اختبار هاكستين

ووالين (Hakstian & Whalen, 1976) لفحص فرضية تساوي معاملات α في الاتساق الداخلي، واستخدام الإحصائي V (Hays, 1981, P.467) لفحص فرضية تساوي معاملات الارتباط بين الدرجات على الاختبار الصواب والخطأ المتعدد والدرجات على اختبار الاختيار من متعدد.

النتائج

يبين الجدول (٢) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لاختباري الصواب أو الخطأ المتعدد والاختيار من متعدد ولمجموعات الدراسة الثلاث في كل من المساقين. لاحظ أن الأوساط الحسابية على اختبار الاختيار من متعدد ولمجموعات الدارسة في كل من المساقين متقاربة. فأعلى فرق في مساق التقويم في التربية الابتدائية هو ٠,٥ نقطة، وفي مساق متقدمة في البحث والإحصاء التربوي هو ٠,٤ نقطة. ولاختبار فرضية تساوي المتوسطات الثلاثة في كل مساق، استخدام تحليل التباين الأحادي أشارت نتائجه المبينة في جدول (٣) إلى قبول تلك الفرضية، بمعنى أن الفروق بين المتوسطات الثلاثة في كل مساق تعزى للصدفة وليس لها دلالة إحصائية، فقد بلغت قيمة الإحصائي ف (٠,٢٥) في المساق الأول و (٠,٣٥) في المساق الثاني وكلتا القيمتين غير دالة عند مستوى الدلالة الإحصائية (α=٠,٠٥) وتوفر هذه النتيجة الدليل على تكافؤ مجموعات الدراسة في كل مساق. وأما الأوساط الحسابية على نماذج اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد، فقد كانت متقاربة كذلك، لم ترق الفروق بينها إلى مستوى الدلالة الإحصائية (α=٠,٠٥)، وفقد بلغت قيمة ف المستخرجة من تحليل التباين الأحادي (٠,٦٤) في المساق الأول، و(١,٣٥) في المساق الثاني، وكلتا القيمتين تقل عن قيمة ف الحرجة. ($_{.05}F_{2,142}=3.060$)

جدول رقم (٢)

الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لأداء أفراد مجموعات الدراسة على الاختبارين في كل مساق.

المساق	المجموعة	الحجم	اختبار الاختيار من متعدد		اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد	
			س	ع	س	ع
التقويم في التربية الابتدائية	أ	٣١	١١,٣	٢,٥٠	١٤,٢	٢,٠٢
	ب	٣١	١١,٦	٢,٩٥	١٤,٧	٢,١٢
	ج	٣١	١١,٨	٢,٩١	١٤,٨	٢,٥٢
مقدمة في البحث والإحصاء التربوي	أ	٤٩	١٣,٦	٢,٢٦	١٣,٣	١,١٦
	ب	٤٨	١٣,٢	٢,١٨	١٣,٠	٢,٠٩
	ج	٤٨	١٣,٣	٢,٥٥	١٣,٧	٢,١٦

جدول (٣)

نتائج تحليل التباين الأحادي في المساقين

	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	ف
المساق الأول	بين المجموعات	٣,٩٢٤	٢	١,٩٦٢	٠,٢٥
	داخل المجموعات	٧٠٥,٦١٨	٩٠	٧,٨٠٦	
المساق الثاني	بين المجموعات	٤,٢١٤	٢	٢,١٠٧	٠,٣٥
	داخل المجموعات	٨٥٨,٤٧٢	١٤٢	٦,٠٤٥	

ويبين الجدول رقم (٤) قيم معامل الاتساق الداخلي المحسوبة وفقاً لمعادلـــة كرونبـــاخ ألفا للنماذج الثلاثة في اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد وفـــي كـــل مـــن المســـاقين.

ويتضح من الجدول أن أعلى قيم الثبات تحققت للنموذج جـ، وفي المساقين، إذ بلغت في المساق الأول ٠,٨٦ وفي المساق الثاني ٠,٧٦. وقد تحققت أدنى قيم الثبات للنموذج أ، وفي المساقين، إذ بلغت ٠,٦٥ في المساق الأول و ٠,٥٧ في المساق الثاني. وضمن كل مساق استخدم الإحصائي M الذي يتبع توزيع كاي تربيع بدرجات حرية تساوي (عدد المعاملات موضع المقارنة -١) المقترح من قبل كل من هاكسيتن ووالين (Hakstain & Whalen, 1976) لاختبار فرضية تساوي عدة قيم لمعامل ألفا في الثبات. وأفادت النتيجة بوجود فروق ذات دلالة إحصائية (α=٠,٠٥) في قيم الثبات تعزى لنموذج الاختبار في المساق الأول. إذ بلغت قيمة الإحصائي M (٦,٩١) وهي أعلى من القيمة الحرجة (٥,٩٩) لتوزيع كاي تربيع عند درجات حرية ($df = 2$) بينما فروق الثبات في المساق الثاني لم ترق إلى مستوى الدلالة الاحصائية (α=٠,٠٥)، فقد كانت قيمة M المحسوبة (٤,٢٠) وهي أقل من القيمة الحرجة (٥,٩٩) لتوزيع كاي تربيع. وأجريت المقارنات الثنائية في المساق الأول لمعرفة مواقع الفروقات في الثبات وفقا لاختبار فلدت (Feldt, 1969) وتبين أن هناك فروقا في الثبات ذات دلالة إحصائية بين النموذج جـ والنموذج أ وبين النموذج جـ والنموذج ب ولصالح النموذج جـ.

جدول رقم (٤)

معاملات الثبات لنماذج اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد في المساقين

المساق	النموذج	قيمة
التقويم في التربية الابتدائية	أ	٠,٦٥
	ب	٠,٧١
	جـ	٠,٨٦
مقدمة البحث والإحصاء التربوي	أ	٠,٥٧
	ب	٠,٧٤
	جـ	٠,٧٦

ويلاحظ أن متوسط الثبات للمساق الأول يساوي (٠,٧٤) وللمساق الثاني يساوي (٠,٦٩). وهذا متوقع إذ لا يعقل أن تكون جميع الاختبارات للمساقات المختلفة متساوية في ثباتها إذ إن كلا من الاختبارين هو من إعداد مدرس مختلف ولمساق مختلف وإذا ما افترض أن المدرسين يمتلكان الخبرة نفسها والمهارة نفسها في إعداد الاختبارات فإن التدني النسبي للثبات للاختبار الثاني مقارنا بالاختبار الأول قد يعزى إلى طبيعة المساق الثاني الذي يتناول جانبين هما البحث التربوي والإحصاء التربوي مما يؤدي إلى ضعف في التجانس الداخلي.

ويبين الجدول رقم (٥) قيم معاملات الارتباط الدالة على مؤشرات الصدق التلازمي لنماذج اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد في المساقين. حيث حسب معامل ارتباط بيرسون بين الدراسات على اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد من جهة، والدرجات على اختبار الاختيار من متعدد، من جهة أخرى، ولكل مجموعة من أفراد عينة الدراسة في المساقين. لوحظ من الجدول تفوق النموذج جـ على النماذج الأخرى في الصدق المحكي، وفي المساقين. فقد تحقق له أعلى قيمة مؤشرات الصدق المحكي وفي المساقين. فقد تحقق له أعلى قيمة في المساق الأول وهي ٠,٧٣ وأعلى قيمة في المساق الثاني وهي ٠,٥٧ ولمقارنة مؤشرات الصدق المحكي ضمن كل مساق استخدام الإحصائي Cited in Hays, 1981)V). وقد بلغت قيمة الإحصائي (١,٦١) في المساق الأول، (٠,١٧) في المساق الثاني. ولكلتا القيمتين أقل من قيمة كاي تربيع الحرجة (٥,٩٩) عند درجات حرية (d f=2). وبذلك فإن الفروق في مؤشرات الصدق المحكي لم ترق إلى مستوى الدلالة الإحصائية. بمعنى أن الفروقات يمكن أن تعزى لعوامل الصدفة أو الأخطاء العينية.

جدول رقم (٥)

قيم مؤشرات الصدق التلازمي لنماذج اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد في المساقين

المساق	النموذج	قيمة معامل الارتباط
التقويم في التربية الابتدائية	أ	٠,٥٣
	ب	٠,٦٥
	جـ	٠,٧٣
مقدمة في البحث والإحصاء التربوي	أ	٠,٥٥
	ب	٠,٥١
	جـ	٠,٥٧

مناقشة النتائج

ترتبط الخصائص السيكومترية لأي اختبار بمجموعة من العوامل التي يتصل بعضها بالاختبار نفسه ويتصل بعضها الآخر بعينة المفحوصين، فخصائص عينة المفحوصين تؤثر في الخصائص السكيومترية للاختبار، فكثيرا من تتقرر معالم الاختبار في ضوء خصائص الأفراد الذين يطبق عليهم الاختبار (Hambleton, 1989).

ومن هذا المنطلق سعى الباحثان إلى إجراء الدراسة وفق تصميم المجموعات العشوائية التجريبي في محاولة منهما لضبط تأثير خصائص عينة المفحوصين في الخصائص السيكومترية لنماذج اختبار من نوع الصواب أو الخطأ المتعدد، وزيادة في الاطمئنان إلى تكافؤ أداء المجموعات العشوائية المستخدمة في الدراسة، فقد حسبت المتوسطات الحسابية لها على اختبار الاختيار من متعدد بصفته الاختبار المشترك بين تلك المجموعات في كل مساق وتبين أن المتوسطات متقاربة جدا وأن الفروق بينها لا تعدو كونها نتيجة للأخطاء العشوائية. وتكافؤ الأداء للمجموعات الثلاث في كل مساق يمكننا من افتراض تعادل أثر هذه المجموعات في الخصائص السيكومترية لنماذج اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد المستخدمة في الدراسة.

وبناء على ذلك فإنه من الممكن تفسير الاختلافات في الخصائص السيكومترية لنماذج اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد في ضوء المتغير المستقل في الدراسة وهو اختلاف توزيع البدائل الصحيحة على فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد في الاختبار.

إذ تم تثبيت العوامل الأخرى المتصلة بنماذج الاختبار مثل المحتوى، وعدد فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد، وتساوي البدائل الصحيحة والخاطئة في كل نموذج. وبالقدر الذي يضمن لتصميم الدراسة درجة عالية من الصدق الداخلي للنتائج، فقد اهتمت الدراسة الحالية بالصدق الخارجي من خلال تكرار الدراسة في مساقين مختلفين للاطمئنان إلى إمكان تعميم نتائج الدراسة.

وتشير بيانات الثبات المتوافرة عن الدراسة إلى اختلاف النماذج الثلاثة للاختبار في قيم ثبات الاتساق الداخلي. وتؤكد البيانات في المساقين أن النموذج جـ يتمتع بأعلى قيمة للثبات تساوي ٠,٨٦ في المساق الأول و ٠,٧٦ في المساق الثاني ويليه النموذج ب الذي يتمتع بقيم ثبات تساوي ٠,٧١ في المساق الأول و ٠,٧٤ في المساق الثاني وأخيرا النموذج أ الذي يتمتع بأدنى قيمة للثبات تساوي ٠,٦٥ في المساق الأول و ٠,٥٧ في المساق الثاني.

وترقى الاختلافات بين النماذج الثلاثة في قيم الثبات إلى مستوى الدلالة الإحصائية (α=٠,٠٥) في المساق الأول فقط. فالفروق في المساق الثاني لاترقى إلى مستوى الدلالة الإحصائية (α=٠,٠٥) على الرغم من بلوغ أكبر فرق ثبات القيمة ٠,١٩. وتتأثر الدلالة الإحصائية لفروق الثبات بمواقع قيم الثبات، فاقتراب قيم الثبات موضع المقارنة من الطرف العلوي لتوزيع الثبات (أي من واحد صحيح) يزيد من فرص الدلالة الإحصائية وبالفعل فقد كانت قيم الثبات في المساق الأول أعلى منها في المساق الثاني الأمر الذي زاد من فرص الدلالة الإحصائية في ذلك المساق.

ويمكن تفسير ارتفاع الثبات في المساق الأول عنه في المساق الثاني إلى اختلاف عينة المفحوصين من جهة وطبيعة الاختبار من جهة أخرى. فطبيعة المساق الأول تفرض بأن يكون الاختبار الأول أكثر تجانسا من الاختبار الثاني، فالمساق الأول يغطي محتوى تعليميا في القياس والتقويم، والمساق الثاني، يغطي محتوى تعليميا في كل من البحث التربوي والإحصاء التربوي. وكما أن أداء عينة المفحوصين في المساق الثاني أكثر تجانسا من أداء عينة المفحوصين في المساق الأول، حيث ينعكس هذا سلبا على ثبات الاختبار في المساق الثاني. إذ يتوقع مع بقاء الأشياء الأخرى على حالها أن يقل الثبات بازدياد تجانس الأداء.

وكثيرا ما نرى المتخصصين في القياس النفسي يهتمون بالدلالة العلمية التي تقدر بمعامل إطالة الاختبار الذي يلزم للحصول على الدرجة المرغوب فيها للثبات. (Frisbie and Druav, 1980). ويبين جدول (٤) أن للاختلافات في قيم الثبات دلالات عملية. ففي المساق الأول، وباستخدام الصورة العامة لمعادلة سبيرمان - براون لثبات الاختبار. يتضح أننا نحتاج إلى إطالة النموذج أ إلى ما يزيد على ثلاثة أمثاله، وإلى إطالة النموذج ب إلى ما يزيد على ضعفيه، للحصول على درجة الثبات التي يتمتع بها النموذج جـ وفي المساق الثاني، نحتاج إلى إطالة النموذج أ إلى ما يزيد على ضعفية، ونحتاج إلى إضافة فقرتين للنموذج ب، من أجل الحصول على درجة الثبات التي يتمتع بها النموذج جـ. وبذلك يمكن الحصول على ثبات أعلى لاختبار تعدد فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد من حيث عدد البدائل الصحيحة، عند تعذر زيادة طول الاختبار.

وهكذا يبدو واضحا أن التنويع في فئات فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد من حيث عدد البدائل الصحيحة فيها يعزز من احتمال الحصول على قيم أعلى للثبات فالنموذج جـ يتضمن ثلاث فئات من هذه الفقرات، والنموذج ب يتضمن فئتين منها أما النموذج أ فيتضمن فئة واحدة. ويمكن تفسير ذلك بأن تعدد فئات فقرات الصواب أو

الخطأ المتعدد من حيث عدد البدائل الصحيحة فيها يقلل من احتمال الحصول على علامات مرتفعة في غياب المقدرة. فكون الفقرات من فئة واحدة، يسهل على التلاميذ معرفة عدد البدائل الصحيحة، وبالتالي استخدام حكمتهم في الإجابة للحصول على علامة مرتفعة حتى في غياب المقدرة للإجابة الصحيحة. فمثلا، إذا عرف المفحوص أن للفقرة بديلين صحيحين من بين أربعة بدائل، فإنه يكفي له معرفة بديل واحد صحيح أو خاطئ للحصول على ٧٥% من علامات الفقرة.

وتشير البيانات عن معاملات الصدق المحكي إلى وجود اختلافات في قيم الصدق ويلاحظ أن الصدق المحكي للنموذج جـ الذي يتضمن ثلاث فئات مختلفة من فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد من حيث عدد البدائل الصحيحة هو الأعلى في المساقين فقد بلغت قيمة معامل الارتباط ٠,٧٣ في المساق الأول و٠,٥٧ في المساق الثاني. ويلاحظ أن حجم الاختلافات في معاملات الارتباط في المساق الأول أعلى من حجم الاختلافات في المساق الثاني. ويرتبط ذلك بخاصية الثبات للاختبارات المستخدمة في المساقين. فثبات الاختبارات المستخدمة في المساق الأول أعلى في المتوسط من ثبات الاختبارات المستخدمة في المساق الثاني. وعلى أي حال، فإن الفروق في معاملات الارتباط لم ترق إلى مستوى الدلالة الإحصائية على الرغم من أن أقصى فرق بلغ ٠,٢٠ ويرتبط ذلك بحجوم العينات المستخدمة في الدراسة.

وبصورة عامة، فإن الصدق المحكي في المساق الأول أعلى منه في المساق الثاني. ومن المعلوم أن معامل الارتباط بين الدرجات على اختبارين يتأثر بثبات كل منهما ودرجة تشابههما في المحتوى. وهذا يفسر سر اختلاف الصدق المحكي بين المساقين، فقد أشارت الدراسة إلى أن ثبات اختبار الصواب والخطأ المتعدد في المساق الأول أعلى منه في المساق الثاني. كما أن معامل ثبات الاتساق الداخلي لاختبار الاختيار من متعدد في المساق الأول يساوي (٠,٦٤) وفي المساق الثاني (٠,٥٩) ويتوقع أيضا أن تكون درجة التشابه بين الاختبارين في المساق الأول أعلى

منها في المساق الثاني بسبب اختلاف طبيعة المساقين. وجميع هذه الأمور تسهم في جعل الصدق المحكي للمساق الأول أعلى منه للمساق الثاني.

في ضوء ما أسفرت عنه هذه الدراسة من نتائج، فإنها توفر دليلا قويا على تأثير توزيع عدد البدائل الصحيحة في فقرات اختبار الصواب أو الخطأ المتعدد في ثبات الاختبار. وفيما يتعلق بالصدق التلازمي فقد كان الدليل ضعيفا على الرغم من ظهور الاختلافات في معاملات الصدق التلازمي. وتفيد نتائج هذه الدراسة في تشكيل بعض القواعد والإرشادات التي من الضروري الالتزام بها عند إعداد اختبارات الصواب أو الخطأ المتعدد للحصول على خصائص سيكومترية مقبولة. وتتلخص الإرشادات التي يمكن اشتقاقها من متغيرات الدراسة ونتائجها بما يلي:

١- أن يكون عدد الفقرات الصائبة في الاختبار مساويا عدد الفقرات الخاطئة.

٢- التنويع في فئات فقرات الصواب أو الخطأ المتعدد المستخدمة في الاختبار من حيث عدد الفقرات الصحيحة في كل منها.

المراجع

- ثورندايك، روبرت وهيجن، اليزابيث (١٩٨٦). القياس والتقويم في علم النفس والتربية ترجمة، عبد الله الكيلاني وعبد الرحمن عدس. مركز الكتب الأردني.
- سوالمة، يوسف (١٩٩٤). اختبارات الصواب والخطأ المتعدد: الخصائص النسبية وعدد البدائل الصحيحة. أبحاث اليرموك: سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد العاشر العدد الثاني، ص ص ٥٧٣ – ٥٩٥.

- Albanes, M.A (1993). Type K and other complex multiple-choice items: An analysis of research and item properties. Educational Measurement: Issues and Practice, 1 2(1), 28-33.
- Albanese, M. -Kent, T. and Whitney, D. (1977). Cluing in multiple-choice test items with combinations of correct responses. Journal of medical Education, 5 4(12), 948-9 50.
- Albanes, M; and Sabers, D. (1988). Multiple true-false items: A study of inter-item correlation, scoring alternatives and reliability estimation. Journal of Educational Measurement. 25, 111-123.
- Alsawalmeh, Y. (in press). The effects of the number of true items on item independence and other test characteristics in multiple true-false tests.
- Feldt L (1969) A test of the hypothesis that Cronbach's alpha or Kudcr-Richardson coefficient twenty is the same for two tests. Psychometrika 34, 363-373.
- Frisbie, D. (1992) The multiple true-false item format: A status review. Educational Measurement: Issues and Practice, 11(4), 21-26.

- Frisbie, D. and Druva, C. (1986). Estimating the reliability of multiple true-false tests. Journal of Educational Measurement, 23, 99-105.
- Frisbie, D. and Ory, J. (1980). Alternatives to complex multiple choice item.- An experimental comparison. (Research Rep. o.370). Urbana-Champaign: University of Illinois, Office of Instructional Resources.
- Frisbie,D. and Sweeney, D. (1982). The relative merits of multiple true false achievement tests. Journal of Educational Measurement, 1 9, 29-3 5.
- Gronlund, N. (1985). Measurement and Evaluation in Teaching (5th ed). New York: Mcmillan publishing company.
- Hakstain, A and Whalen, T. (1976). A k-sample significance test for independent alpha coefficients. Psychometrika, 4 1, 219-23 1 .
- Gross, L, (1978). Considerations in scoring multiple true-false tests. Health. Professions Education Bulletin, 7, 26-30.
- Haladyna, T. and Downing, S. (1989). Validity of a taxonomy of multiple choice item-writing rules. Applied Measurement in Education, 2 (1), 5 1-78.
- Hambleton, R. (1989). Principles and selected applications of item response theory. In R. Linn (Ed.). Educational Measurement (3rd ed). New York. American Council on Education. Macmillan Publishing Co.
- Hays, W. (1981). Statistics (3rd ed.). New York: Holt, Rinehart, and Winston, Inc.,
- Hills, G. and Woods, G. (1974). Multiple true-false questions. Education in Chemistry, II, 86-87.

- Kreiter, C. and Frisbie, D. (1989). Effectiveness of multiple true false items. Applied Measurement in Education, 2, 207-216.
- Tyler, R. (1974). Basic Principle of Curriculuul and Instruction. The University of Chicago Press.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٣/١١/١٩٩٧

النفاق والمنافقون في القرآن الكريم

د. أميمة بدر الدين
قسم اللغة العربية ــ كلية الآداب
جامعة دمشق

الملخص

يتناول هذا البحث النفاق والمنافقين في القرآن الكريم، فالنفاق من الألفاظ الإسلامية التي حملت معنى جديداً لم يكن لها قبل الإسلام، وأصبحت تعني أينما وردت فيه إظهار الإيمان وإخفاء الكفر. وقد فعل ذلك جماعة من أهل المدينة وغيرهم ممن تحالفوا مع اليهود وتدربوا على أساليبهم في المكر والخداع للكيد للمسلمين، ولتهديد الدولة الإسلامية الوليدة في المدينة المنورة.

ونظراً لخطورة هذه الفئة على وحدة المسلمين وعلى مستقبلهم فقد تولى الله تعالى محاربتهم، فكشف الكثير من مآمراتهم، وأظهر صفاتهم وبينها في كثير من آياته تحذيراً للمسلمين من النفاق، ولكشف المنافقين منهم، ومن صفاتهم التي ذكرها القرآن لهم مؤازرة أعداء المسلمين وتثبيط همم المجاهدين عن الجهاد وغيرها مما بيناه في البحث ومع هذه المواقف العدائية فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتبع معهم سياسة القتل، بل اتبع سياسة المهادنة والملاينة حفاظاً على وحدة المسلمين، وكان لهذه السياسة أثرها في عودة الكثير منهم عن نفاقهم.

وإن الوقوف على ما ورد في هذا البحث من صور رائعة قدمها القرآن الكريم لهذه الفئة يقدم جديداً لمن أراد أن يتناول موضوعات القرآن الكريم بالدراسة والبحث.

إن الحديث عن موضوع النفاق في القرآن الكريم طويل وشاق وشائك، وتعود بداياته إلى بداية هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، أو قبلها بقليل، وتأسيسه دولة مستقلة تدين بدين الإسلام، وتعمل على نشره وإعلانه وحماية أصحابه وأتباعه، وتنتهي بوفاته؛ إذ انضم من لم يدخل الإسلام بصدق، ولم ترسخ مبادئه في نفسه إلى صفوف المرتدين الذين ظهروا أيام خلافة أبي بكر رضي الله عنه، الذي تولى حربهم والقضاء عليهم، وإعادتهم إلى دائرة الإسلام من جديد ومن الجدير ذكره أنّ هذه الفئة مرت في تاريخها الطويل بفترات متنوعة فيها القوة وفيها الضعف، وقوتها وضعفها كانا يتناسبان عكسياً مع طبيعة الموقف الذي يقفه النبي صلى لله عليه وسلم؛ وإن كان المسلمون في شدة أنشبوا أظافرهم، وكشفوا أنفسهم وحقدهم، وإن كان المسلمون في موقف السعة والأمان خفت صوتهم، وكبت حقدهم، وخفضت رؤوسهم ولهذا فإن الحديث عن هذا الموضوع يجب أن يراعي ترتيب نزول الآيات القرانية التي ورد فيها حديث عن المنافقين وأخبارهم، لنرى تطور هذه الحركة ومواقف النبي صلى الله عليه وسلم منها، ماذا نعني بكلمة النفاق؟ وهل كانت معروفة بهذا المعنى في الجاهلية؟. هذا ما يدفع بنا إلى كتب اللغة نستمد منها تاريخ هذه اللفظة ومعانيها وتطورها الدلالي.

النفاق لغة:

وردت مادة (نفق) في كتب اللغة بمعان كثيرة منها:

١ـ الفناء والنفاد:

قال الفيروز أبادي[1]: النفقة: ما أنفق من الدراهم وغيرها، وجمعها نِفاق مثل ثمر وثمار. ويقال: نفقت نفاق القوم تنفق نفقاً بالتحريك أي فَنِيَت نفقاتهم، ورجل مِنْفا كثير النفقة، وأنفق الرجل ماله، قال تعالى: [إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق[2]] أي خشية النفاد والفناء.

وقال ابن منظور: نَفِقَ الفرس والدابة وسائر البهائم تَنْفُق نُفُوقاً: ماتت. قال ابن بري: أنشد ثعلب:

فما أشياء نشتريها بمال ... فإن نفقت فأكْسد ما تكون

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه (والجزور نافقة)[٣] أي ميتة، من نفقت الدابة إذا ماتت، وقال الشاعر:

نفق البغل فأودى سَرْجه ... في سبيل الله سرجي وبَغَلْ

٢ــ الرواج:

قال ابن منظور: (نَفِقَ البيع نَفَاقاً: راج ونَفَقت السِّلْعةُ تَنْفُق نَفَاقاً بالفتح: غلت ورغب فيها وأنفقها هو ونَفّقه. وفي الحديث: (المُنَفِّق سلعته بالحلف الكاذب[٤]). والمنفّق بالتشديد من النفاق وهو ضد الكساد، ومنه الحديث (اليمين الكاذبة مَنْفَقَة للسلعة ممحقة للبركة[٥]) أي هي مظنة لنفاقها وموضع له. وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه (لا يُنَفِّق بعضكم بعضاً[٦]) أي لا يقصد أن يُنَفِّق سلعته على جهة النَّجش[٧]، فإنه بزيادته فيها يرغب السامع فيكون سبباً لابتياعها ومنفقاً لها. وقال الليث: نَفَق السعر ينفقُ نُفُوقاً إذا كثر مشتروه، وأنفق الرجل نفاقاً إذا وجد نفاقاً لمتاعه، وفي مثل من أمثالهم (من باع عرضه أنفق[٨]) أي من شاتم الناس شُتِمَ ومعناه أن يجد نَفَاقاً بعرضه ينال منه. ومنه قول كعب بن زهير:

أبيت ولا أهجو الصديق ومن يبع ... بعرض أبيه في المعاشر يُنْفِقِ[٩]

أي يجد نفاقاً والباء مقحمة. ونَفَقت الأَيِّم نفاقاً: إذا كَثُر خطابها، ومنه حديث عمر رضي الله عنه: (من حظ المرء نَفَاق أيمه[١٠]) أي من سعادته أن تخطب نساؤه من بناته وأخواته، ولا يكْسِدْنَ كساد السلع التي لا تَنْفُق.

٣ــ سرعة الانقطاع:

قال ابن منظور: النَّفِقُ: السريع انقطاع الجري قال علقمة بن عبَدة يصف ظليما:

فــلا تَزَيُّــدهُ فــي مشــيه نَفِــقٌ ولا الزّفيفُ دُوَيْن الشــد مسْــؤوم[11]

٤ــ السرب في الأرض:

قال الجوهري: النفق: السَّرَب في الأرض له مخلص من مكان آخر. وفي المثل: ضلّ دُريصٌ نفقه[12] أي حجره. وفي التنزيل: [فإن استطعت أن تبتغي نفقــاً في الأرض[13]]. والجمع أنفاق، واستعاره امرؤ القيس لحجرة الفئرة فقال يصف فرسا:

خَفَــاهُنّ مــن أنفاقــهن كأنمـــا خفاهن ودْقٌ مــن عشــي مُحلّــب[14]

٥ــ حجر اليربوع والضب:

قال ابن منظور: النافقاء وقيل النفقة والنافقاء: موضع يرققه اليربوع من جحــره فــإذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج، ونَفِقَ اليربوع ونَفَق وانْتَفَق ونَفّـق: خرج منه. وتَنَفّقه الحارش وانتفقه: استخرجه من نافقائه، واستعاره بعضهم للشــيطان فقال بعض الفتاك في أمه:

إذا الشــيطان قصّــع فــي قفاهــا تَنَفقنـــاه بـــالحبل التـــؤام

أي استخرجناه استخراج الضب من نافقائه، وأنفق اليربوع والضب: إذا لم يرفق بـــه حتى ينْتَفِق ويذهب. وذهب الدكتور عودة أبو عودة[15] إلى أن كلمة النفاق بمعنى التلون والمخادعة استعملت في الجاهلية عند طرفة ومن ذلك قوله:

وأما رجال نـــافقوا فـــي إخائـــهم ولست إذا أحببـــت حـــراً أنافقـــه[16]

وهذا البيت إن صح لطرفة فإن استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى بقي محصوراً ونـــادراً قليل الاستعمال في الجاهلية، أما استعماله العام الشامل فقد بقي محصوراً بالمعاني التي ذكرناها، والتي نقلها إلينا أصحاب اللغة في كتبهم، مستمدين هذه المعاني من شـــواهد

شعرية قيلت، وأمثال نقلت عنهم. والذي نريد الوقوف عليه هو توضيح هذا المعنى في القرآن الكريم لنرى هل بقي هذا اللفظ محدوداً بمعناه الذي وضع له أصلاً أم أنه اكتسب معنى جديداً في الإسلام؟.

النفاق في القرآن:

إن رصد التطور التاريخي لدلالة لفظة من الألفاظ يدل على أن كثيراً منها قد اكتسب معاني جديدة ودلالات إضافية لم تكن له من قبل، إلا أنها في الغالب لا تأتي بمعنى جديد مقطوع الصلة تماماً عن المعنى الأصلي الذي وضعت له، وإنما تكتسي معناها الجديد بتوسيع مدلولها القديم وشموله، أو تخصيصه وتضييقه، وقد شمل هذا التغيير الكثير من الألفاظ التي عرفت قبل الإسلام فأعطاها الإسلام معنى جديدا، ومنحها صبغة تعبر عن الأوضاع الجديدة التي نشأت مع ظهور الإسلام وانتشاره، ومن هذه الألفاظ لفظة النفاق. فعلى الرغم من استعمال القرآن الكريم لمادة (نَفَقَ) بالمعاني اللغوية السابقة[١٧] فقد خص لفظ النفاق وضيق معناه، وحدد له مدلولاً جعله سمة على جماعة من الناس دخلت الإسلام ظاهراً وأضمرت الكفر باطناً إلا أن هذا المعنى لم يكن بعيداً كل البعد عن معناه اللغوي الأصلي، بل اشتق من هذا الأصل وإليه يعود. هذا الأمر الذي أكده علماء اللغة في كتبهم، وأشاروا إليه في حديثهم عن هذه المادة كما أشاروا إلى هذا التغيير فقال ابن فارس في حديثه عن مثل هذه الألفاظ: "فكان مما جاء به الإسلام ذكر المؤمن والإيمان، والكافر والمنافق، وكذلك الإسلام والمسلم، وإنما عرفت المؤمن من الإيمان والأمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً، وكذلك الإسلام والمسلم، وإنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء الشرع من أوصافه ما جاء، وكذلك لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه"[١٨].

وقال الرازي في كتاب الزينة: إن الأسماء التي هي مشتقة من ألفاظ العـرب تعـرف الكافر كافر النعمة، لا تعرفه من معنى الكفر بالله، وكانت تعرف المؤمن مـن جهـة الأمان، أما المنافق فإنه لا ذكر له في كلام العرب"[١٩]. وقال أبو زيد: والنفاق الدخـول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من وجه آخر (إسلامية) وقد نافق ينافق منافقـة ونفاقاً، وقد تكرر ذكر النفاق وما تصرف منه اسماً وفعلاً وهو اسم إسلامي لم تعرفـه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه"[٢٠].

وذهب أصحاب اللغة إلى أن هذا اللفظ مشتق من نافقاء اليربوع، وهو ما ذهب إليـه ابن فارس وأبو زيد[٢١] الذي قال: "تقول نافق أي دخل في نافقائه، ومنه اشتق المنـافق في الدين، والنفاق بالكسر فعل المنافق، والنِفاق: الدخول فـي الإسـلام مـن وجـه، والخروج عنه من آخر، مشتق من نافقاء اليربوع لا من النفق، وهو السـرب الـذي يستتر فيه لستره كفره، وفي الحديث (نافق حنظلة)[٢٢] أراد أنه إذا كان عند النبي صلـى الله عليه وسلم أخلص وزهد في الدنيا، وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه، ورغب فيها، فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه. وأراد بالنفاق هنـا الرياء، لأن كليهما إظهار غير ما في البـاطن"[٢٣،٢٤]) وهـو قـول الفـيروز أبـادي والجوهري أيضاً.

وأشار أبو هلال العسكري إلى حداثة هذا الاستعمال فقال: وقد حدثت في الإسلام معان وسميت بأسماء كانت في الجاهلية لمعانٍ أخر، فأول ذلك القـرآن والسـورة والآيـة، وسمي إظهار الإيمان مع إسرار الكفر نفاقاً"[٢٥]. وقال السيوطي (إن لفظ الجاهلية اسـم محدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة، والمنافق اسم إسلامي لم يعـرف فـي الجاهلية[٢٦]. كما أشار إليه ابن الأثير في كتابه النهاية فقال: وهذا اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر إيمانه ويظهر كفره، وإن كان أصلـه في اللغة معروفاً، وهو مأخوذ من النافقاء"[٢٧].

ولم يخالفهم في هذا الأمر إلا أبو عبيد الذي رأى أن المنافق مأخوذ من النفق وهو السرب في الأرض[٢٨].

وخلاصة القول في هذا أن لفظ النفاق اسم إسلامي خص بجماعة أضمروا الكفر وأظهروا الإيمان، وأصل هذا المعنى معروف في اللغة، والأقرب إلى معنى النفاق هو المأخوذ من نافقاء اليربوع لما فيه من المخاتلة والمخادعة والمباغتة، كما فيها التعبير عن الجبن والهلع والترصد الدائم، وإظهار غير الحقيقة، وكل ذلك يتوافق مع صفات المنافقين التي سنتحد ث عنها بعد قليل.

أسباب ظهور النفاق:

تعود بدايات ظهور النفاق كما أشرنا في المقدمة إلى ما قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة بقليل، وذهب ابن كثير إلى تحديد دقيق لزمن نشوء الحركة في المدينة، فرأى أن ظهورها كان بعد غزوة بدر، فقال: "وإنما نزلت صفات المنافقين في السورة المدنية لأن مكة لم يكن فيها نفاق، بل كان خلافه، من الناس من يظهر الكفر مستكرهاً وهو في الباطن مؤمن، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان فيها من الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قريظة حلفاء الأوس، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، وقل من أسلم من اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حول المدينة، فلما كانت وقعة بدر الكبرى، وأظهر الله كلمته وأعز الإسلام وأهله قال عبد الله بن أبي سلول ـ وكان سيد الطائفتين ـ وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم، فلما جاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر قد توجه، فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل

معه طوائف ممن هم على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب، ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب. أما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد هاجر نفاقاً، ذلك أنه لم يكن أحد يهاجر مكرهاً، بل يهاجر تاركاً أرضه وولده رغبة فيما عند الله والدار الآخرة"[٢٩].

من هذا يظهر أن حقد اليهود ومؤامراتهم بدأت تظهر بعد اشتداد قوة المسلمين واستقرارهم في المدينة المنورة وذلك لضرب الدعوة الإسلامية في مهدها، وقد أشار الأستاذ سيد قطب إلى دور اليهود في نشأة جبهة النفاق في المدينة فقال: حركة النفاق حركة مدنية لم يكن لها وجود في مكة، لأنه لم يكن هناك ما يدعو إليها، فالمسلمون في مكة في موقف المضطهد الذي لا يحتاج أحد أن ينافقه، فلما أعز الله الإسلام والمسلمين بالأوس والخزرج في المدينة، وانتشاره في العشائر والبيوت بحيث لم يبق بيت إلا دخله الإسلام اضطر ناس ممن كرهوا لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يعز ويستعلي، ولم يملكوا في الوقت ذاته أن يجهروا بالعداوة، اضطروا إلى التظاهر بالإسلام على كره، وهم يضمرون الحقد والبغضاء ويتربصون بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدوائر، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق المعروف، وقد شجعهم على هذا الموقف وجود اليهود فقد جمعتهم البغضاء والحقد فأخذوا في حبك المؤامرات ودس الدسائس في كل مناسبة تعرض، فإن كان المسلمون في شدة ظهروا بعدائهم وجهروا ببغضائهم، وإن كانوا في رخاء ظلت الدسائس سرية والمكايد في الظلام، وكانوا إلى منتصف العهد المدني يؤلفون خطراً حقيقياً على الإسلام والمسلمين"[٣٠].

ومع أن آية من الآيات المكية ورد فيها ذكر النفاق وهي قوله تعالى: ﴿وليعلمنَّ الله الذين آمنوا وليعلمنّ المنافقين[٣١]﴾ فإن هذه الفئة كانت ضعيفة القلب، ضعيفة الإيمان ولذا لم تصمد كما صمد أكثر المسلمين أمام إزعاج المشركين واضطهادهم.

فالنفاق حركة مدنية ظهرت مع ظهور قوة المسلمين وانتقالهم إلى المدينة بعد ماعانوه من الضعف والاضطهاد والأذى في مكة حتى اضطروا إلى الهجرة وإلى ترك الديار خوفاً على دينهم فهاجروا إلى الحبشة أولاً وإلى يثرب بعد ذلك. خلافاً لما كان في المدينة التي لم يبق فيها بيت من البيوت لم يدخله الإسلام، وهو ما جعل زعماء القبائل يظهرون ولاءهم للنبي صلى الله عليه وسلم والتظاهر بالإسلام، وإن كانوا في الحقيقة يخفون الكيد والحقد للدعوة الجديدة، ذلك الحقد الذي كان يظهر أو يستتر تبعاً لقوة المسلمين أو وقوعهم في شدة أو ضيق، قال الدكتور عزة دروزة: ولم يكن أمامهم ــ أمام زعماء القبائل ــ إلا التظاهر بالإسلام، والقيام بأركانه والتضامن مع قبائلهم، وجعل كيدهم ودسهم ومؤامراتهم بأسلوب المراوغة والمواربة والخداع والتمويه. وإذا كانوا وقفوا أحياناً مواقف علنية فيها كيد ودس، وعليها طابع من النفاق بارز، فإنما كان هذا منهم في بعض الظروف والأزمات الحادة التي كانت تحدق بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين، والتي كانوا يتخذونها حجة لتلك المواقف بداعي المصلحة والمنطق والاحتياط، ولم يكونوا على حال يعترفون بالكفر أو بالنفاق غير أن نفاقهم وكفرهم ومواقفهم في الكيد والدس والتآمر لم تكن لتخفى على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه"[٣٢].

ومما يؤكد ظهور هذه الحركة في المدينة كثرة حديث السور المدنية عن المنافقين، حتى جعل هذا الحديث من السمات الغالبة على السور المدنية فكان مما قاله علماء القرآن: كل سورة فيها حديث عن المنافقين فهي مدنية"[٣٣].

وإذا عدنا إلى سور القرآن التي تحدثت عن هذه الفئة وجدنا أن حديثها هذا قد يكون صريحاً واضحاً، فيذكر فيها اسم النفاق والمنافقين ــ وهذا هو الغالب ــ وقد يكون حديثها عنهم دون ذكر اسمهم، إلا أن أسباب النزول والظروف المحيطة بالآيات تشير إلى أن المعني بالآيات هم المنافقون، ومن هذا القبيل ما ورد في سورة البقرة [وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم،إنما نحن مستهزئون،

الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون[٣٤]]. قال الواحدي: "نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم. فذهب فأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تميم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار، ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب، والفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه، سيد بني هاشم ما خلا رسول الله، ثم افترقوا، فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأثنوا عليه خيراً فنزلت الآية".

وكذا ما ورد في سورة البقرة أيضاً [ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام[٣٥]] قال الواحدي: "نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة، أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأظهر له الإسلام، وأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه، وقال: إنما جئت أريد الإسلام والله يعلم إني لصادق، وذلك قوله تعالى: [ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام] ثم خرج من عند الرسول صلى الله عليه وسلم فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر، فأنزل الله تعالى: [وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل[٣٦]] ومثلها قوله تعالى: [لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب[٣٧]] قال الواحدي: "عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزلت في جماعة من المنافقين"[٣٨].

وقوله تعالى: [ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت[٣٩]] والآيات التي ورد فيها ذكر النفاق والمنافقين صراحة قد يأتي ذكرهم ملخصاً أو مفصلاً شاملاً كما سنرى عند حديثنا عن صفات المنافقين ومواقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد وجد المنافقون في اليهود الحاقدين على النبي صلى الله عليه وسلم عوناً ومساعدة، وتدربوا على أساليبهم في الدس والكيد الخفي والخداع والمكر حتى ليمكننا القول: إن النافقين لم يكن لهم أن يثبتوا ويقدموا الأذى والدس والكيد للمسلمين لولا تأييد اليهود لهم وتضامنهم معهم، كما أنه لم يضعف خطر النفاق إلا بعد طرد النبي صلى الله عليه وسلم لليهود من المدينة عندها خفت صوتهم وضعفت شوكتهم، ولم تعد لهم القوة والنفوذ إلا بعد فتح مكة، ودخول عناصر جديدة في الإسلام وتوسع نطاقه كما ذهب سيد قطب إذ قال: "وشيئاً فشيئاً كانت هذه العناصر تنصهر وتتصهر، وتتناسق مع القاعدة، ويقل عدد الناشزين من ضعاف القلوب ومن المنافقين ومن المترددين كذلك والمتهيبين، وممن لم يتم في نفوسهم الوضوح العقيدي الذي يقيمون على أساسه كل علاقاتهم مع الآخرين .. .. حتى إذا كان قبيل فتح مكة كان المجتمع الإسلامي بجملته أقرب ما يكون إلى النموذج الذي يهدف إليه المنهج التربوي. إلى أن يقول: وقد تقاربت المستويات الإيمانية وتناسقت في مجتمع المدينة قبيل الفتح وأن يتوارى الكثير من أعراض الخلخلة في الصف، والكثير من ظواهر الضعف والتردد والشح بالنفس والمال، وعدم الوضوح العقيدي والنفاق من ذلك المجتمع، بحيث يمكن اعتبار المجتمع المدني بجملته هو القاعدة الإسلامية، إلا أن فتح مكة في العام الثامن الهجري وما أعقبه من استسلام هوازن وثقيف في الطائف، وهما آخر قوتين كبيرتين بعد قريش في الجزيرة قد عاد فصب في المجتمع المسلم أفواجاً جديدة دخلت في الدين مستسلمة على درجات متفاوتة من المستويات الإيمانية وفيهم كارهون للإسلام منافقون، وفيهم المنساقون إلى الإسلام الظاهر القاهر وفيهم المؤلفة قلوبهم دون انطباع بحقائق الإسلام الجوهرية ولا امتزاج بروحه الحقيقية"[٤٠].

موقف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المنافقين:

إن كتب التفسير والسيرة النبوية لم تنقل إلينا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم للمنافقين وقتاله لهم كقتاله للمشركين،، كما لم تنقل إلينا أنه قتل بعض زعمائهم وكبارهم ممن آذوا المسلمين والدعوة في المدينة رغم قوتهم ودورهم الكبير الذي قاموا به في بداية العهد المدني؛ إذ كان هؤلاء يتمتعون بقوة كبيرة، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم محاطاً بالخصوم من كل الجهات،إضافة إلى أن المسلمين كانوا في بداية عهدهم بالإسلام، ولم يكن الإسلام قد رسخ في نفوسهم رسوخاً كافياً، كما أن هؤلاء المنافقين لم يكونوا مكشوفين مفضوحين تماماً على الطريقة التي آلوا إليها بعد نزول السور التي كشفت أمرهم فيما بعد، كما كانت هناك علاقات بينهم وبين المسلمين الحقيقيين. وعلى هذا يمكننا القول: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن هو المبادر بالعداء والكيد للمنافقين، بل كان موقفه منهم يتماشى مع ما يظهر من مواقفهم ويتساير مع أساليبهم التي يلجئون إليها في محاربة النبي عليه الصلاة والسلام ومواجهته، ومن هنا فإن حديثنا عن مواقف المنافقين من النبي صلى الله عليه وسلم وتقديمه على موقفه منهم يمكن أن يوضح الموقف ويبرز الوسيلة التي واجه بها النبي كل موقف من مواقفهم، فوضع الوسيلة إلى جانب الموقف يجعل الوسيلة أنجع وأقوى، ومن الممكن أن نقسم مواقف المنافقين من النبي صلى الله عليه وسلم إلى وسائل مادية ووسائل معنوية.

أ- المواقف المعنوية (الوسائل):

ونعني بالأساليب المعنوية الحرب النفسية التي لجأ إليها المنافقون لمواجهة المؤمنين في المدينة المنورة بعد ظهور قوة المسلمين وسيطرتهم على الأمور بشكل كامل وظهور قوتهم العسكرية والسياسية، ولعل أهم هذه الوسائل:

١ــ التشكيك في قوة المسلمين وقدرتهم على قهر أعدائهم والانتصار عليهم:

وهذه حقيقة ظهرت في موقعة بدر عندما خرج النبي للقاء المشركين مع قلة من أصحابه، فرأى المنافقون أن عمل المؤمنين تهور وغرور وإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وقد أبرز الله تعالى نيّاتهم هذه فقال تعالى: (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم[٤١]). كما كشفوا عن نيّاتهم هذه مرة أخرى، وكشفوا عن وجههم الحقيقي، واحتجوا باحتجاجات واهية يوم الخندق، فدعوا أهل المدينة إلى العودة إليها وترك الصفوف والعودة إلى بيوتهم محتجين أن إقامتهم أمام الخندق مرابطين لا مسوغ لها في حين بيوتهم كشوفة معرضة للخطر، وهي دعوة تشير إلى ما في نفوسهم من خبث ودهاء ومكر، فقد أرادوا الدخول إلى نفوس هؤلاء من نقطة الضعف، نقطة الخوف على النساء والذراري والخطر المحدق بهم، قال تعالى: (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً، وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، ويستأذن فريق منهم النبي، يقولون إن بيوتنا عورة وماهي بعورة، إن يريدون إلا فراراً[٤٢]). فقد كشف الله تعالى نياتهم الحقيقية فهم لا يريدون من وراء ذلك إلا إضعاف الصف المسلم وتفتيت كلمتهم والإقلال من شأنهم أمام أعدائهم، فهم لا يدركون أسباب النصر الحقيقية، ولا يعلمون أن هذه الحشود التي لا ترتكن إلى عقيدة تمنحها القوة الحقيقية، ولا تركن إلى الثقة بالله والتوكل عليه، لا يمكن أن تقف أمام قوة المؤمنين الواثقين بنصر الله وتأييده، هؤلاء وأمثالهم لا بد أن ينظروا إلى أن أعمال المؤمنين ومواجهتم لأعدائهم غرور وتهلكة.

٢ــ التشكيك في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وفي أحكامه:

نقل القرآن الكريم مجموعة من المواقف التشكيكية التي وقفها المنافقون من النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما نقله الله تعالى في سورة النساء، فقد صورت لنا هذه

السورة موقفاً من مواقفهم فهم لا يريدون التحاكم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا حل الخصومات الناشئة بينهم عنده، ويفضلون التحاكم إلى الشيطان وألاعيبه على حكم الله تعالى، قال الله تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به[٤٣]) كما نقل إلينا القرآن الكريم عدم قبولهم لأحكام النبي صلى الله عليه وسلم في توزيع الصدقات، قال تعالى: (ومنهم من يَلْمِزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون، ولو أنهم رضوا ماآتاهم الله ورسوله،وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون[٤٤]). فقد عاب هؤلاء عدل النبي صلى الله عليه وسلم وأساؤوا الأدب معه، وادعوا أنه يحابي في توزيعها، ولا يقولون ذلك غضبا للحق والعدل بل لإثارة الفتن وإرضاء لأنفسهم، فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها غضبوا وسخطوا.

٣ــ سوء أدبهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وإيذاء المؤمنين قولاً وعملاً:

ولعل أهم موقف من مواقفهم التي آذوا بها النبي صلى الله عليه وسلم ما كان من حديث الإفك الذي تولى كبره رأس الكفر عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، ونقله عنه جماعة من ضعاف الإيمان، وروجوا له وآلموا قلب النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه وابنته الصديقة الذين لم يعرف الناس عنهم إلا التقى والصلاح والعفاف، ولم يقطع ألسنة الخائضين فيه إلا قول الله تعالى الذي برأ السيدة عائشة رضي الله عنها، وأعاد إلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى قلب صاحبه الصديق وابنته السيدة عائشة رضي الله عنهم جميعاً السعادة والأمان، قال تعالى: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منه ما اكتسب من الإثم، والذي تولى كبره منهم له عذاب أليم[٤٥]). فمن هيأ لهذا الأمر ليس واحدا بل هم جماعة لها هدف معين، وقد تزعم هذه الجماعة رأس النفاق وأعوانه من اليهود بعد عجزهم عن مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم جهراً وعلانية. وكان هذا الحديث أحد وسائلهم

الفتاكة التي أرجفت المدينة وتداولته الألسن شهراً كاملاً مستهدفين أنقى وأطهر بيت، بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وقد صور الأستاذ سيد قطب هذا الموقف بقوله: لقد كانت معركة خاضها النبي صلى الله عليه وسلم، وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك وخاضها الإسلام، معركة ضخمة، لعلها أضخم المعارك التي خاضها النبي صلى الله عليه وسلم، وخرج منها منتصراً كاظماً لآلامه الكبار محتفظاً بوقار نفسه وعظمة قلبه، وجميل صبره، فلم تؤثر عنه كلمة واحدة تدل على نفاد صبره وضعف احتماله، والآلام التي تنوشته لعلها أعظم الآلام التي مرت به في حياته، والخطر على الإسلام من تلك الفرية من أشد الأخطار التي تعرض لها في تاريخه[٤٦].

ومن مواقفهم الأخرى التي آذوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمالهم لألفاظ يراد بها غير ظاهرها، ألفاظ يوهم ظاهرها الخير والصلاح وتحمل في باطنها الشر والأذى، ومن هذا القبيل قولهم عن النبي صلى الله عليه وسلم: هو أذن. قال الله تعالى: (ومنهم الذين يؤذون النبي يقولون هو أذن، قل أذن خير لكم، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين، ورحمة للذين آمنوا منكم، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم[٤٧]). فهم يفسرون أدب النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته بأصحابه بغير حقيقته، ويصفونه بأنه سمّاع لكل قول، ويجوز الكذب والخداع عليه كما عمد المنافقون إلى التحريف والتبديل في صيغة التحية فحولوها إلى معنى سيئ كأن يقولوا: السام عليك، موهمين بأنهم يقولون السلام عليكم، بمعنى الموت لكم أو تسامون في دينكم.

ولم يقف أذاهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقط، بل آذوا نساء المؤمنين أيضاً ولاحقوهن وآذوا رجالهم وشككوا في أعمالهم فقد ذكرت كتب أسباب النزول أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة في غزوة تبوك فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت، وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر فقال: يا رسول الله: أصبت صاعين من تمر، صاع أقرضه لربي وصاع لعيالي، فلمزه المنافقون وقالوا: ما الذي

أعطى ابن عوف إلا رياء، وقالوا: ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا؟ فأنزل الله تعالى: (والذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم[٤٨]).

٤ـ تثبيط المؤمنين عن القتال وإثارة أحزانهم علي إخوانهم الذين استشهدوا في الغزوات:

فقد كشف الله تعالى أعمالهم هذه في سورة آل عمران بقوله: (يا أيها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا، وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزّى لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ليجعلَ الله ذلك حسرة في قلوبهم، والله يحيي ويميت، والله بما تعملون بصير[٤٩]).

٥ـ الدعوة إلي معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وهو مظهر من مظاهر نفاقهم ووسيلة من وسائلهم للكيد للمسلمين، فإذا كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أعلنوا طاعتهم له وموافقتهم لأمره، وإذا خرجوا لووا رؤوسهم وعصوه، قال تعالى: (ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول، والله يكتب مايُبَيّتون، فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً[٥٠]).

كما سجل البيان الإلهي موقفاً آخر من مواقفهم هذه، وهو استخفافهم بمجالس النبي صلى الله عليه وسلم، وانشغالهم عن حديثه، فإذا خرجوا من عنده تساءلوا مستهزئين: ماذا قال آنفاً؟ يقولون ذلك استهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي[٥١]، قال تعالى ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم[٥٢]). وقال تعالى وإذا ماأُنْزِلَت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا، فأما الذين امنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون[٥٣]).

ب-الوسائل المادية:

ونعني بها الوسائل التي استعملها المنافقون لتقويض الصف الإسلامي ومحاربة أتباعه محاربة علنية، مهددين الكيان العام للدعوة الإسلامية ومن هذه الوسائل:

١ــ بناء مسجد الضرار:

هذا المسجد الذي بني بأمر من أبي عامر الراهب الذي هرب إلى الروم ورفض دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للدخول في الإسلام، وطلب المعونة من الروم فوعدوه بالنصر والمعونة، فأقام عندهم وكتب إلى مجموعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق يعدهم ويمنيهم أنه قادم بجيش يقاتل به النبي صلى الله عليه وسلم ويغلبه، ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه، ويكون له مرصداً إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا يبنونه، ولما تم لهم ذلك طلبوا من النبي أن يصلي فيه فيحتجون بصلاته على شرعية عملهم، وبخاصة أنهم ادعوا أن بناءه كان من أجل الضعفاء وأصحاب الحاجة، ولكن الله تعالى عصم نبيه من الصلاة فيه، وكشف خطتهم، فأمر النبي بتهديم المسجد وتقويض أركانه، قال تعالى: (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون[٥٤]).

٢ــ عدم مشاركة المؤمنين في القتال:

وهو ما كان منهم يوم أحد إذ عاد عبد الله بن أبي بأصحابه من منتصف الطريق، وأبى المشاركة مع المؤمنين بالقتال، محتجاً على ذلك بقوله: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، ولكننا لا نظن أن يكون هناك لقاء بين الطرفين، فقال الله تعالى: (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله، وليعلم المؤمنين، وليعلم الذين نافقوا، وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعنا كم، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان، يقولون

بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون، الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين[٥٥]).

٣ـ الدعوة إلى عدم الإنفاق على من عند الرسول صلى الله عليه وسلم:

وهي خطة جديدة علنية اتبعها المنافقون لمحاربة الدعوة الجديدة، فقد تواصوا بعدم الإنفاق على فقراء المهاجرين المسلمين لينفضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولله خزائن السموات والأرض، ولكن المنافقين لايفقهون[٥٦]). ناسين أن الله هو الرزاق، فكما يرزق أعدائه لايصعب عليه أن يرزق أولياءه وأن يغنيهم.

٤ـ مؤازرة أعداء الرسول وموالاتهم:

وهو ماكان من موقف عبد الله بن أبي بن سلول يوم بني قنيقاع، إذ حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد اعتدائهم على امرأة مسلمة وإيذائها، وأنزلهم على حكمه، فقام عبد الله بن أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أحسن في موالي. وكانوا حلفاء الخزرج. فلما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ويحك أرسلني، قال: لاحتى تحسن في موالي، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله رجل أخشى الدوائر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم لك على أن يرحلوا عن المدينة ويأخذوا كل أموالهم عدا السلاح[٥٧].

وقد أشار القرآن في مواطن كثيرة إلى علاقة المنافقين باليهود وموالاتهم ووعودهم لهم بالنصرة والموالاة والمعونة، قال تعالى: (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم؛ ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم[٥٨]).

أمام هذه المواقف والدسائس التي قام بها المنافقون، كان لابد للنبي صلى الله عليه وسلم من أن يواجههم بأساليب تتناسب مع طبيعتهم وسياستهم، لتكون الوسيلة أنجع وأجدى، ولهذا اختلفت مواقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين باختلاف الظروف والمواقف، متبعاً في شدته وعطفه، في قوته وليونته أوامر ربه الذي تولى حرب هذه الفئة ومجابهتها وقتالها لما في خططها من السرية والخداع الذي قد يخفى على الإنسان أحياناً كما هو شأن مسجد الضرار الذي حفظ الله تعالى نبيه من الوقوع في هذه الخطة، فلما استهزأ المنافقون بمجالس النبي، واتخذوا آيات الله هزواً، دعا الله المؤمنين إلى عدم مجالستهم وسماع أحاديثهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإلا فهم مثلهم في موقف واحد، قال تعالى: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، إنكم إذاً مثلهم، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً[٥٩]).

ودعاهم إلى عدم موالاتهم، وكشف عن خبيئة أنفسهم ومشاعرهم، فهم يودون كفر جميع المؤمنين وارتدادهم عن دينهم ليكونوا سواء في كفرهم، قال تعالى: (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء، فلا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً[٦٠]) وهدد المنافقين بعذابهم في الدنيا والآخرة، وترك لهم باب التوبة مفتوحاً، قال تعالى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً، إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً[٦١]). وفي هذه الآيات إشارة واضحة إلى مدى ماكان لأفعال المنافقين في الصف المسلم حينذاك من آثار، ومدى ضخامة الجبهة المنافقة، وتغلغلها في الجماعة المسلمة الأمر الذي استدعى هذه الحملة مع مراعاة الواقع يومذاك، وأخذ المسلمون يبتعدون عن المنافقين خطوة خطوة، كما شرعوا يتجنبون مجالسهم التي يتداولون فيها الكفر بآيات الله والاستهزاء بها، ولم يأمرهم بمقاطعةِ المنافقين البتة يومذاك، الأمر الذي يشير إلى أن جبهة المنافقين كانت ضخمة متغلغلة بصورة يصعب فيها على المسلمين مقاطعتهم.

كما تحمل الآيات في ثناياها تحذيرات للمسلمين من سمات النفاق ومقدماته كي لايقعوا فيها وأخصها موالاة الكافرين، وابتغاء العزة عندهم والتقوي بهم، وتطمينهم بأن العزة لله جميعاً، وبأن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، كل ذلك كان يرافقه رسم الصورة القبيحة للمنافقين في الدنيا والآخرة، وتقرير أن مقرهم الدرك الأسفل من النار.

ثم كشف علاقاتهم باليهود والكفار وموالاتهم لهم، قال تعالى: (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم؛ ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم[٦٢]) ونعى على المؤمنين عدم الوضوح في شأنهم، ودعاهم إلى اتخاذ موقف واضح في منهم، وأنبهم على انقسامهم بشأنهم لأن الانقسام في الموقف وعدم الوضوح في الموقف يؤدي إلى تمييع الصف المسلم، كما يبعدهم عن الوضوح في الهدف وعدم اتخاذ الموقف الحاسم القاطع من المنافقين؛ ذلك أن كلمة تقال باللسان يرافقها عمل واقعي مناهض للمسلمين، ومؤيد لعدوهم لايمكن أن يسمى إلا نفاقاً لا موضع للتسامح به أو الإغضاء عنه. قال تعالى: (فمالكم في المنافقين فئتين والله أركسهم ..[٦٣]).

وبعدها انتقل القرآن إلى موقف آخر، فقد هدد المنافقين إن لم يرجعوا عن مواقفهم العدائية، ويتوقفوا عن معاداة النبي (ص) وإيذائه فسوف يسلط عليهم نبيه كما سلطه على اليهود من قبل وأمكنه منهم ويطهر المدينة من رجسهم ويطردهم من الأرض ويبيح دمهم؛ فحيثما وجدوا أخذوا وقُتّلوا تقتيلاً كما جرت سنة الله فيمن قبلهم من اليهود على يد النبي (ص) وغير اليهود من المفسدين في الأرض في الأمم الخالية، قال تعالى: (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً، ملعونين، أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً، سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً[٦٤]).

ومن هذا التهديد الحاسم ندرك مدى قوة المسلمين في المدينة بعد طرد بني قريظة، ومدى سيطرة الدولة الإسلامية عليها، وانزواء المنافقين إلا فيما يدبرونه من أمر خفي ومن كيد دفين لايقدرون على الظهور إلا وهم خائفون مهددون. وقد كان لهذه التهديدات أثرها عند بعضهم فقد عادوا إلى الإسلام، وأبلوا في سبيله البلاء الحسن، كما كان اتباع النبي صلى الله عليه لغير هذه المعاملة في هذه المرحلة يمكن أن يؤدي إلى فتح بعض الثغرات في الصف المسلم، وإلى إثارة أزمات داخلية حادة، وهو ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، والذي أظهر نفاقه وحقده بعد غزوة بني المصطلق فقال كم نقل القرآن الكريم:(لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل[٦٥]) محاولاً بذلك إثارة الفتن الجاهلية من جديد للقضاء على المسلمين وإضعافهم، فنُقل خبره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر: مُرْ به عبّاد بن بشر فليقتله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن أذن بالرحيل. وذلك في ساعة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها، فارتحل الناس وذلك دفعاً للخصومات والخلافات التي دارت بين المسلمين بعد هذه الحادثة، وقد برز أثر هذه المعاملة فيما بعد، فبعد أن نزلت الآيات التي كشفت كذب عبد الله بن أبي، وصدق مَنْ نقل الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، صار أصحاب عبد الله كلما أحدث أمراً لاموه وعنّفوه وأنّبوه، حتى قال ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي: يا رسول الله، فوالله ما علمت الخزرج ما كان لها من ولد أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا) فلما بلغه موقف أصحابه وابنه قال النبي لعمر بن الخطاب: كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له انف لو أمرتها اليوم تقتله لقتلته.

فقال عمر: قد علمت والله لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري"[66].

وبعد انتقال المنافقين إلى أساليب جديدة انتقل معهم القرآن ووجه نبيه صلى لله عليه وسلم إلى عدم الاستغفار لهم وعدم الصلاة عليهم وخيّره بين الاستغفار وعدمه، ولكنه أخبر بأن الله لن يغفر لهم قال تعالى:(سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) وأكد ذلك في سورة أخرى قال تعالى: (استغفر لهم أو لا تغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين[67]) فقد أبرز الله انقسام المؤمنين عن المنافقين وتميزهم، ودعا إلى حرمانهم من أي صورة من صور الرحمة والتكريم، فدعاه إلى عدم الاستغفار لهم، كما دعاه إلى عدم الصلاة عليهم لأن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم سكن لهم ورحمة ورأفة، وهم لا يستحقونها أبداً قال تعالى: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره[68]).

ولما دعا المنافقون إلى عدم الإنفاق على صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وجه الله نبيه إلى الامتناع عن قبول صدقاتهم أو أموالهم التي عرضوا تقديمها للنبي صلى الله عليه مقابل عدم مشاركتهم بالقتال، معلناً أن الله ورسوله غنيان عن عطائهم وأموالهم التي ستكون عليهم حسرة يوم القيامة، قال تعالى: (ولاتعجبك أموالهم ولاأولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها وتزهق أنفسهم وهم كافرون[69]). كما دعاه إلى عدم قبولهم في صفوف المجاهدين وحرمانهم من شرف الجهاد بعد تخاذلهم وتخلفهم يوم تبوك فقد رضوا بأن يكونوا مع الأطفال والنساء والشيوخ وهذا هو المكان المناسب لهم فليكونوا فيه دائماً، قال تعالى: (فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً، إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين[70]) ثم كانت المرحلة الأخيرة والحاسمة في مواجهة المنافقين عندما فصلوا وميزوا عن المؤمنين، وعدوا مع الكفار في كفة واحدة وكلف النبي صلى الله عليه

وسلم بقتالهم والإغلاظ عليهم ومحاربتهم، قال تعالى: (ياأيـــها النبـــي جـــاهد الكفـــار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير[٧٢]) وبإعلان الله تعالى لهذا القول انتهى عهد الملاينة والرخاء والمصالحـــة، وبـــدأ عـــهد القتـــال والإغـــلاظ والشـــدة والمواجهة[٧٣]، وقد اختلف المفسرون في جهاد المنافقين أيكون بالسيف كما روي عـــن علي رضي الله عنه، وهو ما رجحه ابن جرير، أم تكون فـــي المعاملـــة والمواجهـــة وكشف خبيئاتهم للأنظار كما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنـــهما، والـــذي وقع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين، ولم يحاربهم بالسيف مما يرجـــح موقف ابن عباس كما أن كتب السيرة نقلت أن النبي صلى الله عليه وسلم أغلـــظ فـــي معاملة المنافقين وعنف في مواجهتهم، حتى إنه أمـــر بطـــرد جماعـــة منـــهم كـــانوا يحضرون المسجد فيستمعون إلى أحاديث المسلمين فيسخرون ويســـتهزئون بدينـــهم، فاجتمع يوماً في المسجد ناس منهم فرآهم الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدثون فيمـــا بينهم خافضين أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض فأمر بهم فـــأخرجوا مـــن المســـجد إخراجاً عنيفاً، فقام أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب إلى عمر بن قيس أحد بني عم بـــن مالك بن النجار، وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية، فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجـــه من المسجد وهو يقول: أتخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة. ثم أقبل أبو أيـــوب إلى رافع بن وديعة أحد بني النجار فلببه بردائه ثم نتره نتراً شديداً ولطم وجهـــه ثـــم أخرجه من المسجد وأبو أيوب يقول له: أف لك منافقاً خبيثاً، أدراجك يا منـــافق مـــن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمر، وكـــان رجلاً طويل اللحية، فأخذ بلحيته فقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد، ثم جمـــع عمارة يديه فلدمه بهما في صدره لدمة خرمتها قال: يقول: خدشتني يا عمارة. قـــال: أبعدك الله يا منافق فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك، فلا تقرب مسجد رســـول الله صلى الله عليه وسلم، وقام أبو محمد ــ رجل من بني النجار ــ وكان بدرياً، وأبـــو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار إلى قيس

بن عمرو، وكان قيس غلاماً شاباً، وكان لا يعلم في المنافقين شاب غيره، فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه من المسجد. وقام رجل من بلخدرة "من بني الخدرة "بن الخزرج رهط أبي سعيد الخدري يقال له عبد الله بن الحارث حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج المنافقين من المسجد إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو، وكان ذا جمة فأخذ بجمته فسحبه بها سحباً عنيفاً على ما مر به من الأرض حتى أخرجه من المسجد، قال: يقول المنافق: لقد أغلظت يا بن الحارث، فقال له: إنك أهل لذلك، أي عدو الله لما أنزل الله فيك فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنك نجس، وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوي بن الحارث فأخرجه من المسجد إخراجاً عنيفاً، وأفف منه وقال: غلب عليك الشيطان وأمره، قال ابن هشام: فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجهم[٧٤].

ومن المعلوم أن المنافقين ظلوا مع المؤمنين قرابة عشر سنوات ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرجهم من الصف ولا يعرفهم بأعيانهم وأسمائهم، فلم يخبره ربه بهم إلا قبيل وفاته إذ عرفه جماعة منهم وإن كان يعرفهم من لحن القول والالتواء والمداورة وبصفاتهم التي وصفهم الله بها في كتابه، حتى حول هذه الأوصاف إلى شخصية حية ماثلة أمام المسلمين، كما أن الآثار والانفعالات كانت تفضحهم، وحكمة الله في ذلك ألاّ يَكِلَ الله قلوب الناس للناس، فالقلوب لله وحده، حتى عندما عرف بعضهم، وهم الذين ظلوا على نفاقهم حتى وفاتهم فإنه لم يطردهم من الجماعة وهم يظهرون الإسلام ويؤدون فرائضه، وإن كانت أعمالهم ظاهرية لامعنى لها، وإنما عرف بهم واحداً من صحابته هو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، ولم يشع ذلك بين المسلمين، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يأتي إلى حذيفة ليطمئن على نفسه، وأن رسول الله صلى الله عليه لم يسمه مع المنافقين، وكان حذيفة يكتفي بالقول: ياعمر لست منهم، ولايزيد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصلي على من عرف منهم، وتبعه أصحابه في ذلك؛ إذ كانوا لايصلون على ميت حتى يروا رسول

الله صلى الله عليه يصلي عليه، أو يرون حذيفة بن اليمان بعد وفاته في الصلاة، وقد أوجز ابن القيم موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين فقال: أما سيرته مع المنافقين فإنه أُمِرَ أن يقبل علانيتهم وأن يَكِلَ سرائرهم إلى الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة[٧٥]. وأمر أن يعرض عنهم ويغلظ عليهم، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم، ونهي أن يصلي عليهم، وأن يقوم على قبورهم، وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم.

صفات المنافقين:

إن حديث القرآن الكريم عن المنافقين طويل واسع شامل لأهمية هذه الفئة، ودورها الذي قامت وتقوم به في صفوف المؤمنين، وقد أشار ابن كثير إلى هذا فقال: لما تقدم وصف المؤمنين في صدر السورة بأربع آيات، ثم عرف حال الكافرين بهاتين الآيتين شرع الله تعالى يُبَيّنُ حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ولما كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس، أطنب في ذكرهم بصفات متعددة كل منها نفاق، كما أنزل سورة براءة وسورة المنافقين فيهم، وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور تعريفاً لأحوالهم لتجتنب، ويجتنب من تلبس بها"[٧٦].

وقال الفريابي: "وهؤلاء المنافقون هم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، وهم في الدرك الأسفل من النار، فالكفار والمجاهرون أخف، وهم فوقهم في دركات النار، لأن الطائفتين اشتركتا بالكفر، ومعاداة الله ورسوله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار والمجاهرين، ولذلك قال الله تعالى في حقهم: (هم العدو فاحذرهم)، وفي هذا القول إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً، وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها، فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم

والمعاشرين لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم، لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ثم تنقضي، ويعقبها النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحاً ومساءً، يدلون العدو على عوزاتهم، ويتربصون بهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم، فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر فلهذا قال تعالى: (هم العدو فاحذرهم) إلى أن يقول: وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد ويعرف حاله الناقد البصير من الناس ــ وقليل ما هم ــ وليس على الأديان أضر من هذا الضرب من الناس، وإنما تفسد الأديان من قبلهم، ولهذا جلا الله أمرهم في القرآن الكريم وأوضح أوصافهم، وبين أحوالهم وكرر ذكرهم لشدة المؤنة على الأمة، وعظم البلية عليهم بوجودهم بين أظهرهم، وفرط حاجتهم إلى معرفتهم والتحرز من مشابهتهم والإصغاء إليهم"[٧٧].

وعلى هذا فقد بين القرآن علاقة المؤمنين بهم، ودعاهم إلى ضرورة الشدة والحزم في أمرهم، وهددهم بعذاب الدنيا والآخرة،وترك باب التوبة مفتوحًا أمامهم، ولم يصرح بأسمائهم، بل وضع علامات واضحة تشير إلى عدم رسوخ الإيمان في قلوبهم، ولو أراد الله أن يعرف نبيه بأسمائهم لفعل، قال تعالى: (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم، ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم، ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم[٧٨]).

ثم توالت الآيات وتحددت الشخصيات بسماتها وانفعالاتها وأوصافها حتى بات الصحابة يعرفونهم بسيماهم، ووصفت الآيات القرآنية المنافقين بصفات لا تنطبق على تلك الفئة فقط، بل تمثل سمة للمنافقين عامة في كل زمان ومكان ومن هذه الصفات:

١ـ ادعاؤهم الإسلام كذباً ودسهم وإفسادهم:

فهذه الفئة تظهر إيمانها وتبطن كفرها وحقدها وكيدها للمسلمين، متعاونة مع أعدائهم من اليهود، مدعين أن كل ما يفعلونه هو إصلاح بين الفئتين، وتقريب لما بينهما، وقد عرض الله تعالى لهذه الصفة بقوله: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون[٧٩]). والآيات وإن لم تذكر المنافقين صراحة، لكن الدلائل تشير إلى أنها تعنيهم، كما تشير إلى أن هذه الحركة نشأت في فترة مبكرة تعود إلى أوائل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أو قبيل ذلك بقليل كما ذكرنا.

٢ـ تذبذبهم بين الإيمان والكفر:

والمنافقون في حيرة دائمة لايعرفون مكاناً يثبتون فيه، ولاطريقاً يتبعونه، تائهون ضائعون في حيرة دائمة قال تعالى: (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولايذكرون الله إلا قليلاً، مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً[٨٠]). فهم لايقومون إلى الصلاة إلا وهم كسالى، متثاقلون لأنهم لا يرجون ثوابها، ولا يخشون بتركها عقاباً فهي ثقيلة عليهم يقومون إليها لإرضاء الناس لا لإرضاء الله تعالى، وإذا خلوا إلى أنفسهم لا يذكرون الله إلا قليلاً[٨١].

٣ـ الحلف الدائم أمام النبي صلى الله عليه وسلم لإثبات صحة إيمانهم وتوكيده:

فهم يلجئون إلى الحلف الدائم في كل مناسبة، فإن أرادوا أن يثبتوا إيمانهم أو صدق شهادتهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وتصديقهم بها، أو إثبات ما قالوه في موقف ما لم يجدوا إلا الحلف بالله قال تعالى: (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يشهد إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون، اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا

عن سبيل الله إنهم ساء ماكانوا يعملون[٨٢]).وهم يحلفون أنهم ينتمـــون إلـــى الجماعـــة المسلمة في حين أنهم لايمتون إليها بصلة قال تعالى: (ويحلفون بالله إنهم لمنكم ومـــاهم منكم ولكنهم قوم يفرقون). فلا مسوغ لحلفهم الكاذب إلا جبنهم وخوفهم مـــن كشـــف أمرهم، وافتضاح سرهم أمام النبي صلى الله عليه وسلم أو أن ينزل الله آيـــة تكشـــف خباياهم، وقد علل الله ذلك بقوله: (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلاً لولوا إليه وهم يجمحون[٨٣]).

وحلفهم هذا لا يرجون من ورائه إلا إرضاء الناس لا إرضاء الله تعالى، قال تعـــالى: (ويحلفون بالله لكم ليرضوكم، والله ورسوله أحق أن يرضوه لو كانوا مؤمنيـــن، ألـــم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها وذلك الخزي العظيم[٨٤]).

فهم متوجسون خائفون حذرون يحسبون كل صيحة عليهم كما وصفهم الله تعالى: (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحســـبون كـــل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم[٨٥]). لا يجرؤون على مواجهة النبي، ولكنهم إذا خلـــوا إلى أنفسهم فهم متمردون مستكبرون متمردون على الحق، قال تعالى: (وإذا قيل لـــهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله رأيتهم يصدون وهم مستكبرون[٨٦]). وقال تعـــالى: (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم وبئس المصير[٨٧]).

٤ــ أمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف:

وهو دأبهم وعملهم الدائم، يحملون الناس على تجنب الحق في الوقت الذي يأمرونـــهم فيه بالإيمان بالباطل، فيتركون المؤمنين ويتبعون أعداءهم؛ ذلـــك أن أهـــل الضلالـــة بعضهم أولياء بعض قال تعالى: (المنافقون والمنافقات بعضهم أولياء بعض، يـــأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم، نسوا الله فنسيهم إن المنـــافقين هـــم الفاسقون[٨٨]).

٥ـ خوفهم وجبنهم عند ذكر القتال:

فالجهاد أبغض الأشياء إلى المنافقين، كما أنهم أبعد الناس عن المشاركة فيه، وقد يعتذرون بأعذار تافهة واهية للقعود عنه، قال تعالى: (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين[٨٩]).

كما رسمت لهم سورة محمد صورة واضحة تبين جبنهم وخوفهم من سماع أخبار الجهاد والتكليف فيه، فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال نظر المنافقون نظر المغشي عليه من الموت، قال تعالى: (ويقول الذين آمنوا لولا أنزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت[٩٠]) قال سيد قطب: "وهو تعبير لا تمكن محاكاته ولا ترجمته إلى أي عبارة أخرى، وهو يرسم الخوف إلى حد الهلع، والضعف إلى حد الرعشة والتخاذل إلى حد الغشية، ويبقى بعد ذلك متفرداً حافلاً بالظلال والحركة التي تشغف الخيال، وهي صورة خالدة لكل نفس خوارة لا تعتصم بالإيمان ولا بفطرة صادقة ولا بحياء تتجمل به أمام الخطر، وهي طبيعة المرض والنفاق"[٩١]

من ذكر من المنافقين:

إن العودة إلى أسباب نزول الآيات المدنية التي تحدثت عن المنافقين ووصفت أحوالهم، وذكرت مواقفهم وأبرزت مكائدهم للمسلمين وللرسول صلى الله عليه وسلم تبين لنا عدداً ممن عرفوا بالنفاق، وقد أشرنا قبل قليل إلى أن من بقي على نفاقه كشف الله تعالى أمره للنبي صلى الله عليه وسلم قبيل وفاته، وأسر النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الأسماء لحذيفة بن اليمان، كما أن النبي عليه الصلاة والسلام امتنع عن الصلاة عليهم كما أمره ربه، ذكرت كتب السيرة أسماء بعضهم، ومن خلال العودة إلى تلك المصادر استطعنا معرفة بعض منافقي الأوس والخزرج واليهود، ومن هؤلاء:

من الأوس:

١ــ جُلاس بن سُويد بن الصامت: وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن[٩٢]). قال المفسرون: "نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي عليه الصلاة والسلام ويقولون ما لا ينبغي، وقال بعضهم: لا نفعل فإنا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا، فقال الجلاس بن سويد: نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فإنما محمد أذن سامعه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهو الذي تخلف عن النبي عليه الصلاة والسلام في غزوة تبوك، وقال: لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمر، فرفع ذلك إلى النبي عليه الصلاة والسلام عمير بن سعد فلما مشى جلاس إلى النبي عليه الصلاة والسلام ذكر له ما قال، فحلف جلاس بالله لقد كذب علي عمير، وما قلت ما قاله، فأنزل الله تعالى: (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر، وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله، فإن يتوبوا يك خيراً لهم، وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير[٩٣]). وقد ذكر بن إسحاق أنه تاب وحسنت توبته، وعرف منه الخير والإسلام، وقال ابن حجر: كان من المنافقين ثم تاب وحسنت توبته"[٩٤]. وحكى الواقدي أن الجلاس تاب وحسنت توبته. وقال الزمخشري: "بعد أن نزلت هذه الآية قال الجلاس: يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة، والله لقد قلته وصدق عامر، فتاب الجلاس وحسنت توبته"[٩٥].

٢ــ الحارث بن السويد بن الصامت: وهو الذي خرج مع المسلمين وكان منافقاً، فلما التقى الناس عدا على المجذر بن زياد البلوي وقيس بن زيد فقتلهما ثم لحق بقريش[٩٦].

٣ــ بجاد بن عثمان بن عامر، ذكره ابن هشام في السيرة مع المنافقين[٩٧].

٤ــ نبتل بن الحارث: قال عنه الرسول عليه الصلاة والسلام كما روى ابن إسحاق: (من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث. وكان رجلاً جسيماً أذلم مسترخي الشفتين ثائر شعر الرأس أحمر العينين، أسفع الخدين. قال الواقدي: كان يأتي

رسول الله عليه الصلاة والسلام يتحدث إليه فيسمع منه، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين، وهو الذي قال: إنما محمد أذن، من حدثه شيئاً صدقه، فأنزل الله تعالى: (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن[٩٨]). وقيل إن هذه الآية نزلت في الجلاس.

٥ـ أبو حبيبة بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة الأنصاري، قال ابن منده: "إنه ممن شهد أحداً"[٩٩]، وهو ممّن بنى مسجد الضرار.

٦ـ عباد بن حنيف: وهو ممن بنى مسجد الضرار[١٠٠].

٧ـ عمرو بن خزام وعبد الله بن نبتل: وهما ممن بنى مسجد الضرار[١٠١].

٨ـ جارية بن عامر بن العطاف، وابناه زيد ومُجَمِّع بن جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار، وكان مجمّع غلاماً حدثاً قد جمع من القرآن أكثره، وكان يصلي بهم فيه، ولما خرب مسجد الضرار كلم جماعة من بني عمرو بن عوف زمن عمر بن الخطاب عمر ليصلي بهم مجمع، فقال: أوليس بإمام المنافقين في مسجد الضرار؟ فقال لعمر: يا أمير المؤمنين، والله الذي لا إله إلا هو ماعلمت بشيء من أمرهم، ولكنني كنت غلاماً قارئاً للقرآن، وكانوا لا قرآن معهم فقدموني أصلي بهم، وما أرى رأيهم إلا على أحسن ما ذكروا. فزعموا أن عمر تركه فصلى بقومه[١٠٢].

٩ـ وديعة بن ثابت: وهو ممن بنى مسجد الضرار: وهو الذي قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام: "إنما كنا نخوض ونلعب"، فأنزل الله: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب، قال أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون)[١٠٣].

١٠ـ خذام بن خالد: وهو ممّن أخرج مسجد الضرار من منزله[١٠٤].

١١ـ مربع بن قَيْظَى: وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز في حائطه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامد إلى أحد: "لا أحل لك يا محمد إن كنت نبياً أن تمر في حائطي، وأخذ بيده حفنة من تراب ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: دعوه فهذا الأعمى أعمى البصيرة، فضربه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشـــهل بالقوس فشجه"[١٠٥].

١٢ـ أوس بن قَيْظَى: وهو الذي قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الخندق: إن بيتنا عورة، فإذن لنا فلنرجع إليها، فأنزل الله تعالى قوله: (يقولون إن بيوتنا عورة ومـا هي بعورة، إن يريدون إلا فراراً[١٠٦]).

١٣ـ حاطب بن أمية بن رافع: وكان شيخاً جسيماً قد عسا في الجاهلية، وكان ابنه من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب، أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات، فحمـل إلى دار بني ظفر، قال ابن إسحاق: "فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع إليــه من بها من رجال المسلمين ونسائهم، وهو بالموت، فجعلوا يقولون: أبشر يابن حـاطب بالجنة، قال فنجم نفاقه حينئذ، فجعل يقول أبوه: أجل جنة والله من حرمل، غررتم والله بهذا المسكين من نفسه"[١٠٧].

١٤ـ بُشَيْر بن أُبَيرق: سارق الدرعين الذي أنزل الله تعالى فيه: (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً[١٠٨]).

١٥ـ قزمان: نقل ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رســول الله صلـى الله عليه وسلم كان يقول: إنه لمن أهل النار، فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا حتى قتـل بضعة نفر من المشركين فأثبتته الجراحات، فحمل إلى ديار بني ظفر، فقال له رجـال من المسلمين: أبشر يا أبيرق فقد أبليت اليوم، وقد أصابك ماترى في الله. قال: بمـاذا أبشر، فوالله ما قاتلت إلا حمية عن قومي، فلما اشتدت به الجراحات وأذته، أخذ سـهما من كنانته فقطع به رواهش يده فقتل نفسه"[١٠٩].

ومن الخزرج:

١ـ رافع بن وديعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس، وقيس بن عمرو بن ســهل، والجد بن قيس، وهو الذي دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى القتال فقال له: ائذن لي

ولا تفتني، ولكني أعينك بمالي فاتركني[110]. فأنزل الله تعالى: (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني، ألا في الفتنة سقطوا، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين[111]). قال ابن إسحاق: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه لغزوة تبوك للجد بن قيس: هل لك في جلاد بني الأصفر؟ يعني الروم. فقال: يا رسول الله: أو تأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرفت قومي مارجل أشد عجباً بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت بني الأصفر ألا أصبر عنهن. فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: قد أذنت لك"[112].

٢ـ عبد الله بن أبي بن سلول: رأس المنافقين، وإليه يجتمعون، وفيه نزلت سورة المنافقين كاملة، بعد قوله: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وفيه وفي وديعة ومالك بن أبي قوقل، وسويد وداعس، وهم رهط ابن سلول وعبد الله هذا، فهؤلاء جميعاً كانوا يدسون إلى بني النضير حين حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم: أن اثبتوا فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم، ولا نطيع فيكم أحداً أبداً، ولئن قوتلتم لننصرنكم. فأنزل الله تعالى: (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً، وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون. ت ٩هـ[113]).

من اليهود:

ودخل جماعة من اليهود الإسلام خوفاً على أنفسهم ومصالحهم، وأحفوا الكيد والكفر، ومن هؤلاء:

١ـ زيد بن اللَّصيت: وهو الذي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسوق قينقاع، وقد نقل عنه أنه قال حين ضلّت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم: "يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وجاءه الخبر بما قاله عدو الله في رحله، ودل الله تعالى رسوله على ناقته: "إن قائلاً قال يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله،

وقد دلني الله عليها، فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها"، فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصف[114].

٣ــ رافع بن حريملة: وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات: مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين[115].

٤ــ رفاعة بن زيد بن التابوت: مات عقب غزوة بني المصطلق، فقد اشتدت الريح حتى أشفق المسلمون منها، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تخافوا فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار. فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجدوا رفاعة قد مات. وقال المقريزي عنه: "هو عظيم من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين"[116]).

٥ــ سِلْسلة بن بَرْهام، وسلالة بن الحمام، من بني قينقاع، وكنانة بن صوريا، والنعمان بن أوفى، وعثمان بن أوفى[117].

الخاتمة:

ويستمر القرآن الكريم في تصوير المنافقين وفضحهم، وتنقضي الفترة المدنية وتفتح مكة أبوابها، ويدخل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه آمنين، محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون، ويذوب المنافقون في مجتمع مكة الجديد، إلا أن أوصافهم المخزية وصفاتهم المفضوحة وأساليبهم المكشوفة لا تزال صرخة مدوية يعرفها كل من قرأ آيات القرآن، خالدة بخلوده، صورة معروضة ولوحة مشاهدة، لا كلمات تقرأ أو آيات تتلى تخلد مكر هذه الفئة المشؤومة وأساليبها الملتوية وأفاعيلها التي تندي الجبين، لتكون عبرة لمن جاء بعدهم، وموعظة لمن أراد أن يتخلق بأخلاقهم، (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين).

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إبراهيم، محمد أبو الفضل (تحقيق) ديوان امرئ القيس، دار المعارف في مصر.

٣- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق د. مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م.
مقاييس اللغة، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٤- ابن قتيبة، عبد الله، غريب الحديث، صنع فهارسه (نعيم زرزور). دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ.

٥- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ـ البداية والنهاية (توفيق علي محمد معوض) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
تفسير القرآن العظيم، دار قتيبة، بيروت، بلا تاريخ.
السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ ١٩٧٦م.

٦- ابن منظور، لسان العرب.

٧- ابن هشام، السيرة النبوية، تقديم طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.

٨- أبو شهبة، محمد بن محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، بلا تاريخ.

٩- أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، مكتبة دار المنار، الأردن، الزرقاء، ١٤٠٥هـ.

١٠- الجباوي، محمد وحيد، تطور معاني الألفاظ في صدر الإسلام، بلا تاريخ.

١١- الجوزية، ابن قيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق (شعيب وعبد القادر الأرناؤوط) مؤسسة الرسالة ط١ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

١٢- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي بمصر.

١٣- الحنبلي، عبد الحي بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت، ط١ ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.

١٤- دروزة، محمد عزة، سيرة الرسول، صور مقتبسة من القرآن الكريم، مطبعة الاستقامة، ط١، ١٣٦٧هـ.

١٥- الزركشي، بدرالدين بن محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ ١٩٧٢م.

١٦- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، دار المعرفة بيروت، بلا تاريخ.

١٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن.

الإتقان في علوم القرآن، بلا تاريخ.

المزهر (تحقيق محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم) ١٩٨٦م.

١٨- الصالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين بيروت، ط١٥، ١٩٨٣م.

١٩- الصقال، لطفي الصقال: ديوان علقمة بن عبدة، دار الكتاب العربي، حلب بلا تاريخ.

ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، مطبوعات مجمع اللغة العربية.

٢٠- الطرابلسي، إبراهيم بن السيد علي الأحدب، فرائد الأمثال في مجمع الأمثال، بلا تاريخ.

٢١- العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تعليق علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٢- العسكري، أبو هلال، الأوائل، منشورات وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٥٧م.

٢٣- الفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض، صفة النفاق وذم المنافقين، دار الحديث، بلا تاريخ.

٢٤- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز، بلا تاريخ.

٢٥- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق بيروت، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

٢٦- المبارك، د.مازن، نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة، بلا تاريخ.

٢٧- المعري، أبو دريد أبو بكر محمد بن الحن الأزدي، جمهرة اللغة، دار صادر بيروت، بلا تاريخ.

٢٨- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع، تصحيح (محمود محمد شاكر) مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ١٩٤١م.

٢٩- نجم، د. محمد يوسف نجم، ديوان كعب بن زهير، دار صادر بيروت، بلا تاريخ.

٣٠- النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٣١- الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال، مطبعة الثقافة، حلب ط١، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٣٢- الواحدي، أبو الحسين علي بن أحمد، أسباب النزول، عالم الكتب، بلا تاريخ.

الحواشي

١. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٥،١٠٤/

٢. سورة الإسراء آية ١٠٠

٣. ابن منظور لسان العرب دار إحياء التراث العربي بيروت، مادة نفق.

٤. المبارك بن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر، الفكر بيروت، تحقيق محمود محمد طناجي بلا تاريخ ج ٥ ص ٩٨ مادة نفق.

٥. والحديث أخرجه علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي في كتابه كنز العمال، مطبعة الثقافة، حلب ط١ ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م رقم الحديث ٤٦٣٨٤ و٤٦٣٨٥

٦. الحديث أخرجه المبارك بن الأثير في كتابه جامع الأصول في أحاديث الرسول دار الفكر بيروت ط١ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ج١/٥٣٩ وتخريجه ثمة.

٧. الأصل فيه تنفير الوحش من مكان إلى مكان، وهنا أن يمدح الرجل السلعة لينفقها ويروجها أو يزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها، المبارك بن الأثير النهاية ج٥ ص٢١ مادة نجش.

٨. والمثل أخرجه إبراهيم بن السيد علي الأحدب الطرابلسي في كتابه فرائد اللآل في مجمع الأمثال ج٢ ص٢٨١ ونصه: منن باع بعرضه أنفق.

٩. كعب بن زهير الديوان قرأه محمد يوسف نجم دار صادر بيروت ص٨

١٠. ابن قتيبة غريب الحديث صنع فهارسه نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ه، ج١/٣١٥

١١. علقمة بن عبدة، الديوان تحقيق لطفي السقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب بلا تاريخ.

١٢. الطرابلسي فرائد اللآل ج١ ص٣٥٥، ويروى ضل الضريس نفقه، ويضرب لمن يعنى بأمر ويعد حجة لخصمه فينسى عند الحاجة.

١٣. سورة الأنعام آية ٣٥

١٤. امرؤ القيس الديوان تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف في مصر ص٥١ رقم البيت ٤٢

١٥. عودة خليل أبو عودة التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن.

١٦. طرفة بن العبد الديوان، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية لخطيب ولطفي السقال مطبوعات مجمع اللغة العربي بدمشق ١٣٩٥، ١٩٧٥، والبيت مما روي منسوباً لطرفة وليس من الأبيات التي ثبتت له، وبقية الأبيات تشير إلى أن القصيدة مما قيل في العصر الإسلامي إذ يقول في بعض أبياتها:

قلوب الذئاب الضاريات قلوبهم وألسنهم أحلى الذي أنت ذائقه

فلست إليهم ما حييت براغب ولا خير في حب امرئ لا تطابقه

١٧. وردت مادة نفق في القرآن الكريم على وجوه:١

١) بمعنى فرض الزكاة كقوله تعالى: ومما رزقناهم ينفقون، أي يزكون ويتصدقون. سورة البقرة آية ٣

٢) بمعنى التطوع في الصدقات كقوله تعالى: الذين ينفقون في السراء والضراء. سورة آل عمران آية ١٣٤

٣) بمعنى الإنفاق في الجهاد كقوله تعالى: وأنفقوا في سبيل الله. سورة البقرة آية١٩٥

٤) بمعنى الإنفاق على العيال كقوله تعالى: لينفق ذو سعة من سعته سورة الطلاق آية ٧

٥) بمعنى الإنفاق في عمارة الدنيا والندم عليه كقوله تعالى: فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها. سورة الكهف آية ٤٢

٦) بمعنى الفقر والإملاق كقوله تعالى: إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق سورة الإسراء اية ١٠٠

١٨. أبو الحسين أحمد بن فارس الصاحبي في فقه اللغة، تحقي مصطفى الشويني، مؤسسة بدران بيروت ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م ص٧٨، ٧٩

١٩. د.مازن المبارك، نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة ص ٩٩ نقلاً عن كتاب الزينة.

٢٠. ابن منظور، لان العرب دار إحياء التراث العربي بيروت مادة نفق.

٢١. أحمد بن فارس الصاحبي ص ٧٩

٢٢. الحديث أخرجه المبارك بن الأثير في جامع الأصول ج٩ ص٥١٦، وتخريجه ثمة.

٢٣. ٢٤. ابن منظور، لسان العرب، مادة نفق.

٢٥. أبو هلال العسكري، الأوائل منشورات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٥٧ ج١ ص٥١/٥٢

٢٦. جلال الدين السيوطي المزهر في علوم العربية، تحقيق محمد احمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٨٦ ج١ ص٣٠١

٢٧. ابن الأثير، النهاية ج٥/ ص٩٨

٢٨. ابن منظور، لسان العرب، مادة نفق.

٢٩. أبو الفداء، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار قتيبة بيروت بلا تاريخ ج١/ ص٥٠/ ٥١

٣٠. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق بيروت ١٣٩٣هــ ج٥/ ص٣٢٩٤

٣١. سورة العنكبوت آية ١١

٣٢. محمد عزة دروزة، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، صــــور مقتبســـة مـــن القرآن، مطبعة الاستقامة ط١ ١٣٦٧هــ ص١٧٧ / ١٧٨

٣٣. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن بلا تــاريخ ج١/ص٢٣، بــدر الدين الزركشي، البهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل لإبراهيم بــيروت ١٣٩١ج١ ص١٨٨، الدكتور صبحي الصالح مباحث في علوم القرآن دار العلــم للملايين بيروت ط١٥/ ١٩٨٣ ص١٨٣

٣٤. سورة البقرة آية ١٥/ ١٦

٣٥. سورة البقرة آية ٢٠٤ أبو الحسين علي بن أحمـــد الواحـــدي النيســـابوري أسباب النزول، عالم الكتب بلا تاريخ ص١٢

٣٦. سورة البقرة آية ٢٠٥/ ٢٠٦

٣٧. سورة آل عمران آية ١٨٨

٣٨. أبو الحين الواحدي، أسباب النزول ص١٠١

٣٩. سورة النساء آية ٦٠، الواحدي، أسباب النزول ص ١١٨/ ١١٩

٤٠. سيد قطب، في ظلال القرآن ج٣/ ص١٥٧٥/ ١٥٧٦

٤١. سورة الأنفال آية ٤٩

٤٢. سورة الأحزاب الآيات من ٩ ــ ٢٠

٤٣. سورة النساء آية ٦٠/ ٦١

٤٤. سورة التوبة آية ٥٨/ ٥٩

٤٥. سورة النور آية ١١

٤٦. سيد قطب، في ظلال القران ج٤ ن ص٢٥٠١

٤٧. سورة التوبة آية٦١

٤٨. سورة التوبة آية ٧٩

٤٩. سورة آل عمران آية ١٥٦

٥٠. سورة النساء آية ٨١

٥١. محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة بيروت ج٢/ ١٧٨

٥٢. سورة محمد آية ١٦

٥٣. سورة التوبة الآيتان: ١٢٤/ ١٢٥

٥٤. سورة التوبة آية

٥٥. سورة آل عمران الآيات ١٦٦/ ١٦٧/ ١٦٨

٥٦. سورة المنافقين آية ٧

٥٧. سيد قطب، في ظلال القرآن ج٢ ص٩١٣

٥٨. سورة محمد آية ٢٥، انظر سورة الأنفال آية ٢٨، وسورة التوبة الآيات ٦٧،٦٨،٧٧،٩٧، سورة الأحزاب آية ٣٣، وسورة التحريم آية ٦٦

٥٩. سورة النساء آية ١٤٠

٦٠. سورة النساء آية ٨٩

٦١. سورة النساء آية ١٤٥، ١٤٦

٦٢. سورة محمد آية ٢٥

٦٣. سورة النساء آية ٨٨

٦٤. سورة الأحزاب آية ٦٠

٦٥. سورة المنافقون آية ٦

٦٦. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ٣٩١، ٣٩٢، وسيد قطب، في ظلال القرآن ج٦، ٣٥٧٦

٦٧. سورة المنافقون آية ٦

٦٨. سورة التوبة آية ٨٠

٦٩. سورة التوبة آية ٨٤

٧٠. سورة التوبة آية ٥٥

٧٢. سورة التوبة آية ٧٣

٧٣. محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف ج٢ ص١٦٢،١٦٣، وعبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل , وحقائق التأويل، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٢، ج٢، ص١٣٦

٧٤. ابن هشام، السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت ١٩٧٥، ج١ ص١٢٥،١٢٦،١٢٧

٧٥. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرالة ط١، ١٣٩٩هـ ج٣، ص١٦١

٧٦. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج١، ص٥٠.وقد ورد ذكر المنافقين صراحة في ٢٧آية والمنافقات في ٥ آيات والنفاق في ٣ آيات، إضافة إلى المواضع التي تحدث عنهم القرآن الكريم بشكل خفي.

٧٧: أبو بكر جعفر بن محمد بن لحسن بن المستفاض الفريابي، صفة النفـــاق وذم المنافقين، تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، وعيد عبد المجيد، دار الحديث، بـــلا تاريخ، ص١٠٣٠، ١٠٤

٧٨. سورة محمد آية ٣٠

٧٩. سورة البقرة آية ١٠

٨٠. سورة النساء آية ١٤٢

٨١. الزمخشري، الكشاف ج٢، ص١٥٦

٨٢. سورة المنافقون آية ١

٨٣. سورة التوبة آية ٥٧

٨٤. سورة التوبة آية ٦٢

٨٥. سورة المنافقون آية

٨٦. سورة البقرة آية ٢٠٤

٨٧. سورة البقرة آية

٨٨. سورة التوبة آية ٦٧، قال النسفي في تفسيره: كان الرجال المنـــافقون مائـــة، والنساء مائة وسبعين، تفسير النسفي ج٢ ص١٣٤

٨٩. سورة التوبة آية ٤٩

٩٠. سورة محمد آية ٢٠

٩١. سيد قطب، ظلال القرآن ج٦ ،ص٣٢٩٦

٩٢. سورة التوبة آية ٦١

٩٣. سورة التوبة آية ٧٤

٩٤. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تعليق علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت ط١، ١٤١٢هـ ج١ ص٤٩٣

٩٥. الزمخشري، الكشاف ج٢ص١٦٦٣، والنسفي مدارك التنزيل ج٢ ص ١٣٦

٩٦. ابن حجر العسقلاني، الإصابة ج١، ص٥٧٦

٩٧. ابن هشام السيرة النبوية ج٢ ص١٢٢

٩٨. سورة التوبة آية ٦١

٩٩. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٧، ص٨٥

١٠٠. ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة بيروت، ١٣٩٥، ج٣، ص٢٩٣

١٠١. المصدر السابق.

١٠٢. ابن هشام السيرة النبوية ج٢، ص١٢٢

١٠٣. سورة التوبة آية ٦٥

١٠٤. ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٢٢، وابن كثير السيرة النبوية ج٣ ص٢٩٩

١٠٥. ابن كثير، البداية والنهاية، توثيق علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ط١/١٤١٥هـ ١٩٩٤م، ص١٨٧، وابن هشام السيرة النوية ج٢، ص١٢٢، ١٢٣

١٠٦. سورة الأحزاب آية ١٣

١٠٧. ابن هشام السيرة النبوية ج٢١، ص١٢٣

١٠٨. سورة النساء آية ١٠٧

١٠٩. ابن هشام السيرة النبوية ج٢ ص١٢٣، والواهش عصب في ظهر الذراع.

١١٠. عبد الله النسفي، مدارك التنزيل ج٢، ص١٢٩

١١١. سورة التوبة آية ٤٩

١١٢. الزمخشري الكشاف ج٢ ص١٥٦

١١٣. سورة الحشر آية ١١، عبد الحي بن العماد الحنبلي شذرات الذهب، دار الفكـو بيروت ط١، ١٣٩٩ هـ ج١ ص١٣

١١٤. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، إمتاع الأسماع تصحيح محمـود محمـد شاكر، مطبعة لجنة التأليف القاهرة ١٩٤١مج١ ص٢٠٥، وابن هشـام السـيرة النبوية ج٢ ص١٢٥

١١٥. المقريزي، إمتاع الأسماع ج١ ص٢٠٥

١١٦. المصدر السابق.

١١٧. ابن كثير السيرة النبوية ج٢ ص٤١٠، ٤١١

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٨/١٢/٢٩

قضية الوحدة العربية

دراسة استطلاعية لاتجاهات قادة الرأي في الأردن

د. غازي الصوا
قسم علم الاجتماع ـ كلية العلوم الاجتماعية
الجامعة الأردنية

خالد سليمان
مركز الدراسات الاستراتيجية
الجامعة الأردنية

الملخص

استقصت هذه الدراسة اتجاهات قادة الرأي في الأردن نحو قضية الوحدة العربية. وجمعت البيانات إبان ربيع ١٩٩٨، وذلك بتوظيف استبانة وزّعت على عينة طبقية بلغ تعدادها (٢٤٥) فرداً يمثلون سبع فئات من شريحة قادة الرأي في المجتمع الأردني. وحلّلت البيانات باعتماد بعض طرائق الإحصاء الوصفي لتحديد استجابات المبحوثين نحو كل بند من البنود التي اشتملت عليها أداة الدراسة. وأظهرت النتائج توجّه أغلبية المستجيبين للايمان بفكرة الوحدة العربية؛ نظراً لكون تلك الوحدة تمثل قاعدة الانطلاق النهضوي للأمة العربية على مختلف الصعد. بيد أن هناك العديد من العقبات التي تعرقل المسيرة الوحدوية، يتقدمها فقدان الرغبة لدى بعض أنظمة الحكم العربية، التي تحجر على الحريات والديموقراطية في الوطن العربي، وتترك المجال واسعاً لتآمرات القوى الإمبريالية المناهضة للوحدة. ولمجابهة تلك العقبات التي تعترض سبيل قيام الوحدة العربية، ثمة آليات لا بد من اعتمادها، يتصدرها تبني النهج الديموقراطي في البلدان العربية، وتدعيم دور التنظيمات العربية ذات التوجه الوحدوي بغية تنوير الوعي

القومي في أعماق الجماهير. وأظهرت النتائج أيضاً ميل معظم المستجيبين إلى تأييد اعتماد الهوية العربية الإسلامية لدولة الوحدة المنشودة ذات النظام الاقتصادي الإسلامي، التي يبدو أنها لن تستحيل إلى واقع حي قبل انقضاء عشرين سنة، ويستحسن احتكامها إلى صيغة فيدرالية يتم تحقيقها بتوظيف أساليب ديموقراطية تدريجية، بدعم من التنظيمات المنبثقة عن المجتمع المدني.

المقدمة

يمثل مفهوم الوحدة في مقابل مفهوم التشرذم، تجسيدا لحالة قوامها الائتلاف بين عدد من الوحدات، وفق صيغة تجعل منها نسقا كليا واحدا[1]. وتأسيسا على ذلك، يمكن القول: إن وحدة الكيانات السياسية أو الدول دلالة على انتظامها ضمن بنية عضوية متعاضدة، وتعبير عن هوية وإرادة واحدة على الصعيد الدولي[2]. وضمن هذا السياق، تأتي الإشارة إلى امتلاك الأقطار العربية ترسانة متميزة من المقومات الجامعة التي تجعل من إمكان انخراطها في عقد وحدوي متماسك أمرا مرتفع القابلية[3]. ولا تقتصر تلك المقومات على الروابط الوجدانية المتضمنة في اللغة، والهوية، والتاريخ، والتطلعات، والثقافة ...الخ، فقط، وإنما تشمل أيضا ذلك كله مصحوبا بالعناصر الموضوعية العقلانية المتعلقة بشبكة واسعة من المصالح المشتركة التي يمكن أن تعود على الأقطار العربية من جراء توحدها[4]. كما تجابه تلك الأقطار سلسلة من التحديات الداخلية والخارجية المتفاقمة الخطورة، التي تتغلغل عميقا في ثنايا هيكل المجتمع العربي بتفاصيله وقسماته المختلفة، مهددة دعائم وجوده وآفاق تقدمه[5]، غير أن الأقطار العربية ــ بوجه عام، ورغم كل ذلك ــ لا تبدي في سياساتها (الداخلية والخارجية) وممارساتها ما يعكس وعيا ناضجا متفهما لضرورة اعتماد نهج وحدوي يجمع شتاتها ويجنبها خطر الاقتلاع أو الإخضاع، وفق ما تمليه مقتضيات المنطق السياسي الحضاري. على العكس من ذلك، تتبنى تلك الأقطار في مجملها توجهات إعلامية، وثقافية، وسياسية، واقتصادية، ترسخ النزعات القطرية الضيقة[6]. ليس هذا فحسب؛ وإنما يحاول بعض تلك الأقطار الجريان خلف مشاريع إقليمية مثقلة بعلامات التساؤل، مما يدفع بعض المفكرين إلى إدراجها ضمن قائمة المشاريع الاستعمارية، التي تتناقض جوهريا مع التوجه الوحدوي العربي[7]. يقال هذا في الوقت الذي تنزع فيه دول عديدة ــ ليست عربية ــ إلى تناسي خلافاتها، وتنحية نقاط التنافر فيما بينها

جانباً، سعياً إلى الانضواء تحت ألوية أحلاف وحدوية الطابع، وذلك في ضوء تنامي وعي هذه الدول بتضاؤل فرص الكيانات المنفردة في الصمود والبقاء، ناهيك عن التنافس والظفر بوضعية لائقة، في عالم تتزاحم فيه التكتلات والأقطاب الدولية العملاقة[٨].

وبالعودة إلى الإرهاصات التي آذنت بانبعاث عهد جديد للمسيرة القومية للأمة العربية، يمكن القول: إن بذور الدعوة القومية العربية قد أخذت بالتبرعم في بواكير هذا القرن، بعد أن مرّ أبناء الأمة العربية بمرحلة الشعور بقوميتهم في نهايات الحكم العثماني، وما أعقبه من إقدام الدول الاستعمارية الغربية (بريطانيا وفرنسا بشكل خاص) على تمزيق الوطن العربي إلى دويلات متفرقة؛ في محاولة لترسيخ هيمنتها، ووأد النزعة القومية الناهضة في مهدها[٩]. ومنذ تلك الآونة، أخذت القضية القومية تتقدم بخطوات ثابتة، لتحتل موقعاً بارزاً في كتابات رجال الفكر العربي وأعلامه. وعلى الرغم من تشعب توجهات تلك الكتابات، وانطلاق بعضها من رؤية عقائدية، كأعمال الأفغاني وعبده، وأرسلان، والكواكبي، ونزوع بعضها نزعة علمانية الطابع، ككتابات الحصري، والريحاني، وزريق، وانصراف بعضها لاتخاذ موقف توفيقي بين الإسلام والعروبة، كإسهامات عمارة، والجابري، على الرغم من ذلك كله، إلا أن تلك الأعمال، جاءت لتصبّ ــ في نهاية المطاف ــ في تيار السعي إلى دعم التوجهات الوحدوية وتأصيلها[١٠].

ولم يقتصر الاهتمام العربي بالقضية الوحدوية على دوائر الفكر والثقافة فحسب؛ بل تعدّاها إلى الأوساط السياسية أيضاً، إذ توّجت الوحدة شعاراً تبنّته بلدان وتنظيمات سياسية عربية عديدة. وأضحت المطالبة بالوحدة وسيلة أساسية تلجأ الحكومات والأحزاب العربية إلى استغلالها، بغية استقطاب الدعم الجماهيري، وسعياً لإضفاء نوع من الشرعية على كينونتها.

من جهة أخرى، وباستحضار النبوءة التي أطلقها بعض المفكرين بشأن استحالة العالم إلى قرية كونية يتأثر بعض أجزائها بما يجري في أجزائها الأخرى(١١)، أو باستذكار المقولة الأقل تعميماً التي تفترض تأثر دول المحيط أو الهامش بما يحدث في دول المركز، بشكل أو بآخر(١٢)، فإن هناك جملة من التحوّلات الجسيمة التي شهدها العالم في السنوات العشر الأخيرة، كانفراط عقد المنظومة الاشتراكية، وتقلّد الولايات المتحدة الأمريكية زعامة النظام العالمي الجديد تحت مظلة ما يسمى بالعولمة، واندلاع أزمة الخليج الثانية بكل ما رافقها وأعقبها من تبعات وتداعيات، إضافة إلى انطلاق المسيرة السلمية في منطقة الشرق الأوسط، وما ترتب عنها من استحقاقات وذيول. تلك التحولات الجذرية، التي تشكل منعطفات حادة في نهايات هذا القرن، قد لا تكتفي بالإسهام في تحوير الاتجاهات السياسية السائدة في المنطقة العربية، وإنما قد يتمخض عنها أيضاً، تبدّلات جوهرية في معالم الخريطة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، للمنطقة برمّتها(١٣). وبعبارات أكثر تحديداً، وأوثق صلة بقضية الوحدة العربية، يمكن التنويه إلى أن تشظّي الاتحاد السوفييتي، وانتهاء الحرب الباردة لصالح الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، شكّل لدى بعض المفكرين مدعاةً لحفز الأقطار العربية على التشبث بهويتها القومية الموحدة، وتلمّس سبل التوحدّ والتماسك، وذلك في ضوء تقهقر المساندة الاشتراكية، وبروز أمريكا قوة دولية جبّارة تحاول بسط سيادتها على العالم(١٤)، بسعيها إلى فرض منظومة من القيم السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية الغربية، بوصفها الأنموذج الأكثر تقدّماً وتحضّراً على الصعيد العالمي، الذي ينبغي تمثله ـــ فكراً وممارسةً ـــ من أمم الدنيا وأقطارها كافة(١٥).

من ناحية أخرى، ربما أسفر تفسّخ الاتحاد السوفييتي، وتبلور القطبية الأمريكية عن مزيد من التنازع والانقسام على المستوى العربي، وذلك تحت وطأة الإغراءات والضغوطات الأمريكية التي استهدفت دفع الأطراف العربية إلى الاعتراف بإسرائيل، والدخول معها في مفاوضات سلمية تفتقر إلى التكافؤ، في ظل الاختلال الواضح في

كفة موازين القوى لصالحها؛ مما أدى إلى إسباغ طابع الشرعية على وجـود الكيـان الصهيوني واحتلاله لفلسطين، وتوقيع بعض الاتفاقيات المثيرة للجدال معه، التي خلقت أجواءً خصبة لتصعيد التوتر وتبادل الاتهامات بين بعض الدول العربية. أمـا أزمـة الخليج؛ فقد تمثل بعض أبرز آثارها في انشطار بلدان الوطن العربـي إلـى خندقيـن متنافرين. وما تزال الأمة العربية حتى هذه اللحظة، تعاني من الانعكاسـات السـلبية التي خلّفتها تلك الأزمة على مختلف الصعد(١٦).

في هذه الأجواء، تشرع هذه الدراسة ذات الطابع الميداني تؤسس لمشروعية إجرائـها، محاولة تلمّس طريقها المستنير بالالتزام المنهجي وسـط شـعاب الجـدال والسـجال الدائرين حول قضية الوحدة العربية، ولا سيما أن الطروحات التي تناولت تلك القضيـة – التي تصطبغ في معظمها بصبغة تنظيرية تعكس انطباعات وتحليلات ذاتية يتعـذر تعميمها على نطاق واسع – تتسم بالتباين فيما ترتئيه حد التنـاقض. فبينمـا يذهـب بعضها – متأثراً بواقع التجزئة الذي يشهده العالم العربي – ليس إلى القـول بتقـهقر القومية العربية إلى الحد الذي جعلها تبدو ميتة فحسب، وإنما إلى الجزم أيضـاً بأنـها أسطورة دثرت وعفا عليها الزمن(١٧)؛ تنبري طروحات أخرى لتفنيد هـذه المزاعـم، مؤكدة رسوخ فكرة القومية العربية وواقعيتها، وذلك بالتركيز على إبراز دعائم الوحدة القومية لدى الأمة العربية(١٨)، وبالتوأمة بين المشروع الوحدوي للأمـة ومشـروعها النهضوي، الذي سيفضي تحققه إلى التحاق الأمة العربية بمسـيرة التقـدم والإبـداع الحضاري(١٩).

وتتمركز المشكلة البحثية لهذه الدراسة في محاولة سبر الوضع الذي اسـتقرت عليـه اتجاهات قادة الرأي الأردنيين نحو قضية الوحدة العربية في هذه المرحلة، فـي ظـل المعطيات الآنف ذكرها، التي احتلت مكانة بارزة في أجندة الاهتمامات العالمية منـذ بداية العقد الأخير من القرن العشرين، بما يحتمه ذلك من رصد لاتجاهات أولئك القادة فيما يتصل بكل من النقاط التالية: الإيمان بقضية الوحدة، وفوائد قيامـها، وأشـكالها،

وماهياتها، والمدى الزمني الممكن لقيامها، ومضامينها السياسية والاقتصادية. وخطوات إتمامها، وأساليب إنجازها والجهات القادرة على تنفيذ ذلك الإنجاز، ومعوقات تحققها، وآليات دعمها، إضافة إلى استكشاف بعض أبعاد العلاقة القائمة بين اتجاهات أولئك القادة المبحوثين من جانب، وعدد من القضايا البارزة التي شهدتها وتشهدها المنطقة العربية والعالم من جانب آخر.

ويتنامى استحقاق هذه الدراسة للإنجاز؛ لإقدامها على محاولة استقصاء اتجاهات أعضاء شريحة قادة الرأي في المجتمع الأردني، تلك الشريحة الاجتماعية البالغة الأهمية التي تشتمل على أفراد شغلوا أو يشغلون مكانات اجتماعية مرموقة في مختلف مجالات الحياة العامة: في حقول الثقافة، والعلم، والسياسة، والاقتصاد والأعمال. وتتيح تلك المكانات الاجتماعية الرفيعة لمتبوئيها حيزا واسعا من إمكان التأثير في صياغة مفردات الخطاب السائد في المجتمع، وتكوين ملامح الرأي العام فيه، الأمر الذي يكسب دراسة اتجاهات أعضاء هذه الشريحة حيال قضية الوحدة العربية وما يتصل بها من مسائل أهمية خاصة، نظرا للاتساع النسبي في نطاق تأثير أصحاب تلك الاتجاهات في الفئات الاجتماعية الأخرى من جهة، ولشفافية الصورة التي يمكن تشكيلها حول القضية الوحدوية، باستيضاح أبعاد الاتجاهات المستقصاة، من جهة أخرى.

إضافة إلى ما تقدم، يجدر بالدراسة ـ في معرض إبراز أهميتها ـ التذكير بندرة الدراسات الميدانية التي حاولت التعرف إلى اتجاهات المواطنين العرب نحو قضية وحدتهم، وتتبع تطور هذه الاتجاهات، في ضوء ما يستجد من أحداث عربية ودولية، وذلك رغم أن تلك القضية، هي إحدى القضايا المصيرية الأولى في التاريخ المعاصر للعرب، التي ينبغي إيلاؤها كل العناية البحثية الممكنة من الأوساط العلمية، والثقافية، والسياسية العربية على اختلاف مستوياتها. من هنا تأتي هذه الدراسة العلمية، التي تأمل احتسابها خطوة متواضعة على طريق الوحدة العربية المنشودة. كما ترجو أن

تكون جديرة بإفادة المشتغلين في حقول العلم والثقافة والسياسة، إضافة إلى المعنيين بقضية الوحدة العربية، والطامحين إلى تحقيقها.

الدراسات السابقة

يمكن الرجوع في عملية استعراض الأدبيات التي تناولت الشأن الوحدوي العربي إلى قائمة طويلة من الإسهامات الفكرية التي عملت على تناول قضية الوحدة العربية تنظيراً، وتحليلاً، وتأويلاً، غير أن تلك القائمة تعكس في المقابل وجوداً متواضعاً جداً للدراسات الميدانية التي عنيت باستقصاء اتجاهات الشرائح الاجتماعية المختلفة على امتداد رقعة خارطة الوطن العربي نحو قضية الوحدة.

وتعد دراسة ابراهيم[٢٠]، من الدراسات الرائدة في هذا المجال، إذ هدفت إلى استكشاف اتجاهات الرأي العام العربي نحو قضية الوحدة من جانب، ورصد التباين في تلك الاتجاهات ومحاولة تفسيره من جانب آخر، وذلك بتوظيف أسلوب المسح الاجتماعي عبر الاستبانة لاستطلاع اتجاهات عينة بلغ تعدادها (٥٥٥٧) فرداً تم اختيارهم من عشرة أقطار عربية. وخلصت نتائج الدراسة إلى أن ما يزيد على ثلاثة أرباع عينة الدراسة يسلمون بوجود وطن عربي، وأمة عربية واحدة؛ وأن الوحدة العربية تعد مطلباً مهماً؛ وأنهم يفضلون صيغة الاتحاد الفيدرالي لتأطير العلاقة بين البلدان العربية. وأشارت النتائج أيضا إلى وعي أغلبية المبحوثين بصعوبة التحقق الفوري للوحدة، إذ ذهب حوالي (٦٤%) منهم إلى ترجيح تحققها في المدى المتوسط والبعيد. وتمثلت العقبة الأولى التي تعترض سبيل قيام الوحدة وفقاً لاتجاهات معظم المبحوثين (٨٥%) في القوى الخارجية، يعقبها أنظمة الحكم العربية. وأفادت الأغلبية الساحقة من المستجيبين (٩٦%) بأنهم يتوقعون استفادة شخصية لهم ولبلدانهم وللأجيال اللاحقة جراء قيام الوحدة. وفيما يتعلق بالوسيلة المثلى لإنجاز المشروع الوحدوي، أشار حوالي (٨٥%) من أفراد العينة إلى أنهم يفضلون اعتماد النهج الديموقراطي.

وفي الدراسة التي أجراها نصار[٢١] في إطار مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، وهو مشروع تابع لمركز دراسات الوحدة العربية، تم تعبئة (٣٤) استبانة من عينة غير عشوائية من القيادات الفكرية من مختلف الأقطار العربية. وأشار ثلث المستجيبين إلى أن موضوع الوحدة العربية ما يزال يشغل حيزاً مهماً في أولويات اهتمامات الجماهير العربية، وأن هذا الموضوع سيبقى مسألة محورية في العقدين القادمين. وأعرب أغلبية المستجيبين عن رغبتهم في قيام الوحدة العربية وإن اختلفت أشكال هذه الوحدة. إلا أن معظمهم يرى صعوبة تحقيق تلك الرغبة في العقدين القادمين على الأقل، وذلك نتيجة تفاعل جملة من العوامل مثل: التدخلات الأجنبية الاستعمارية، وطبيعة الأنظمة العربية الحاكمة، وتضارب المصالح والسياسات العربية، وتغييب دور الجماهير وانخفاض وعيها السياسي، والفجوة الاقتصادية بين البلدان العربية، إضافة إلى أزمة الفكر القومي، ووجود الكيان الصهيوني على أرض فلسطين. ويعتقد معظم المفكرين الذين أدلوا بآرائهم أن قيام الوحدة العربية رهين انتشار الديموقراطية في كل قطر عربي، والتخلص من التبعية، وذلك بتنمية الوعي القومي، وتطوير النظام التعليمي وفق رؤية قومية، إضافة إلى تفعيل العمل العربي المشترك في شتى الميادين.

وبقصد ترسيم معالم خريطة الوعي القومي لدى الأوساط الجامعية في تونس، أجرى بشوش[٢٢] دراسة ميدانية استجوبت ـ باستخدام الاستبانات والمقابلات ـ عينة غير عشوائية تألفت من (٤٣) عضواً من أعضاء هيئة التدريس العاملين في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية في الجامعة التونسية. وخلصت الدراسة إلى أن هناك مقومات موضوعية تقف خلف رغبة مبحوثيها في قيام الوحدة العربية، تمثلت في كل من العامل الاقتصادي الذي يضمن كياناً اقتصادياً قوياً متحرراً، والعامل الثقافي الذي يدعم تجانس اللسان والتاريخ والهوية ، والعامل الاستراتيجي الذي يؤمّن مكانة لائقة للأمة العربية في عصر تسوده التكتلات والأقطاب الدولية العملاقة، بما يمنحها القدرة على

مجابهة التحديات والأطماع الصهيونية والاستعمارية. وخلصت الدراسة أيضاً إلى تفضيل أغلبية المستجيبين للصيغة الفيدرالية لدولة الوحدة المرتقبة التي لن تقوم في أفضل الأحوال قبل مرور عقدين من السنين على يد العمال والفلاحين، يدعمهم المثقفون، وذلك ضمن نظام اشتراكي يعتمد العدالة الاجتماعية ركيزة أساسية له.

أما دراسة بني هاني والشريدة[٢٣]، فقد أجريت بغية اختبار صحة افتراض مفاده حدوث اهتزاز في مفهومي الأمة والوحدة لدى الأوساط الفكرية العربية نتيجة لحرب الخليج الثانية. وجمّعت بيانات الدراسة، من خلال توزيع استبانة على (٩٩٢) فرداً تم اختيارهم عشوائياً من بين قطاعات المثقفين الأردنيين والعرب المقيمين في الأردن، الذين ينتمون إلى تسعة أقطار عربية. وأظهرت نتائج هذه الدراسة أن الأغلبية الساحقة من أفراد العينة (٩٨%) ترغب في تحقق الوحدة، إلا أن هذا لا يعني أن جميع هؤلاء يعتقدون بإمكان التحقق الفعلي لها، إذ بلغت نسبة هؤلاء (٦٨%) فقط من جملة المستجيبين، وربما يفسر هذا في ضوء الإخفاقات المتتالية التي مني بها العمل القومي العربي خلال نصف القرن المنصرم. وأشارت النتائج أيضاً إلى رجحان بسيط في كفة اعتبار الديموقراطية الوسيلة الفضلى لقيام الوحدة العربية، إذ عبّر (٥٢%) من المبحوثين عن تفضيلهم لها، في حين بلغت نسبة المستجيبين الذين أفادوا بأن القوة هي الطريقة الملائمة لتحقيق الوحدة العربية (٤٨%). وعن أسباب عدم تحقق الوحدة، بينت النتائج وقوف مسألة تضارب المصالح السياسية العربية في مقدمتها، وفقاً لاستجابات ما نسبته (٣٢%) من المبحوثين. وتمثلت الأسباب الأخرى المعوقة لقيام دولة الوحدة تبعاً لإجابات المبحوثين فيما يلي: وجود النفط في بعض الأقطار العربية دون غيرها، وتجذّر النزعة القطرية في السنوات الأخيرة، واتساع الفجوة الاقتصادية بين البلدان العربية. وخلصت الدراسة أيضاً إلى أن حوالي (٨٥%) من المثقفين الذين تم استطلاع آرائهم يعتقدون بأن الأحزاب القومية العاملة على الساحة العربية كانت أحد عوامل الفرقة بين العرب، بدلا من أن تكون سبباً في تقاربهم.

وتأتي دراسة الحناشي[٢٤]، لتعمل على استيضاح مواقف الأوساط العمالية في تونس من قضية الوحدة العربية، وذلك من خلال استبانة تم توزيعها على عينة بلغ تعدادها (٨٠) فرداً من العاملين في شركة الصناعات الكيميائية المغربية في ولاية قابس التونسية. وخلصت الدراسة إلى أن أفراد العينة يعدون قيام الوحدة العربية أمراً ضرورياً، إلا أنهم يختلفون حول أولوية مسوغات قيامها؛ إذ يرى حوالي (٣٤%) منهم أن تحقق الوحدة مطلب حيوي لمجابهة مخاطر الصهيونية والإمبريالية الأمريكية. في حين أشار ربع المستجيبين إلى أن التحديات الداخلية التي تواجه البلدان العربية تشكل أبرز العوامل التي تدفع باتجاه الوحدة. وأشار خمس المستجيبين إلى تجسّد أهم مسوغات قيام الوحدة في العوامل التاريخية المتعلقة بالتجارب المشتركة في حياة الأمة العربية. ولقيام الوحدة ــ وفقاً لاستجابات عينة الدراسة ــ فوائد موضوعية تتمحور حول مقولة الأمن القومي بمفهومه الواسع الشامل، الذي يتضمن مختلف الجوانب السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. وبالنسبة لماهية الوحدة، أفاد حوالي (٥٩%) من المبحوثين بأنهم يفضلونها عربية إسلامية. كما أشار ما نسبته (١٥%) من المستجيبين أن لا هوية للوحدة غير الإسلام، في حين بلغت نسبة الذين يؤيدون وحدة ذات طابع علماني حوالي (٢١%)؛ وعبّر أكثر من نصفهم عن رغبتهم في أن تستند دولة الوحدة إلى نظام سياسي يقوم على التعددية الحزبية؛ وبلغت نسبة الذين يفضلون نظام الحزب الواحد (٢٧%)؛ وعارض جميع المستجيبين اعتماد صيغة النظام الملكي لحكم دولة الوحدة في حال قيامها، كما مال معظمهم (٨٧%) إلى تفضيل الاشتراكية نظاماً اقتصادياً لدولة الوحدة.

وأشار (٦٠%) من المستجيبين إلى أن الجماهير هي المرشحة الأقوى لتنفيذ المشروع الوحدوي، ويأتي المثقفون في المرتبة التالية، إذ بلغت نسبة من رشحهم لمهمة إنجاز الوحدة (٢٠%) من مجموع أفراد العينة. وحول الأساليب المفضلة لتحقيق الوحدة، جاء تضافر جهود المنظمات السياسية والجماهيرية في مقدمة تلك الأساليب، وفقاً لما

نسبته حوالي (٣٦%) من المستجيبين، وحل أسلوب الثورة الشعبية تالياً بنسبة (٣٠%) من التأييد، أما استخدام القوة العسكرية فلم يحظ إلا بتأييد (١٣%) من عينة الدراسة. وبينت النتائج أن (٣٥%) من المستجيبين يرغبون في قيام الوحدة بصورة تدريجية تتم على مراحل، وانسجاماً مع هذا التوجه عبّر (٢٥%) من المستجيبين عن تأييدهم لقيام الوحدة بين الأقطار المتجاورة جغرافياً بشكل أولي. أما الصيغة الفورية لتحقق الوحدة؛ فحظيت بتأييد ما نسبته (١٧%) من المستجيبين. ونوهت الدراسة أيضاً إلى أسباب تعثر المشروع الوحدوي العربي وإخفاقه فتبعاً لاستجابات مبحوثيها جاء اختلاف الأنظمة السياسية العربية، وعدم تجاوب القيادات العربية، والتدخلات الأجنبية، في مقدمة تلك الأسباب.

على الرغم من التقاء الدراسات السابقة ــ التي تم استعراضها ــ على غاية واحدة مفادها محاولة استطلاع اتجاهات أو آراء فئات اجتماعية متنوعة نحو قضية الوحدة العربية، إلا أنها اختلفت فيما بينها فيما يتعلق بالمسائل المطروقة، وحجم العينات المختارة وأنواعها، ومستوى التحليل وعمقه. إذ انصرفت في معظمها إلى اختيار عينات غير عشوائية لا تمثل مجتمعاتها المدروسة تمثيلا صادقا، مما أودى بإمكانية تعميم نتائجها. وانضافت مشكلة عدم عشوائية عينات معظم تلك الدراسات إلى مشكلة صغر حجم بعضها، مما جعلها عاجزة عن الخروج بنتائج يمكن الركون إليها.

كما تفاوتت جميع تلك الدراسات في طبيعة المسائل التي تناولتها ومستوى شموليتها، فلم يوفق أي منها في الإحاطة بمعظم المسائل التي يمكن أن تتصل بقضية الوحدة العربية، الأمر الذي يكسب الدراسة الراهنة أهمية خاصة، نظرا لاستقصائها اتجاهات عينة عشوائية مختارة من شريحة اجتماعية بالغة الأهمية (شريحة قادة الرأي) نحو مجموعة كبيرة من المحاور وثيقة الصلة بقضية الوحدة، إضافة إلى جدتها وإجرائها في أجواء تشهد تراجع الاهتمام بالشأن الوحدوي في الوطن العربي.

الإجراءات

مجتمع الدراسة وعينتها:

اشتمل مجتمع الدراسة على فئات تفترض الدراسة إمكان تأثيرها في تحديد اراء الآخرين، وتوجيههم بصورة فاعلة قياسا بأعضاء الفئات الاجتماعية الأخرى، وذلك بحكم المراكز الاجتماعية التي تقلدوها أو يتقلدونها، التي تتيح لهم فرصة الاضطلاع بأداء أدوار مؤثرة على هذا الصعيد. وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة لا تزعم الإحاطة الكلية بجميع الفئات الاجتماعية التي يمكن أن يمارس أعضاؤها عملية التأثير الفاعل في آراء المواطنين، وإن كانت قد حرصت على ذلك قدر المستطاع، من خلال لجوئها إلى اختيار الفئات المعتمدة لدى مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية بوصفها الفئات التي تقود آراء المواطنين في مختلف المجالات: السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية.

وبناء على ما تقدم، فقد تضمن مجتمع الدراسة، البالغ عدده الإجمالي (٦٦٥٤٣) فرداً، أعضاء الفئات والقطاعات الوظيفية التالية:

١. فئة كبار رجال الدولة:

واشتملت على الوزراء السابقين كافة، وعلى كل من الأعيان والنواب والأمناء العامين للوزارات والمديرين العامين للمؤسسات الحكومية السابقين والحاليين، إضافة إلى شيوخ العشائر، ووجهاء المخيمات، وبلغ عدد أفراد هذه الفئة (٨٨٢) فرداً.

٢. فئة القيادات الحزبية:

وتضمنت الهيئات التنفيذية العليا في جميع الأحزاب الأردنية المرخصة من وزارة الداخلية الأردنية التي يبلغ عددها في الوقت الحاضر (٢٠) حزباً تضم (٢٠٥) عناصر قيادية[٢٥].

٣. فئة كبار الاقتصاديين:

واشتملت على رؤساء مجالس الإدارة، والمديرين العامين في أكبر (٥٠٠) شركة أردنية من ناحيتي رأس المال وحجم المبيعات، وفقاً للبيانات الصادرة عن وزارة الصناعة والتجارة، وبلغ عدد أعضاء هذه الفئة (٩٥١) فرداً.

٤. فئة أساتذة الجامعات:

وتألفت من أساتذة الجامعات الأردنية الحكومية والأهلية الثماني عشرة، والبالغ عددهم(٢٨٨٥) أكاديمياً، وفقاً للبيانات المتوافرة لدى وزارة التعليم العالي، للعام الجامعي ١٩٩٧/١٩٩٨.

٥. فئة الكتاب والصحفيين والفنانين:

وتضمنت أعضاء كل من نقابة الصحفيين الأردنيين، ونقابة الفنانين الأردنيين، واتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين، ورابطة الكتاب الأردنيين، وبلغ عدد أفراد هذه الفئة (١١٢٣) فرداً.

٦. فئة أعضاء الاتحادات والنقابات:

وتكونت من الأشخاص الذين يحملون بطاقة عضوية في أحد التنظيمات التالية: الاتحاد العام للجمعيات الخيرية، والاتحادات النسائية، ومجالس النقابات المهنية والعمالية، ومجالس الطلبة في الجامعات الأردنية الحكومية والأهلية، والمجالس المحلية في جميع المحافظات والبلديات الأردنية، وبلغ عدد الأفراد المنتمين لهذه الفئة (٤٩٧) فرداً.

٧. فئة المهنيين:

وتشكلت من أعضاء كل من النقابات التالية: نقابة الأطباء، وأطباء الأسنان، والأطباء البيطريين، والمهندسين، والمهندسين الزراعيين، والمهندسين الجيولوجيين، والمحامين، والصيادلة، وبلغ عدد أعضاء هذه الفئة (٦٠٠٠٠) فرد.

وتم اختيار عينة طبقية، بطريقة عشوائية منتظمة، من قوائم قادة الرأي المتوافرة لـدى مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية. وقد بلغ عدد أفراد العينـة (٢٨٠) فرداً، استجاب منهم لأداة الدراسة (٢٥٤) فرداً، كانت تسـع مـن اسـتجاباتهم غـير صالحة للتحليل، وأحجم آخرون وعددهم (٢٦) فرداً لأسباب متباينة. ومن ثمّ بلغ العدد النهائي للعينة (٢٤٥) وحدة موزعة على الفئات السبع التي تألف منها مجتمع الدراسـة بمعدل (٣٥) وحدة لكل فئة.

ونفذت عملية جمع البيانات من الميدان خلال الفترة الزمنية الممتدة من بدايـة شـهر آذار من عام ١٩٩٨م، وحتى نهاية شهر حزيران من العام نفسه، باسـتخدام المقابلـة الشخصية، أو إرسال الاستبانة إلى المبحوث ليملأها بنفسه بشكل مباشر أو عن طريق البريد، إضافة إلى اعتماد الهاتف في بعض الحالات. وكان تحديد الأسلوب المسـتخدم في جمع البيانات يتمّ بناء على رغبة المبحوث المعني وظروفه.

أما حالات الإحجام عن الاستجابة لأداة الدراسة، التي عزاها المعتذرون فـي معظـم الحالات إلى انشغالهم، فتوزعت على أعضاء الفئات السبع للدراسة، كما هو موضـح في الجدول (١).

جدول (١): توزيع مجتمع الدراسة وعينتها وعدد حالات الإحجام عن الاستجابة*

الفئة	حجم مجتمع الدراسة	حجم العينة	عدد حالات الإحجام	نسبة الاستجابة
كبار رجال الدولة	٨٨٢	٣٥	٤	١٥,٣٨
القيادات الحزبية	٢٠٥	٣٥	١	٣,٨٤
كبار الاقتصاديين	٩٥١	٣٥	٥	١٩,٢٣
أساتذة الجامعات	٢٨٨٥	٣٥	٣	١١,٥٣
الكتاب، والصحفيون، والفنانون	١١٢٣	٣٥	٦	٢٣,٠٧
أعضاء الاتحادات والنقابات	٤٩٧	٣٥	٤	١٥,٣٨
المهنيون	٦٠٠٠٠	٣٥	٣	١١,٥٣
المجموع	٦٦٥٤٣	٢٤٥	٢٦	١٠٠

أداة الدراسة:

صممت استبانة خاصة بالدراسة لاعتمادها أداة لجمع البيانات، ومن ثم تم عرضها على مجموعة من ذوي الاختصاص في حقول القياس، والإحصاء، والسياسة، والتاريخ، والاجتماع، للاستنارة بآرائهم ومقترحاتهم، وإجراء ما يرتؤونه من تعديلات وإضافات، وذلك بغية التحقق من صدق أداة الدراسة، ورفع سويتها للتطبيق في مجال قياس اتجاهات المبحوثين نحو القضية المدروسة. وللتأكد من ثبات الاستبانة، تم استخدام طريقة التجزئة النصفية، إذ حسبت قيمة معامل الارتباط ـ بين درجات (٥٠) فردا من المستجيبين على جميع الأسئلة الفردية في الاستبانة، ودرجاتهم على جميع

* البيانات مستمدة من قوائم قادة الرأي المتوافرة لدى مركز الدراسات الاستراتيجية، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ١٩٩٨.

الأسئلة الزوجية ــ الذي بلغت قيمته وفقا لمعادلة ارتباط بيرسون (٨٠%)، الأمر الذي يشير إلى اتسام أداة الدراسة بدرجة عالية من الثبات.

واشتملت الاستبانة على قسمين أساسيين:

القسم الأول: وخصص لقياس المتغيرات المستقلة للدراسة، التي تفرعت إلى متغيرات ديموغرافية وأخرى اجتماعية. وتجدر الإشارة إلى أن اختيار المتغيرات المستقلة للدراسة جاء مستندا إلى أسس منطقية تفترض امتلاك تلك المتغيرات قابلية التأثير في اتجاهات المبحوثين. فلعل للمكانة الثانوية التابعة التي تشغلها الأنثى، والأدوار المحددة لها اجتماعيا، أثرا في تباين اتجاهاتها عن اتجاهات الذكور. وقد تختلف اتجاهات المنتمين إلى فئات عمرية متباينة تبعا لاختلاف خبراتهم الحياتية. وقد تقود ارتباطات المتزوجين والتزاماتهم إلى اختلاف اتجاهاتهم عن اتجاهات غير المتزوجين. وربما يكون لطبيعة البيئة التي ينشأ فيها الإنسان، وما توفره له من فرص للتفاعل مع أفراد من مرجعيات مختلفة دور في تحديد مسار اتجاهاته. ومن الممكن أن ينعكس الوضع الاقتصادي للفرد في تركيبة الاتجاهات التي يتبناها، وهذا ينسحب أيضا على انتماءاته المختلفة: الطبقية، والفكرية، والتنظيمية...الخ.

القسم الثاني: واحتوى على المتغيرات التابعة التي تم تمثيلها عبر فقرات عكست المضامين والأبعاد التي هدفت الدراسة إلى قياس اتجاهات المبحوثين نحوها، ويمكن تقسيم تلك الفقرات ــ وفق الطريقة التي استخدمت في قياسه ــ إلى جزأين:

١. جزء يقيس اتجاهات المبحوثين نحو المضامين الواردة فيه من خلال توظيف أنموذج ليكرت المكون من (٥) درجات. ووفقا لهذا الأنموذج، فقد طلب من كل مستجيب التعبير عن درجة اتجاهه نحو مضامين بعض الفقرات التي تحتويها الاستبانة، وذلك من خلال تحديد درجة موافقته، أو معارضته، أو حياده نحو تلك المضامين، بحيث تعطى علامة (٥) على الموافقة الشديدة، وعلامة (٤) على

الموافقة، وعلامة (٣) على الحياد، وعلامة (٢) على المعارضة، وعلامة (١) على المعارضة الشديدة. ومن ثم يتحدد اتجاه المبحوث حيال إحدى القضايا المدروسة تبعا لدرجته الكلية التي يحصل عليها، التي تمثل مجموع درجاته في الفقرات المعبرة عن تلك القضية. ويعرض الجدول (٢) الدرجات التي اعتمدتها الدراسة معيارا لتحديد اتجاهات مبحوثيها نحو مضامين بعض المسائل المتعلقة بقضية الوحدة.

جدول (٢)

الدرجات المعبرة عن اتجاهات المبحوثين حيال بعض المسائل المتعلقة بقضية الوحدة العربية.

	معارض بشدة	معارض	محايد	موافق	موافق بشدة
المسائل	الدرجات				
الإيمان بالوحدة	٧	٨-١٤	١٥-٢١	٢٢-٢٨	٢٩-٣٥
فوائد قيام الوحدة	٦	٧-١٢	١٣-١٨	١٩-٢٤	٢٥-٣٠
آليات دعم الوحدة	٩	١٠-١٨	١٩-٢٧	٢٨-٣٦	٣٧-٤٥
عوامل إعاقة الوحدة	١٥	١٦-٣٠	٣١-٤٥	٤٦-٦٠	٦١-٧٥
القضايا العربية، والإقليمية، والدولية المتصلة بالوحدة	١٢	١٣-٢٤	٢٥-٣٦	٣٧-٤٨	٤٩-٦٠

وقد تمثلت الأبعاد التي أرادت الدراسة قياس اتجاهات المبحوثين نحوها باستخدام أنموذج ليكرت فيما يلي: الإيمان بقضية الوحدة العربية، وفوائد قيامها، وآليات دعمها، ومعوقات قيامها، وعلاقتها ببعض المسائل، من مثل (الوحدة الوطنية، وأزمة الخليج، وسقوط المعسكر الاشتراكي، ومضاعفات اتفاقيات السلام العربية الإسرائيلية، والعولمة).

٢. وجزء آخر يتضمن أبعادا حاولت الدراسة قياس اتجاهات المبحوثين نحوها من خلال دعوتهم إلى اختيار الصيغة التي يفضلونها أكثر من غيرها من بين مجموعة من البدائل المطروحة، واهتم هذا الجزء بالمسائل التالية: الصيغة المناسبة لتأطير العلاقة بين الأقطار العربية، الهوية المفضلة لدولة الوحدة، والنظام الاقتصادي والسياسي الأمثل لها، والصيغة المرحلية الأكثر ملاءمة، والتوقيت المعقول والممكن لقيام دولة الوحدة، والأسلوب الأمثل لتحقيق الوحدة، والجهة الأقدر على إنجازها.

النتائج والمناقشة

اشتملت أداة الدراسة على العديد من المسائل والمحاور المتصلة بقضية الوحدة العربية، التي استهدفت الدراسة استقصاء استجابات المبحوثين بشأنها. وفيما يلي استعراض لتلك الاستجابات ومناقشة لها:

أولا: الإيمان بالوحدة العربية:

يعرض الجدول (٣) النسب المئوية لاستجابات المبحوثين للبنود المتعلقة بمسألة الإيمان بقضية الوحدة. ووفقا للجدول، تعبر الأغلبية العظمى من المستجيبين (٩٣,٥%) عن إقرارها بأن هناك وجودا لما يسمى بالوطن العربي، بصرف النظر عما إذا كان الوجود المقصود هنا هو الوجود الفعلي المتعين، أم الوجود على مستوى الفكرة. ويشكل سكان الأقطار العربية أمة واحدة وفقا لأغلبية أفراد العينة (٨٣,٣%)، وتأتي هذه الرؤية منسجمة تماما مع ما انتهت إليه بعض البحوث التاريخية التي أكدت أن هناك عمقا تاريخيا لفكرة الأمة العربية، التي تضرب بجذورها بعيدا حتى قبل ظهور الإسلام[٢٦]. أما الذين يعارضون تلك النظرة، فلا يمثلون إلا أقلية لا تتجاوز نسبتها (١١,١%)، ولعل هذه المعارضة ناجمة عن وجود أقليات عرقية وإثنية متعددة في الوطن العربي تأبى بعض الرؤى إدراجها ضمن النسيج العربي.

ويكاد يجمع قادة الرأي الأردنيين قيد الدراسة على أن الحدود السياسية بين الأقطار العربية من صنيعة الاستعمار (٩٦,٧%)، وتمثل الوحدة العربية قضية مصيرية لدى معظمهم (٨٢,٨%)، في الوقت الذي لا تحتل فيه المكانة ذاتها لدى (١٤,٧%) من المستجيبين الذين يعبرون عن رؤية محايدة. ويعبر (٧٣,٥%) من المستجيبين عن تقبلهم فكرة مصاهرة العرب دون أخذ جنسياتهم بالحسبان، ولا يعارض هذا التوجه إلا ما نسبته (٤,٩%) من قادة الرأي، في حين يقف البقية منهم على الحياد (٢١,٦%). وتميل أغلبية المستجيبين (٨١,٦%) إلى رفض النظر إلى الوحدة العربية بوصفها فكرة مثالية غير قابلة للتحقيق، في حين يلتزم آخرون نسبتهم (١٠,٦%) جانب الحياد بشأن هذه النقطة، ليتركوا النسبة المتبقية (٧,٨%) للذين يسلمون بمثالية فكرة الوحدة وعدم إمكان قيامها. ولا يعد معظم المستجيبين (٨٩,٤%) النزوع إلى الوحدة العربية توجها عنصريا، أما الذين يحملون اتجاها مناقضا لذلك فلا تزيد نسبتهم على (٣,٣%) من المستجيبين.

باستقراء البيانات التي تم عرضها آنفا، يتبين أن هناك اتجاها واضحا لدى قادة الرأي الأردنيين للإيمان بقضية الوحدة العربية، إذ يؤكد معظمهم وجود وطن عربي يشكل سكانه أمة عربية واحدة توزعتها كيانات عديدة بفعل القوى الاستعمارية. ويبدي أغلبية أولئك القادة استعدادهم للانخراط في علاقات المصاهرة مع المواطنين العرب بغض النظر عن جنسياتهم، مما يعبر عن الترحيب بالالتحام مع الأشقاء العرب في أعلى مستوياته وأمتنها. كما تشكل الوحدة العربية لدى السواد الأعظم من عينة الدراسة قضية مصيرية قابلة للتحقيق والنفاذ، لا يمكن احتساب الإيمان بها ضربا من ضروب العنصرية.

في ضوء الاتجاه العام لدى قادة الرأي الأردنيين للإيمان بقضية الوحدة العربية، يمكن القول: إن واقع التجزئة الذي تشهده الأقطار العربية في المرحلة الراهنة، لم ينجح في طمس آثار القرون الطويلة التي عايشتها تلك الأقطار ضمن واقع وحدوي تجذرت

مفرداته في أعماق وجدان الإنسان العربي. لا بل إن واقع التجزئة ذاك قد أسهم ــ على ما يبدو ــ في تعزيز تشبث العربي المستنير بانتمائه القومي الذي يقوي إحساسه بوجوده وهويته، بعد أن بات من الواضح له أن الانتماء القطري الضيق لن يقود إلا إلى المزيد من التراجع والاغتراب في عالم تحث بلدانه خطاها نحو التكتل، ولا تلقي وزناً للكيانات الضعيفة المبعثرة.

أما الاتجاه السلبي الذي يحمله بعض أفراد العينة نحو بعض البنود المتعلقة بمسألة الإيمان بقضية الوحدة العربية، فربما يأتي تعبيراً عن الإحباط الذي يعانيه الإنسان العربي في ظل واقعه المثخن بالتخلف والفقر والقهر والفرقة، وتحت وطأة الانكسارات المتلاحقة التي تعرضت لها مسيرة العمل القومي العربي. وقد يرجع ذلك الاتجاه السلبي إلى ترسخ الواقع القطري في الوطن العربي، وارتباط مصالح بعض الأفراد بوجود ذلك الواقع ودوامه. وعلى الرغم من وجود اتجاه سلبي لدى قلة من المستجيبين نحو بعض البنود المتصلة بمسألة الإيمان بالوحدة العربية، إلا أن الدرجات الكلية التي أحرزها المستجيبون على جميع البنود المتعلقة بالمسألة ذاتها، المدرجة في الجدول (٤)، تظهر إيمانهم جميعاً بقضية الوحدة العربية بوجه عام.

أما التزام جانب الحياد بشأن مسألة الإيمان بالوحدة العربية من بعض المستجيبين، فقد يفسر بالرجوع إلى الإحباط الناجم عن الواقع العربي المأزوم الذي سبقت الإشارة إليه. كما قد يرجع إلى عدم رغبة بعض المبحوثين في الإفصاح عن اتجاه قد يتعارض مع الاتجاهات السائدة، تجنباً لإثارة استنكار الآخرين، وربما التعرض لأشكال أخرى من العقاب الاجتماعي.

نهايةً، تجدر الإشارة إلى أن النتيجة التي خلصت الدراسة إليها، التي تظهر إيمان قادة الرأي الأردنيين بقضية الوحدة العربية نتيجة متوقعة، فأبناء الأردن جزء من أبناء

الأمة العربية الذين تجمعهم قواسم كثيرة مشتركة، وهذا ما يؤكده التقاء تلك النتيجة مع النتائج التي توصلت إليها جملة الدراسات السابقة التي تم استعراضها فيما تقدم[٢٧].

جدول (٣):

التوزيعات المئوية لاستجابات المبحوثين للعبارات المتصلة بقضية الوحدة العربية من حيث: الإيمان بها، وفوائد قيامها، وآليات دعمها، ومعوقاتها.

	العبارة	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
	الإيمان بالوحدة العربية					
١.	هناك وجود لما يسمى بالوطن العربي.	٥٣,٥	٤٠	٣,٣	٢,٤	٠,٨
٢.	تشكل الأغلبية العظمى من سكان الأقطار العربية أمة واحدة.	٤٥,٧	٣٧,٦	٥,٧	٨,٢	٢,٩
٣.	الحدود السياسية بين الأقطار العربية حدود من صنيعة الاستعمار.	٦٢,٤	٣٤,٣	٢	١,٢	٠
٤.	الوحدة العربية قضية مصيرية بالنسبة لي.	٤٥,٧	٣٧,١	١٤,٧	١,٦	٠٨
٥.	تروق لي فكرة مصاهرة العرب غير الأردنيين بصرف النظر عن جنسياتهم.	٣٠,٢	٤٣,٣	٢١,٦	٣,٧	١,٢
٦.	الوحدة العربية ليست فكرة مثالية غير قابلة للتحقق.	٤٠,٤	٤١,٢	١٠,٦	٤,٩	٢,٩
٧.	لا يعد النزوع إلى الوحدة العربية توجها عنصريا.	٥١,٤	٣٨	٧,٣	٢,٩	٠٤

تتمة الجدول (٣)

	العبارة	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
فوائد قيام الوحدة العربية						
.١	يعد قيام الوحدة العربية تجسيدا فعليا للروابط الوحدوية بين البلدان العربية: (وحدة اللغــة، والدين، والثقافة، والتاريخ، والجغرافية الخ).	٥٢,٧	٤٢,٤	٣,٧	٠٨.	٠٤.
.٢	الوحدة العربية سبيل مـــهم للتغلـب علــى التحديات الداخلية التي تواجه الأمة العربيــة: (الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. الخ).	٥٨.٤	٣٩,٢	١,٢	١,٢	...
.٣	للوحدة العربية في حال قيامها دور محوري في مساعدة الأمة على مجابهـــة التـــهديدات والأخطار الخارجية كافة.	٦٢	٣٥,٩	١,٦	٠٤.	...
.٤	يترتب على قيام الوحدة العربية أن يصبـــح الوطن العربي أحد الأقطاب الإقليمية المؤثرة في موازين القوى العالمية.	٥٨,٤	٣٩.٢	١,٢	١,٢	...
.٥	يعزز قيام الوحدة العربية إمكانيـــة تحريـــر الأراضي العربية المغتصبة.	٥٧,٦	٣٤,٣	٦,٩	٠٨.	٠٤.
.٦	الوحدة العربية طريق رئيسي للسير بالعرب نحو التقدم.	٥٧,٦	٣٥,١	٦,١	٠٤.	٠٨.

تتمة الجدول (٣)

	العبارة	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
آليات دعم الوحدة العربية						
١.	توحيد مناهج التعليم الأساسي في الأقطار العربية.	٤٨,٢	٤٧,٨	٢,٤	١,٦	∴
٢.	تفعيل الجهود الثقافية التي تتناول الشأن الوحدوي العربي.	٤٢	٥٤,٣	٢,٩	٠٨	∴
٣.	توفير جملة من الحقوق للمواطنين العرب في اي قطر عربي (كحركة الإقامة، والتملك والاستثمار).	٥١	٤٥,٧	٣,٣	∴	∴
٤.	تشجيع عملية التزاوج بين المواطنين العرب من مختلف الأقطار العربية.	٢٩	٤٢	٢٥,٧	٢,٩	٠٤
٥.	اعتماد النهج الديمقراطي في الأقطار العربية.	٥٨,٨	٣٦,٣	٤,١	٠٨	∴
٦.	التبرع المادي لتمويل الفعاليات ذات التوجه الوحدوي.	٣٠,٦	٤٥,٣	٢٠,٤	٣.٣	٠٤
٧.	تنظيم مسيرات وتظاهرات تنادي بقيام الوحدة العربية.	١٣,٣	١٧,١	٣٢,٢	٢٢,٩	١٣,٥
٨.	تفعيل دور مؤسسات العمل العربي المشترك.	٣٩,٦	٥٧,٦	١,٦	١,٢	∴
٩.	العمل على تنمية وعي الإنسان العربي بأهمية الوحدة وضرورتها.	٤٧,٨	٤٩	٣,٣	∴	∴

تتمة الجدول (٣)

	العبارة	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
معوقات الوحدة العربية						
١.	ضعف إيمان الجماهير العربية بقضية الوحدة.	١١	٣٣,٩	٧,٣	٣٠,٢	١٧,٦
٢.	نقص وعي الجماهير العربية بجدوى قيام الوحدة.	١٠,٢	٤٠,٨	٩,٤	٢٤,٩	١٤,٧
٣.	وجود النزعة الإقليمية لدى سكان بعض الأقطار العربية.	٢٢	٤٩,٤	١٠,٦	١٢,٢	٥,٧
٤.	تخوف الأقطار العربية الصغيرة من هيمنة الأقطار العربية الكبيرة.	٢٤,٥	٥٢,٧	١١,٤	٨,٢	٣.٣
٥.	وجود تباينات ثقافية عميقة بين سكان الأقطار العربية.	٦,٩	٣٢,٢	١٦,٣	٢٩,٨	١٤,٧
٦.	مثالية الفكر القومي العربي التقليدي.	١٠,٢	٣٩,٢	٢٣,٣	١٧,٦	٩,٨
٧.	التضارب بين اتجاهات الفكر السياسي على الصعيد العربي.	١٩,٦	٦٢,٤	٩,٨	٤,٩	٣,٣
٨.	غياب الديمقراطية عن الساحة العربية.	٦٠	٣١,٤	٦,٥	١,٦	٠٤.
٩.	عدم رغبة بعض أنظمة الحكم العربية في إنجاز الوحدة.	٥٨,٨	٣٢,٧	٦,٩	٠٨.	٠٨.
١٠.	انعكاسات وجود النفط في بعض الأقطار العربية دون غيرها.	٤٠,٨	٤٧,٨	٥,٧	٤,٩	٠٨.

تتمة الجدول (٣)

	العبارة	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
معوقات الوحدة العربية						
١١.	الطبقات الاجتماعية المنفذة.	٣٥,٥	٤٢,٤	١٥,٥	٥,٣	١,٢
١٢.	إخفاق التجارب الوحدوية العربية السابقة.	١٨	٤٩	١٦,٧	١١	٥,٣
١٣.	التنظيمات الإسلامية الأصولية.	١٥,٩	١٣,٩	٢٩,٤	٢٢	١٨,٨
١٤.	تآمر بعض القوى الأجنبية.	٥٨,٤	٣٣,١	٦,١	١,٦	٠٨
١٥.	تأثيرات وجود إسرائيل في المنطقة.	٥٣,١	٢٧,٣	١١,٤	٤,٩	٣,٣

* حجم العينة الكلي = ٢٤٥، ونسبة الاستجابة الكلية لجميع العبارات = ١٠٠%.

جدول (٤) الدرجات الكلية والتوزيعات المئوية المحددة لاتجاهات المبحوثين نحو بعض المسائل المرتبطة بقضية الوحدة العربية *.

الاتجاه / المسائل	موافق بشدة		موافق		محايد		محايد معارض		معارض بشدة	
	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة
الإيمان بقضية الوحدة العربية	٧	٠,٠	١٤-٨	٠,٠	٢١-١٥	٢,٤	٢٨-٢٢	٣٨,٤	٣٥-٢٩	٥٩,٢
فوائد قيام الوحدة العربية	٦	٠,٠	١٢-٧	٠,٠	١٨-١٣	١,٢	٢٤-١٩	٣١,٠	٣٠-٢٥	٦٧,٨
آليات دعم قضية الوحدة	٩	٠,٠	١٨-١٠	٠,٠	٢٧-١٩	١,٦	٣٦-٢٨	٤٧,٨	٤٥-٣٧	٥٠,٦
عوامل إعاقة قيام الوحدة	١٥	٠,٠	٣٠-١٦	٠,٠	٤٥-٣١	٤,٩	٦٠-٤٦	٧٤,٣	٧٥-٦١	٢٠,٨
القضايا العربية والإقليمية والدولية	١٢	٠,٠	٢٤-١٣	٠,٠	٣٦-٢٥	٤,٩	٤٨-٣٧	٧٤,٣	٦٠-٤٩	٢٠,٨

* حجم العينة الكلي = ٢٤٥، ونسبة الاستجابة الكلية = ١٠٠%.

ثانيا: فوائد الوحدة العربية:

حظيت البنود المعبرة عن فوائد قيام الوحدة العربية بموافقة الأغلبية الساحقة من قـادة الرأي الأردنيين، إذ أشار ما نسبته (٩٥,١%) منهم إلى أن في قيام الوحـدة تجسـيدا فعليا لمختلف الروابط الوحدوية الوجدانية بين البلدان العربية. كما أفـاد مـا يقـارب (٩٧%) منهم إلى أن لقيام الوحدة دورا حيويا في مساعدة الأمة العربية على تجـاوز التحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها. ليس هذا فحسب، بل سيترتب علـى قيـام الوحدة أيضا ــ وفقا لما نسبته (٩٧,٦%) من المستجيبين ــ أن يصبح الوطن العربـي أحد الأقطاب الإقليمية ذات الثقل في موازين القوى العالمية. وعـبر (٩١,٩%) مـن المستجيبين عن اعتقادهم بأن في قيام الوحدة تعزيزا لإمكانية تحرير الأراضي العربيـة المغتصبة، تلك الوحدة التي تعد طريقا رئيسا ــ تبعـا لمـا نسـبته (٩٢,٧%) مـن المستجيبين ــ للسير بالعرب نحو التقدم.

في ضوء النتائج المشار إليها، يمكن الاستنتاج بأن النسب البالغة الارتفـاع المذكـورة أنفا لم تأت بمحض المصادفة، وإنما جاءت انعكاسا صادقا للواقع المثقل بالانكسـارات والشروخ الذي ترزح الأقطار العربية تحت وطأته على مختلف الصعد، إذ يغلب طابع التمزق على المشهد الداخلي لمعظم تلك الأقطار التي تظهر عاجزة عن حماية أمنـها دون الاستعانة بقوى أجنبية تسعى في المقابل إلى التحكم في مقدراتها وسياساتها. كمـا تهيمن أجواء التوتر على العلاقات العربية البينية، بحيث تخفق البلـدان العربيـة فـي تشكيل موقف عربي موحد، يضغط باتجاه وقف اجتراءات إسرائيل والولايات المتحـدة الأمريكية وبعض الأطراف الإقليمية على الحقوق العربية. أضف إلى ذلك الاختـلالات الهيكلية المتجذرة في اقتصاديات البلدان العربية التي تفضـي إلـى تفـاقم مسـتويات البطالة، والفقر، والتفاوت الطبقي؛ تلك الاختلالات التي تتفاعل مع إفـرازات غيـاب الديموقراطية وتهميش دور الجماهير؛ مؤدية إلى تضخم حدة أزمات الواقـع العربـي وتعمق إشكالياته.

ومن ثمّ، فإن من المتوقع أن تتصرف اتجاهات القطاعات العربية الأكثر وعياً واستشعاراً لتداعيات ذلك الواقع إلى تلمس سبل وقف مسلسل التدهور العربي، ويبدو أنها وجدت في وحدة الأمة السبيل إلى ذلك. وهذا ما يظهر واضحاً في استجابات قادة الرأي الأردنيين حول فوائد قيام الوحدة العربية، التي ستعمل وفقاً لأولئك القادة على مساعدة الأمة العربية على تخطي الصعوبات والتحديات الداخلية والخارجية، وتحرير المغتصب من الأرض، والتحول إلى قوة هائلة ذات صوت مسموع على الصعيد العالمي، قادرة على السير نحو المزيد من التقدم ضمن خصوصية حضارية متميزة. ومرة أخرى تأتي هذه النتائج لتدعم ما تمخضت عنه نتائج الدراسات السابقة التي تم استعراضها آنفاً.

ويشار إلى أن الدرجات الكلية لاستجابات قادة الرأي قيد الدراسة للبنود المتعلقة بمسألة فوائد قيام الوحدة، تعكس اتجاههم الواضح لتأييد القول إنَّ هناك فوائدَ عديدة ستترتب عن قيامها، كما هو مبين في الجدول (٤).

ثالثاً: آليات دعم الوحدة العربية:

يتطلب قيام الوحدة العربية بذل جهود عربية فاعلة ومخلصة على مختلف المستويات وفي شتى الحقول عبر آليات تتجلى فيها تلك الجهود، وذلك وفقاً لاستجابات قادة الرأي الأردنيين التي أدرجت في الجدول (٣).

إذ ترى أغلبية مرتفعة من المستجيبين لا تقل نسبتها عن (٩٥%) في كل من (توحيد مناهج التعليم الأساسي في الأقطار العربية، وتفعيل الجهود الثقافية الوحدوية، وتأمين حرية الإقامة والتملك والاستثمار للمواطنين العرب في أي قطر عربي، وإشاعة الممارسات الديموقراطية في الوطن العربي، وتنشيط مؤسسات العمل العربي المشترك، وتنمية الوعي القومي لدى المواطن العربي) آليات تسهم في دعم قضية الوحدة العربية.

أما آلية تشجيع التزاوج بين المواطنين العرب من مختلف الأقطار العربية، فقد حظيت بموافقة (٧١%) من المستجيبين، ليميل معظم البقية إلى التزام اتجاه محايد بشأنها (٢٥,٧%). وهذا يقترب – إلى حد ما – من الاستجابات المتعلقة بآلية التبرع المادي لدعم التوجهات الوحدوية، إذ بلغت نسبة الموافقين عليها (٧٥,٩%)، ونسبة المحايدين بشأنها (٢٠,٤%).

أما الآلية التي نالت النسبة الأقل من تأييد قادة الرأي قيد الدراسة؛ فهي آلية تنظيم المسيرات والتظاهرات الداعية للوحدة (٣١,٤%)، في مقابل أغلبية معارضة نسبتها (٣٦,٤%)، ومجموعة محايدة نسبتها (٣٢,٢%).

ولعل من الممكن إرجاع استجابات قادة الرأي الأردنيين نحو مسألة آليات دعم قضية الوحدة العربية إلى الواقع المعاش أيضا، فمناهج التعليم الأساسي في الوطن العربي مناهج متباينة تنطلق من مرجعيات قطرية على الأغلب، مما يمكن أن يعمق النهج القطري في مقابل إضعاف التوجه القومي. أما الجهود الثقافية الوحدوية العربية؛ فتكاد تنحصر ضمن حدود الأطر النخبوية المثقفة، كما تشكو من نقص التمويل والإمكانيات، مما يقلص من مجال انتشارها وتأثيرها. على صعيد آخر، يواجه المواطن العربي لاعتبارات سياسية أو اقتصادية – صعوبات حقيقية في دخول الكثير من الأقطار العربية، ناهيك عن إمكانية تمتعه بالإقامة والاستثمار في تلك الأقطار.

أما الديموقراطية في الوطن العربي؛ فلا تمثل – على الأغلب – إلا شعارات رنانة وتكتيكات مرحلية تتبناها الأنظمة الحاكمة لامتصاص نقمة الجماهير على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتردية[٢٨]. وما قيل عن الجهود الثقافية الوحدوية العربية يمكن أن يقال بخصوص مؤسسات العمل العربي المشترك، التي تعاني من أزمات حقيقية على صعيد البنية والأداء، مما قدس يدفع إلى التساؤل حول جدوى وجودها على هذه الصورة. أما الوعي القومي لدى الإنسان العربي، فلعله تأثر سلبا

بالإخفاقات المتتابعة التي لحقت بالعمل الوحدوي العربي، وتجذر الهوية القطرية وهيمنتها عربيا، وانهماك المواطن العربي في تفاصيل يومية صغيرة تفرضها صعوبة الحياة المعاصرة وتعدد متطلباتها.

وفي ظل تلك المعطيات الواقعية التي تم استعراضها، فإن من المتوقع أن يدعم المرء تلك الآليات المشار إليها بوصفها مقومات تسهم في دعم قضية الوحدة، وهذا يفسر ارتفاع نسبة الموافقين. أما انخفاض نسبة الموافقة على آلية تشجيع التزاوج بين المواطنين العرب من مختلف أقطارهم بالقياس إلى غيرها من الآليات؛ فقد يفسر ذلك بالرجوع إلى الفجوة الاقتصادية الواسعة التي تقسم الأقطار العربية إلى قسمين متباعدين، إضافة إلى الخلافات السياسية التي عمقتها الخصوصيات القطرية، الأمر الذي أوجد نوعا من الصدع في جدار الثقة بين حكومات تلك الأقطار، ربما امتدت آثاره لتشمل مواطنيها أيضا.

وتتطلب استجابات قادة الرأي قيد الدراسة حول آلية التبرع المادي لدعم الفعاليات الوحدوية تفسيرا لها، إذ لا يبدى أغلبية أولئك القادة حماسا واضحا لتأييد تلك الآلية، ويمكن إرجاع هذا إلى ضعف الثقة بالأشخاص القائمين على مؤسسات العمل القومي، في ضوء الأداء غير الفاعل الذي يصدر عن معظم تلك المؤسسات.

وعلى الرغم من أن المدن العربية قد شهدت خلال تاريخها المعاصر مئات التظاهرات والمسيرات التي خرجت دفاعا عن قضايا الأمة وحقوقها، إلا أن نسبة مهمة من المستجيبين تعارض اعتماد تلك الآلية لدعم قضية الوحدة، كما تلجأ نسبة مهمة منهم إلى الحياد بشأنها، ولعل دلالة تلك النسب تتوضح بتذكر قرار الحكومة الأردنية القاضي بمنع تنظيم المسيرات والتظاهرات، وذلك على خلفية الاضطرابات التي شهدها الأردن احتجاجا على الموقف الأمريكي المهدد بضرب العراق، في شهر اذار

من عام ١٩٩٨، مما يشير إلى الأثر المهم للواقع القائم في تحديد اتجاهات الأفراد في المجتمع.

ويجدر التنويه إلى أن الدرجات الكلية التي سجلت للمستجيبين على جميع البنود المتعلقة بمسألة آليات دعم قضية الوحدة، المعطاة في الجدول (٤) تشير إلى غياب اتجاه المعارضة بصورة عامة، على الرغم من وجود نوع من النظرة السلبية نحو بعض تلك البنود.

كما أن من المناسب الإشارة إلى أن هناك اتساقا عاما بين معظم النتائج المنوه بها والتوصيات التي صدرت عن الندوة القومية حول الوحدة العربية في ضوء مشروع الاتحاد العربي[٢٩].

رابعا: معوقات الوحدة العربية:

على الرغم من كثافة المقومات الوحدوية الموضوعية والوجدانية بين الأقطار العربية، وجدارتها لتترجم إلى بنيان وحدوي متين، إلا أن المشروع الوحدوي العربي لم يقيض له التحقق بعد، مما يدفع إلى التساؤل حول المعوقات التي حالت وما تزال تحول دون قيام ذلك المشروع.

وتظهر البيانات الواردة في الجدول (٣) استجابات قادة الرأي قيد الدراسة للبنود المعبرة عن تلك المعوقات. إذ تشير النتائج إلى أن (٤٤,٩%) من المستجيبين يوافقون على اعتبار ضعف إيمان الجماهير العربية بقضية الوحدة أحد العوامل المعوقة لقيامها، في حين يعارض (٤٧,٨%) هذه الرؤية. كما يذهب حوالي نصف المستجيبين إلى أن نقص وعي الجماهير العربية بجدوى قيام الوحدة من عوامل إعاقتها، مختلفين في ذلك مع ما نسبته (٣٩,٦%) من المستجيبين الذين لا يرون ذلك. ويشكل وجود النزعة الإقليمية لدى سكان بعض الأقطار العربية أحد عوامل الإعاقة تلك، وفقا لما نسبته (٧١,٤%) من المستجيبين، في حين لا يقر آخرون نسبتهم (١٧,٩%) بذلك.

ويبدي (٧٧,٢%) من المستجيبين موافقتهم على أن تخوف الأقطار العربية الصغيرة من هيمنة الأقطار العربية الكبيرة عنصر من عناصر إعاقة الوحدة، في حين تتبنى أقلية نسبتها (١١,٥%) نظرة مغايرة تعارض ذلك الطرح. ويسلم ما نسبته (٣٩,١%) من المستجيبين بأن من عوامل إعاقة قيام الوحدة وجود تباينات ثقافية عميقة بين سكان الأقطار العربية، في حين يعبر (١٦,٤%) من أولئك القادة عن ميلهم للحياد، ليتخذ البقية (٤٤,٥%) جانب المعارضة .

ويلقي حوالي نصف المستجيبين بعض مسؤولية إعاقة قيام الوحدة على مثالية الفكر القومي العربي التقليدي، في حين لا يدعم مستجيبون آخرون نسبتهم (٢٧,٤%)، هذا الاتهام، ويقف آخرون نسبتهم (٢٣,٣%) في موضع محايد بين الجانبين. ويسهم التضارب بين اتجاهات الفكر السياسي على الصعيد العربي في تعويق قيام الوحدة بالاستناد إلى استجابات (٨٢%) من أفراد العينة، ولا يعارض هذا التوجه إلا ما نسبته (٨,٢%) من جملة المستجيبين.

ولغياب الديموقراطية عن الساحة العربية، وعدم رغبة بعض أنظمة الحكم العربية في إنجاز الوحدة، دور مهم في عرقلة قيامها تبعا للأغلبية العظمى (٩١%) من قادة الرأي المستجيبين؛ وينعكس وجود النفط في بعض الأقطار العربية دون غيرها سلبا على قضية الوحدة بالرجوع لما يراه (٨٨,٦%) من المستجيبين.

وتقف الطبقات الاجتماعية المتنفذة في الوطن العربي حجر عثرة في طريق قيام الوحدة، وذلك وفقا لمعظم المستجيبين (٧٧,٩%). ولعل هذه الرؤية تستمد شرعيتها بالاستناد إلى التحالف التاريخي الماثل بين بعض أفراد تلك الطبقات من جهة، وأنظمة الحكم الرجعية، والقوى الاستعمارية الغربية من جهة أخرى[٣٠]. أما النسبة المتبقية من المستجيبين التي التزمت جانب الحياد، أو عبرت عن اتجاه معارض لتلك النقطة، فلعلها انطلقت في هذا من واقع انتمائها إلى تلك الطبقات المتنفذة.

ومن محبطات قيام الوحدة في الوطن العربي (وفقا لثلثي المستجيبين) إخفاق التجارب الوحدوية العربية السابقة. وربما يمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء النظرة السلبية التي وجهت إلى فكرة الوحدة ذاتها عقب إخفاق تلك التجارب. أما معارضة هذا التوجه؛ فلعلها تصدر عن اعتبار تلك التجارب مقدمات تمهيدية ضرورية للوحدة على الرغم من تعثرها، وهذا ما تدعمه نتائج بعض الدراسات[٣١].

ويرى ثلثا المستجيبين أن في إخفاق التجارب العربية الوحدوية السابقة عنصرا من عناصر إعاقة الوحدة، ويعارض (١٦,٣%) من المستجيبين هذا التوجه، في حين عبر البقية (١٦,٧%) عن حيادهم. وتضاف التنظيمات الإسلامية الأصولية إلى العوامل المعوقة للوحدة، وفقا لما نسبته (٢٩,٨%) من المستجيبين، وتقترب نسبة المحايدين من نسبة الموافقين (٢٩,٤%)، في حين تبلغ نسبة المعارضين لذلك التصور (٤٠,٨%) من مجموع المستجيبين، أما تآمر بعض القوى الأجنبية؛ فيشكل وفقا للأغلبية الساحقة (٩١,٥%) من المستجيبين أحد العوامل المعرقلة للوحدة.

ويوافق (٨٠,٤%) من المستجيبين على اعتبار الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية عاملا من عوامل إعاقة الوحدة، في حين لا يوافق على هذا أقلية تبلغ نسبتها (٨,٢%)، ويتخذ جانب حيادي بشأنه قدره (١١,٤%) من مستجيبي الدراسة.

وعلى الرغم من الاستجابات المعارضة لبعض البنود المتعلقة بمسألة معوقات قيام الوحدة، إلا أن الدرجات الكلية لأفراد العينة على تلك البنود تظهر توجههم الواضح للموافقة على مضامين تلك البنود ــ بوجه عام ــ كما يبين الجدول (٤).

في سياق مناقشة النتائج التي تم إيرادها، يلاحظ التضارب الواضح في اتجاهات المستجيبين بشأن اعتبار ضعف إيمان الجماهير العربية بقضية الوحدة أحد عوامل إعاقة قيامها، ولعل هذا التضارب عائد إلى اختلاف انتماءات المستجيبين وطرائق قراءتهم وتأويلهم لمعطيات الواقع. وربما يفضي عجز بعض المستجيبين عن أداء دور

فاعل على صعيد تنوير الجماهير وتنمية وعيها القومي إلى اعتماد آليات دفاعية إسقاطية للتنصل من المسؤولية وإلقائها على كواهل الآخرين.

ويلاحظ التضارب أيضا فيما يختص باتجاهات المستجيبين نحو النظر إلى نقص وعي الجماهير العربية بوصفه من معوقات قيام الوحدة، وإن كانت النسبة العليا من المستجيبين (٥١%) توافق على تلك النظرة، وربما يمكن تفسير هذه النتيجة في ظل واقع تغييب الجماهير العربية وتهميش دورها، ودفعها إلى تبني قيم استهلاكية مادية، والانشغال في اهتمامات صغيرة فردية، الأمر الذي يجعلها تبدو غير قادرة على تحديد مسارها، متأثرة بالحدث لا مؤثرة فيه[٣٢].

وتأتي النسبة الكبيرة لتأييد احتساب وجود النزعة القطرية لدى سكان بعض الأقطار العربية من معوقات قيام الوحدة لتسلط الأضواء على عواقب الجهود التي تبذلها الدولة القطرية في سبيل ترسيخ وجودها على حساب التوجهات القومية[٣٣]، ولتشير إلى مخرجات الدور الفاعل الذي تقوم به الأقليات القبلية، والإثنية، والطائفية على صعيد تكثيف الميول الانفصالية في البلدان العربية. ولعل مرد النسبة المرتفعة التي تبدي موافقتها على أن من معوقات الوحدة العربية تخوف الأقطار العربية الصغيرة من هيمنة الأقطار العربية الكبيرة؛ إلى التأثر بأزمة الخليج الثانية التي أفضت إلى انحدار هامش الثقة ــ الضيق أصلا ــ بين بعض الأقطار العربية إلى مستوى بالغ الانخفاض.

أما تسليم نسبة مهمة من المستجيبين بأن وجود تباينات ثقافية عميقة بين سكان الأقطار العربية عنصر من عناصر إعاقة قيام الوحدة، فلعله يرجع إلى وجود بعض الاتجاهات الانفصالية التي تنادي بخصوصيتها وتميزها الإثني أو الحضاري في بعض بلدان العالم العربي، من مثل الاتجاه الفرعوني في مصر، والبربري في الجزائر، والكردي

في العراق وسورية. وربما يرجع ذلك أيضا إلى الفروقات الحضرية الواضحة التي تمليها الخصوصيات الريفية، والبدوية، والمدينية في الوطن العربي.

وتستند النظرة التي يحملها حوالي نصف المستجيبين، التي تجعل من مثالية الفكر القومي العربي التقليدي عائقا في وجه تحقق الوحدة — على الأرجح — إلى ثبوت عقم المقولات القطعية والشعارات الحالمة المفتقرة إلى العقلانية، التي اشتمل عليها ذلك الفكر[٣٤]. وربما تستند تلك النظرة أيضا إلى التضارب التاريخي القائم بين اتجاهات الفكر السياسي على الساحة العربية، ذلك التضارب الذي اعتبره أغلبية المستجيبين عاملا آخر من عوامل إعاقة الوحدة.

أما غياب الديموقراطية وعدم رغبة بعض أنظمة الحكم العربية في إنجاز الوحدة؛ فيعدان من الأسباب الأساسية التي تعوق قيام الوحدة وفقا للأغلبية العظمى من المستجيبين؛ فالافتقار إلى الديموقراطية في البلدان العربية يحول دون تمكن الجماهير من التعبير عن نزوعها الوحدوي، وذلك في ظل غياب الرغبة الحقيقية بقيام الوحدة لدى القيادات العربية التي ترى في قيامها تهديدا لمصالحها الذاتية[٣٥].

ولانعكاسات وجود النفط في بعض الأقطار العربية دون غيرها بعض الإسهام في الحيلولة دون قيام الوحدة وفقا لأغلبية المستجيبين؛ إذ أفضى وجود النفط إلى اختلال واضح في توزيع الثروة في الوطن العربي، مما أوجد فجوة واضحة بين بلدانه؛ ويظهر ذلك — بوضوح — في إحجام مجلس التعاون الخليجي عن السماح لأي دولة غير خليجية بالانضمام إليه[٣٦].

وربما يستند تأييد بعض المستجيبين (٢٩,٨%) لاعتبار التنظيمات الإسلامية الأصولية من أسباب عرقلة قيام الوحدة العربية إلى النظرة التي تحاول وسم تلك التنظيمات بالتطرف، والإرهاب، والسعي إلى فرض أنظمة شمولية تسلطية[٣٧]، كما قد يستند

ذلك التأييد إلى الرؤية التي تفترض أن هناك تعارضا سافرا لا يمكن تجاوزه بين الاتجاهين: القومي والإسلامي.

أما معارضة إدراج التنظيمات الإسلامية الأصولية ضمن قائمة العوامل المعوقة للوحدة وفق نسبة لا بأس بها من المستجيبين؛ فقد تعزى إلى وجود العديد من التنظيمات الإسلامية ذات الخطاب المعتدل، التي تؤمن بالديموقراطية والحوار البناء مع الأطراف كافة[٣٨].

وقد تأتي موافقة الأغلبية الواضحة من المستجيبين على أن لتآمر بعض القوى الأجنبية دورا في تثبيط مسيرة الوحدة لتوجه أصابع الاتهام نحو تاريخ طويل من تآمر القوى الاستعمارية ضد التوجهات الوحدوية في الوطن العربي[٣٩]. وتأتي هذه النتيجة لتدعم ما أشار إليه معظم المستجيبين من أن وجود إسرائيل في المنطقة يعد إحدى العراقيل التي تقف في طريق قيام الوحدة العربية. ولعل هذه النتيجة تأتي في ضوء الواقع الذي يؤكد نجاح إسرائيل في تعميق التوتر والانقسام بين الأقطار العربية، بدلا من أن يفضي وجودها القسري إلى دفع العرب نحو التآلف والتوحد.

خامسا: القضايا العربية والإقليمية والدولية المتصلة بالوحدة:

هناك العديد من القضايا العربية، والإقليمية، والدولية التي تفترض الدراسة إمكانية تأثيرها في قضية الوحدة العربية. ويعرض الجدول (٥) استجابات قادة الرأي الأردنيين قيد الدراسة للبنود المتعلقة بتلك القضايا، وفيما يلي استعراض لتلك الاستجابات ومحاولة لمناقشتها:

تذهب الأغلبية العظمى (٩٣,٣%) من المستجيبين إلى أن تحقق الوحدة الوطنية في كل قطر عربي شرط ضروري لقيام الوحدة العربية، وهذه نتيجة منطقية تفرزها معطيات الواقع، إذ تميل الانقسامات الداخلية إلى دفع الدول باتجاه التمزق والتفكك ــ

على الأرجح ـ وتدعم الأحداث في بعض المناطق في العالم عربياً ودولياً هذه الرؤية.

أما القول بالتعارض بين العمل على تعزيز الهوية القطرية والنزوع إلى الوحدة العربية؛ فيؤيده (٢٩,٤%) من مستجيبي الدراسة، في حين يعارضه (٥٤,٣%) منهم، وتقف البقية (١٦,٣%) موقفاً محايداً منه. وربما يعود ارتفاع نسبة المعارضين إلى رغبة هؤلاء بالتوفيق بين الحالة القطرية التي باتت أمراً واقعاً من الصعب تجاهله، والتوجه الوحدوي الذي يمكن أن ينجح في احتواء التعدد وتأطيره. ولعل من الممكن تفسير الاتجاه المؤيد انطلاقاً من خشية أصحابه من تغلغل الحس القطري على حساب الشعور القومي. أما البقية المحايدة؛ فلعلها آثرت عدم التعبير عن اتجاهها نحو تلك القضية الحساسة، ربما تجنباً لاتهامها بالقطرية من جانب، أو ضعف الولاء للدولة القطرية من جانب آخر.

جدول (٥): التوزيعات المئوية لاستجابات المبحوثين للعبارات المتصلة ببعض القضايا العربية والإقليمية والدولية ذات العلاقة بقضية الوحدة العربية*

	العبارة	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
١.	تحقق الوحدة الوطنية في كل قطر عربي شرط ضروري لقيام الوحدة العربية.	٣٧,١	٥٦,٣	٣,٣	٣,٣	...
٢.	يتعارض العمل على تعزيز الهوية الوطنية مع النزوع إلى الوحدة العربية.	٨,٦	٢٠,٨	١٦,٣	٣٥,١	١٩,٢
٣.	ستتمكن الأقطار العربية من احتواء الآثار السلبية لأزمة الخليج على صعيد العلاقات العربية.	١٨,٤	٥٦,٧	١٦,٧	٧,٣	٠٨
٤.	تشكل التهديدات الأمريكية المستمرة بضرب العراق تهديداً للأمن القومي العربي.	٥٠,٢	٤٤,٥	٤,٥	٠٨	...

تتمة الجدول (٥)

	العبارة	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
٥.	فقدت قضية الوحدة العربية بسقوط المنظومة الاشتراكية نصيرا مهما لها.	١٥,٥	٢٨,٢	٢٠	٢٩,٨	٦,٥
٦.	أسهم انهيار المنظومة الاشتراكية في زيادة وعي الأقطار العربية بضرورة السعي نحو تحقيق وحدتها.	١٤,٧	٣٧,١	٢٤,١	٢٠	٤,١
٧.	ستؤدي اتفاقيات السلام العربية الإسرائيلية المبرمة إلى استعادة الأطراف العربية المعنية كامل حقوقها.	١,٢	٤,٥	١٨	٣٥,٥	٤٠,٨
٨.	سيؤدي التطبيع بين إسرائيل والأقطار العربية إلى سيطرة إسرائيل على المنطقة العربية.	٣٩,٦	٢٧,٨	١٨	١٢,٧	٢
٩.	هناك تناقض بين مشروع النظام الشرق أوسطي وفكرة الوحدة العربية.	٤٠,٨	٣٣,٥	١٨	٦,٩	٠٨
١٠.	تستهدف المشاريع المتوسطية ترسيخ تبعية الأقطار العربية للقوى الأجنبية.	٣٨,٨	٣٢,٧	١٧,٦	٩,٤	١,٦
١١.	العولمة شكل جديد من أشكال الاستعمار.	٣٤,٧	٣١,٤	١٦,٣	١٤,٧	٢,٩
١٢.	يساهم انخراط البلدان العربية في تيار العولمة في زيادة احتماليات قيام الوحدة العربية.	٢	١٠,٢	٢٧,٨	٢٨,٢	٣١,٨

* حجم العينة الكلي = ٢٤٥، ونسبة الاستجابة الكلية لجميع العبارات = ١٠٠%.

وعلى الرغم من العواقب الوخيمة والتداعيات السلبية التي خلفتها أزمة الخليج على صعيد العلاقات بين البلدان العربية، إلا أنها ستتمكن من تجاوز تلك العواقب وفقا

لأغلبية المستجيبين (٧٥,١%). ولعل هذه النظرة تسترشد ببعض البوادر الإيجابية على هذا النطاق، التي تمثلت في الموقف العربي الموحد من أزمة الأسلحة بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية، الذي أكد معارضة استخدام القوة ضد العراق، إضافة إلى مؤشرات التقارب بين العراق من جهة، وسورية ومصر وبعض الدول الخليجية من جهة أخرى.

في مقابل ذلك، تعبر أقلية نسبتها (٨,١%) من المستجيبين عن تشاؤمها من تمكن الأقطار العربية من تخطي الآثار الضارة التي أحدثتها أزمة الخليج في العلاقات بين البلدان العربية. وربما يعود ذلك التشاؤم إلى استمرار القطيعة بين العراق والكويت، وعدم بذل الجهود العربية الكافية لرفع الحصار المفروض على العراق منذ حوالي ثمانية أعوام. إلا أنه ورغم من كل شيء، فما يزال العراق جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي؛ تشكل التهديدات الأمريكية المستمرة بضربه تهديدا للأمن القومي العربي، وهذا ما تراه الأغلبية العظمى (٩٤,٧%) من المستجيبين، مما قد يعد مؤشرا على قوة الشعور القومي لدى قادة الرأي الأردنيين الذين استجابوا لأداة الدراسة.

وتتباين استجابات المبحوثين بشأن تأثير سقوط المنظومة الاشتراكية في قضية الوحدة العربية؛ فبينما يرى (٤٣,٧%) منهم أن قضية الوحدة خسرت بسقوط تلك المنظومة نصيرا مهما لها، يعارض (٣٦,٣%) ذلك، ويعبر البقية (٢٠%) عن حيادهم. وربما تعود رؤية أصحاب الاتجاه المؤيد إلى ما أفضى إليه انهيار القطب الاشتراكي العالمي، وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها بالهيمنة على النظام العالمي من إضعاف للموقف العربي، وتعميق تبعيته للمعسكر الرأسمالي، الأمر الذي يؤدي إلى الاستنتاج بأن لسقوط المنظومة الاشتراكية تأثيرا سلبيا غير مباشر في قضية الوحدة، أما نزعة المعارضة؛ فلعلها تأتي متأثرة بانتماءات أيديولوجية تناهض الفكر الاشتراكي.

ويصعب تفسير النتيجة التي تشير إلى أن حوالي نصف المستجيبين يعدون أن تهاوي المنظومة الاشتراكية قد أسهم في زيادة وعي الأقطار العربية بضرورة السعي إلى التوحد، إذ لم تتخذ تلك الأقطار خطوات فعلية تصب في ذلك الاتجاه، إلا إذا اعتبر الغزو العراقي لاستتباع الكويت ـ الذي تزامن تقريبا مع انهيار تلك المنظومة ـ من مؤشرات ذلك. إلا أن ذلك الإسهام المشار إليه، قد يعبر في جوهره عن نوع من الرغبة لدى القائلين به، أكثر من تعبيره عن حقيقة واقعية.

ويبرز الواقع القائم ثانية ليعلن عن دوره الكبير في تشكيل اتجاهات الأفراد، إذ أفضت ممارسات إسرائيل العدوانية وانتهاكاتها المستمرة لاتفاقيات السلام الموقعة مع بعض الأطراف العربية إلى بروز اتجاه واضح لدى أغلبية (٧٦,٣%) المستجيبين يؤكد عجز تلك الاتفاقيات عن ضمان حصول الأطراف العربية على كامل حقوقها. وتتعارض هذه النتيجة بصورة عامة مع ما جاء به استطلاع مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية حول المفاوضات الأردنية ـ الإسرائيلية، والذي أشار إلى أن حوالي (٤٣%) من الأردنيين الذين شملهم الاستطلاع يرون أن الأردن سيحصل على جميع حقوقه المتعلقة بالأرض، والمياه، والأمن، واللاجئين، من جراء توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل[٤٠]، وربما يرجع ذلك التعارض إلى تتابع المؤشرات التي تثبت سعي إسرائيل إلى التنصل من التزاماتها التي أقرتها في تلك المعاهدة. أما المستجيبون الذين أبدوا حيادهم بشأن هذه النقطة (١٨%)، فربما حالت مواقعهم ووظائفهم التي يشغلونها دون تمكنهم من الإفصاح عن اتجاه قد يتعارض مع التوجهات الحكومية الراهنة في الأردن.

ويعلن أكثر من ثلثي المستجيبين عن موافقتهم على أن التطبيع بين الأقطار العربية وإسرائيل سيؤدي إلى سيطرة الأخيرة على المنطقة العربية. ولعل هذا الاتجاه يأتي في ضوء التصريحات الإسرائيلية المتكررة التي لا تخفي تلهفها على الإسراع في عملية التطبيع، وتعبر عن رغبة إسرائيلية واضحة لقيادة الوطن العربي[٤١]. وثمة بعض

المستجيبين (١٤,٧%) الذين يعارضون ذلك التوجه، ربما انطلاقا من إيمانهم بأن الامتداد الحضاري الأصيل والمتجذر للثقافة العربية كفيل باحتواء الخطر الصهيوني وتذويبه.

ويرى حوالي ثلاثة أرباع المستجيبين أن هناك تناقضا بين مشروع النظام الشرق أوسطي وفكرة الوحدة العربية، منسجمين في هذا مع الرؤى التي تجد في المشروع الشرق أوسطي محاولة لتمزيق الوطن العربي، بإعادة تشكيله وفق أسس مصلحية تتجاهل الاعتبارات القومية. وهناك نسبة ضئيلة (٧,٧%) من المستجيبين تعارض القول بوجود ذلك التناقض، وربما تستند في توجهها هذا إلى الرغبة في إحراز بعض المكاسب الشخصية التي يضمنها قيام ذلك المشروع. أما بقية المستجيبين (٨%)، فربما انحازوا إلى الحياد تلافيا لاتهامهم بدعم التطبيع مع إسرائيل، أو تهربا من الإفصاح عن اتجاه قد لا تستسيغه الحكومة الأردنية الآخذة في تعميق علاقاتها مع إسرائيل.

وتستهدف المشاريع المتوسطية ترسيخ تبعية الأقطار العربية للقوى الأجنبية اعتمادا على استجابات (٧١,٥%) من المبحوثين. الذين قد يحتكمون في اتجاههم هذا إلى السجل الغربي الحافل بالمشاريع المشبوهة لتجزئة الوطن العربي. ويبدي بعض المستجيبين (١١%) معارضتهم لذلك الاتجاه، وربما يعود ذلك إلى الحرص على بعض المنافع التي قد تفرزها تلك المشاريع، أو أنه قد يكون انسجاما مع انتماءاتهم أو مرجعياتهم. ولا يعلن بقية المستجيبين (١٧,٦%) عن اتجاههم بخصوص تلك المسألة، مفضلين التزام الحياد، وقد يعود هذا إلى قلة المعلومات عن تلك المشاريع، وعدم تبلورها في صيغ واضحة.

وتنظر أغلبية المستجيبين (٦٦,١%) إلى العولمة بوصفها شكلا جديدا من أشكال الاستعمار، منسجمة في هذه النظرة مع اتجاه فكري يؤكد أن العولمة في تجلياتها الحالية السياسية، والاقتصادية، والثقافية، ليست في جوهرها سوى صيغة جديدة من

صيغ السيطرة التي تحاول الرأسمالية العالمية بسطها وإحكامها[٤٢]. أما الأقلية (١٧,٦%) من المستجيبين التي تعارض ذلك الاتجاه، فلعلها تصدر في معارضتها عن انتقاء الجوانب التي قد تكون إيجابية في مفهوم العولمة والتركيز عليها، من مثل نشر التقانة المتقدمة، وإشاعة قيم الديموقراطية، والدفاع عن حقوق الإنسان، وإنصاف الأقليات. أما الفريق الثالث الذي آثر الحياد (١٦,٣%)؛ فربما لأنه لم يكون اتجاها واضحا نحو القضية في ضوء حداثتها من جهة، وتشعب الأقاويل بشأنها من جهة أخرى. ويرفض معظم المستجيبين (٦٠%) الإقرار بأن انخراط البلدان العربية في تيار العولمة من شأنه الإسهام في زيادة قابليات توحدها. وربما جاء هذا الرفض بالاستناد إلى نزعة ذلك التيار للتغاضي عن خصوصيات الدول وهوياتها الوطنية، وسعيها إلى بث أنساق ثقافية وسياسية واقتصادية تدعي العالمية، على الرغم من مرجعياتها الغربية على الأغلب. ويشار إلى أن ذلك التوجه لأولئك المستجيبين يتناغم في جوهره مع ما يرتئيه بعض المفكرين من أن ثقافة العولمة تقف نقيضا للثقافات الوطنية[٤٣]. وهناك أقلية (١٢,٢%) من المستجيبين ترتئي أن التحاق الأقطار العربية بتيار العولمة سيزيد من قابليات قيام وحدتها، وربما تأتي هذه النظرة غير المتوقعة، لتعكس ضبابية مفهوم العولمة وعدم وضوحه لدى بعض المستجيبين، الأمر الذي دفع بعضهم الآخر (٢٧,٨%) إلى اتخاذ جانب الحياد.

وتجدر الإشارة إلى أن الدرجات الكلية التي أحرزها المبحوثون عن استجاباتهم للبنود المتعلقة بالقضايا العربية والإقليمية والدولية؛ تظهر نزعتهم الواضحة لتأييد المضامين التي اشتملت عليها تلك البنود، كما هو مبين في الجدول رقم (٤).

سادسا: الصيغة المناسبة لتأطير العلاقة بين الأقطار العربية:

ثمة صيغ مختلفة يمكن أن تحكم أنماط العلاقات بين الدول. وباستعراض الصيغ التي يفضلها مبحوثو الدراسة لتأطير العلاقة بين الأقطار العربية، يتبين توزعها على العديد من الصيغ، كما هو مدرج في الجدول (٦) على النحو التالي:

تتحاز النسبة الأعلى (٤٥,٣%) من المستجيبين إلى تأييد اعتماد صيغة الوحدة الفيدرالية لنظم العلاقة بين الأقطار العربية؛ بوصفها الصيغة الأكثر ملاءمة. وتحل صيغة الوحدة الاندماجية الكاملة تاليا بنسبة تأييد تبلغ (٢٥,٧%)، أما صيغة الاتحاد الكونفيدرالي التي تبلغ نسبة المتحمسين لها (١٣,٥%)، فتأتي عقب صيغة التعاون والتنسيق في إطار مؤسسات قومية، التي تظفر بدعم ما نسبته (١٥,٥%) من المستجيبين، في حين لا يؤيد أي من المستجيبين الصيغة التي تنفي وجود أي نوع من أنواع التعاون بين الأقطار العربية.

بتحليل النتائج المشار إليها سابقا، يتبين أن الواقع القائم يلقي بظلاله الثقيلة على اتجاهات المستجيبين، إذ إن وجود الكيانات القطرية التي أضحت أمرا واقعا يصعب تجاوزه في الوطن العربي؛ يستدعي ــ بالضرورة ــ أخذ تلك الكيانات بالحسبان، ومراعاة خصوصياتها وهوياتها المحلية عند الحديث عن الشأن الوحدوي، ولعل هذا ما أفضى بأغلبية المستجيبين إلى تأييد الصيغة الفيدرالية للوحدة، التي تضمن احترام تلك الخصوصيات القطرية، وتحافظ على بقائها. وتأتي هذه النتيجة منسجمة مع ما ذهب إليه المؤتمرون في الندوة التي عقدت في دبي حول موضوع الإطار الحضاري للمجتمع العربي في القرن الحادي والعشرين الذين أجمعوا على أن الصيغة الفيدرالية هي الصيغة المثلى للوحدة بين الدول العربية، التي تكفل لتلك الدول الحفاظ على شخصياتها القطرية[٤٤].

أما الصيغة الاندماجية للوحدة، فربما يجيء حلولها في المرتبة التالية في نسبة المؤيدين، تعبيرا عن إدراك المستجيبين صعوبة تحقيقها في ظل الواقع القطري المهمين عربيا، وذلك على الرغم من أنها كانت تمثل الصيغة الأمثل لدولة الوحدة المنشودة في الستينيات من هذا القرن[٤٥]، عندما كانت الكيانات القطرية العربية الراهنة في طور النشوء بعد. ويأتي تقدم صيغة التعاون والتنسيق بين الأقطار العربية ضمن إطار مؤسسات قومية على صيغة الاتحاد الكونفيدرالي في نسبة المؤيدين،

ليعكس ضعف حماس المستجيبين للصيغ التعاهدية (كالكونفيدرالية مثلا) التـــي قـد لا تزيد عن كونها مجرد اتفاقيات شكلية لا تجد طريقها إلى التنفيذ في الأغلب، وتفضيـل صيغة التعاون ضمن أطر قومية عليا، التي قد تكون أكثر فعالية وجدوى[٤٦].

وفيما يتعلق برفض المستجيبين للقطيعة في العلاقات بين الأقطار العربية؛ فلعله يعـبر عن اتجاه تستدعيه مقتضيات وجدانية وموضوعية، إذ لا يمكن تصور غياب التعـاون بين تلك الأقطار التي تربطها شبكة ممتدة من الروابط العاطفية والواقعية التي لا سبيل إلى تجاهلها.

جدول (٦)

التوزيعات المئوية لاستجابات المبحوثين للقضايا المتصلة بصيغة العلاقة بين الأقطار العربية، وهوية الوحدة، والنظام الاقتصادي والسياسي الأمثل لها، ومراحلها، وتوقيتها، وأساليب تحقيقها، والجهات القادرة على إنجازها.

القضية	النسبة المئوية
الصيغة المناسبة لتأطير العلاقة بين الأقطار العربية	
١. غياب أي نوع من أنواع التعاون	.:
٢. التعاون والتنسيق في إطار الجامعة العربية	١٥,٥
٣. اتحاد كونفيدرالي	١٣,٥
٤. وحدة فيدرالية	٤٥,٣
٥. وحدة اندماجية كاملة	٢٥,٧

تتمة الجدول (٦)

القضية	النسبة المئوية
الهوية المفضلة لدولة الوحدة	
١. إسلامية	١٠,٢
٢. عربية إسلامية	٤٩,٨
٣. عربية	٨,٦
٤. علمانية عربية	٢٨,٢
٥.غير مؤيد لقيام الوحدة العربية	٠,٤
٦. محايد	٢,٨
النظام الاقتصادي الأمثل لدولة الوحدة	
١. النظام الرأسمالي	٢١,٢
٢. النظام الاشتراكي	٢٢
٣. الاقتصاد الإسلامي	٣٤,٧
٤. غير مؤيد لقيام الوحدة العربية	٠,٤
٥. محايد	١٠,٢
٦. نظام مختلط (اشتراكي ــ رأسمالي)	١١,٤

تتمة الجدول (٦)

القضية	النسبة المئوية
النظام السياسي المفضل لدولة الوحدة	
١. نظام الحزب الواحد	١,٦
٢. نظام التعددية الحزبية	٦٤,١
٣. النظام الملكي	١١,٨
٤. غير مؤيد لقيام الوحدة العربية	٠,٤
٥. محايد	١١,٨
٦. التعددية الحزبية ضمن نظام ملكي	٤,١
٧. نظام إسلامي (الخلافة)	٦,١
الصيغة المرحلية الأكثر ملاءمة لقيام دولة الوحدة	
١. فورية	٥,٧
٢. تدريجية تبدأ بالتنسيق، وصولا إلى صيغة وحدوية متقدمة	٣٦,٧
٣. تدريجية تتم وفق اتحادات إقليمية تضم أقطارا متجاورة	٤٩
٤. تدريجية تتم وفق اتحاد الأقطار ذات الأنظمة السياسية المتجانسة	٨,٦
التوقيت المعقول والممكن لقيام الوحدة	
١. خلال ٢٠ سنة فما دون	٣٠,٢
٢. خلال ٥٠ سنة	٢٥,٧
٣. خلال ١٠٠ سنة	١٥,٩
٤. لا يمكن قيام الوحدة العربية	١٣,٥
٥. عند توافر الظروف الملائمة	١٤,٧

تتمة الجدول (٦)

القضية	النسبة المئوية
الأسلوب الأمثل لتحقيق الوحدة	
١. الديموقراطية القائمة على اقتناع الجماهير العربية	٥٣,٤
٢. اتفاق الحكومات العربية على إنجاز الوحدة	٢٢
٣. الثورة الشعبية	٥,٣
٤. قيام حزب ثوري عربي موحد	٢,٩
٥. القوة العسكرية	٣,٣
٦. ترك الأمر للأجيال القادمة	١٣,١
الجهة الأقدر على إنجاز مشروع الوحدة	
١. المثقفون أو الإنتلجنسيا	٢٦,٥
٢. القيادات العسكرية	٥,٧
٣. العمال والفلاحون	٤,١
٤. أنظمة الحكم العربية	٢٦,٩
٥. تنظيمات المجتمع المدني	٣٦,٨

سابعاً: الهوية المفضلة لدولة الوحدة:

تتنوع الهويات التي يفضلها قادة الرأي الأردنيين لدولة الوحدة العربية المنشودة، إلا أن الهوية العربية ــ الإسلامية كما هو مبين في الجدول (٦) تتصدر قائمة تلك الهويات بنسبة (٤٩,٨%) من المستجيبين، يعقبها الهوية العلمانية ــ العربية بنسبة (٢٨,٢%)، أما الهوية الإسلامية بصورتها المجردة، فلا تحظى إلا بتأييد ما نسبته

(١٠,٢%) من المستجيبين، وتلقى الهوية العربية الخالصة دعم (٨,٦%) من جملة الذين استجابوا لأداة الدراسة.

وفي الوقت الذي انصب فيه اهتمام معظم الكتابات القومية العربية الرائدة على بلورة الطابع الإسلامي للوحدة العربية، انصرفت الأعمال القومية اللاحقة نحو اعتماد رؤية علمانية للوحدة[٤٧]. ولعل هذا التطور قد أفضى إلى اشتعال فتيل الصدام بين الاتجاهين، الأمر الذي جعل من الوطن العربي مسرحاً لمعارك سجالية عقيمة لم تؤد إلا للمزيد من الفرقة والتنافر. ومن هنا، يمكن تفهم استجابات المبحوثين نحو مسألة هوية الوحدة، إذ يرى نصفهم تقريباً أن لا انفصام في تلك العلاقة التلاحمية القائمة بين الإسلام والعروبة منذ قرون، ومن ثَمَّ؛ فإن الهوية الجديرة باحتواء الدولة الوحدوية ــ في حال قيامها ــ ليست سوى الهوية العربية الإسلامية[٤٨].

أما المستجيبون الذين ينحازون إلى تأييد الهوية العلمانية العربية للوحدة؛ فلعلهم يأخذون بالطروحات التي ترى في الإسلام نظاماً شمولياً تسلطياً يستحيل توافقه مع معطيات الحداثة والتقدم[٤٩]، أو لعلهم يخشون سيطرة التنظيمات الإسلامية وتسلمها زمام القيادة في الوطن العربي، وذلك في ظل الاتهامات التي توجه لتلك التنظيمات باعتبارها الخطر الأشد على محاولات الديمقرطية في المنطقة العربية[٥٠].

ثامناً: النظام الاقتصادي والسياسي الأمثل لدولة الوحدة:

وفقاً لما تظهره بيانات الجدول (٦)، يبدي أكثر من ثلث المستجيبين (٣٤,٧%) دعمهم للاقتصاد الإسلامي نظاماً أمثل لدولة الوحدة المتوخاة. ولعل هذا الدعم الكبير نسبيا للاقتصاد الإسلامي يأتي على حساب النظام الاشتراكي الذي لا يحظى إلا بما نسبته (٢٢%) من التأييد، وذلك بعد أن فقد جزءاً كبيراً من شعبيته ــ فيما يبدو ــ عقب الضربة القاصمة التي تلقاها بانهيار المعسكر الاشتراكي. وتتعارض هذه النتيجة ــ بوجه عام ــ مع ما خلصت إليه بعض الدراسات التي أشارت إلى أن الأغلبية العظمى

من مستجيبيها، تؤيد اعتماد النظام الاشتراكي بوصفه النظام الاقتصادي الأمثل لدولة الوحدة[٥١]. وربما يعود ذلك التعارض إلى أن تلك الدراسات أجريت قبل السقوط المدوي للمعسكر الاشتراكي.

أما النظام الرأسمالي؛ فقد أفاد أيضاً من تهاوي المنظومة الاشتراكية لزيادة جماهيريته، إذ يلقى نسبة لا بأس بها من التأييد (٢١,٢%) بعد أن تربع على عرش الاقتصاد العالمي معلناً نهاية التاريخ عنده[٥٢].

وقد يأتي اتجاه بعض المستجيبين (١١,٤%) لاقتراح النظام المختلط ــ الذي يجمع بين ملامح من الاشتراكية وأخرى من الرأسمالية ــ مدفوعاً برغبتهم في الوصول إلى نظام يقلص من مثالية الاشتراكية وجماعيتها من جهة، ويخفض من جشع الرأسمالية وفرديتها من جهة أخرى.

وتمثل الديموقراطية ضرورة ملحة وضمانة قوية، ليس من أجل الإسهام في قيام الوحدة العربية فحسب؛ وإنما من أجل العمل أيضاً على إنجاحها وترسيخها[٥٣]. ولعل وعي معظم المستجيبين (٦٤,١%) بهذه القضية وإيمانهم بها؛ قد حدا بهم إلى الميل نحو اعتماد التعددية الحزبية أساساً للنظام السياسي لدولة الوحدة المنشودة[٥٤]. أما نظام الحزب الواحد؛ فلا يجد من التأييد إلا نسبة بالغة الضآلة (١,٦%)، ولعل هذا عائد إلى الطبيعة الشمولية (التوتالتيارية) لذاك النظام، التي تجعل منه نظاماً قمعياً متصلباً كما هو الحال في العديد من الدول. ويبدي بعض المستجيبين (١١,٨%) دعمهم للنظام الملكي التقليدي، ويعبر آخرون (٤,١%) عن حماسهم للتعددية الحزبية ضمن النظام الملكي، وربما يعود هذا إلى الواقع السياسي القائم في الأردن، وحرص بعض المستجيبين على تأكيد ولائهم للنظام الحاكم في كل مناسبة؛ حفاظاً على امتيازاتهم، وربما تطلعاً للمزيد منها. أما بقية المستجيبين (٦,١%) الذين ينحازون إلى

اقتراح النظام الإسلامي (الخلافة)، فلعلهم يصدرون في هذا عن انتماءاتهم الفكرية ذات الطابع الديني.

تاسعا: الصيغة المرحلية الأكثر ملاءمة والتوقيت المعقول والممكن لقيام الوحدة:

من الواضح أن معطيات الواقع الراهن لا تسمح بالقيام الفوري للوحدة، مما أفضى إلى انخفاض نسبة الذين (٥,٧%) يرون في الصيغة الفورية لقيام الوحدة الصيغة الأكثر ملاءمة، وفقا لما هو وارد في الجدول (٦). أما الصيغ التدريجية التي تتم وفقا لاتحادات إقليمية تضم أقطارا متجاورة؛ فتحظى بتأييد حوالي نصف المستجيبين، مما يتعارض مع ما خلصت إليه بعض الدراسات[٥٥]، من رفض مبحوثيها اعتماد صيغة التكتلات الإقليمية. وربما يأتي ذلك الرفض بالاستناد إلى تركيز تلك الدراسات على ضرورة التقارب الأيديولوجي لا المكاني بين البلدان العربية من أجل توحدها.

وقد يعود ارتفاع نسبة التأييد للصيغة التدريجية الإقليمية إلى النظر لتلك الصيغة بوصفها أكثر عقلانية وإمكانا، في ضوء خفوت نبرة الخطاب الشعاراتي والأيديولوجي العربي، وتصاعد حدة الخطاب المصلحي الواقعي في المقابل، كما قد يرجع ارتفاع نسبة التأييد تلك إلى التأثر ببعض الاتحادات الإقليمية العربية القائمة من مثل اتحاد دول الخليج العربي، واتحاد دول المغرب العربي. أما الصيغة التدريجية ــ التي تبدأ بالتنسيق وصولا إلى صيغة وحدوية متقدمة ــ فتحظى باهتمام ما نسبته (٣٦,٧%) من المستجيبين. وقد تعكس هذه الرؤية الوعي بضرورة التروي والتزام الحرص في تنفيذ المشاريع الوحدوية، تجنبا للإخفاقات التي اختبرتها المشاريع السابقة نتيجة للتعجل ونقص التخطيط. وتخفق الصيغة التدريجية التي تجري وفق اتحاد الأقطار ذات الأنظمة السياسية المتجانسة في إقناع نسبة كبيرة من المستجيبين بدعمها، فلا تحرز إلا ما نسبته (٨,٦%) من تأييدهم، وربما يرجع هذا إلى إدراك معظم المستجيبين أن مثل تلك الصيغة لن تقود إلا إلى المزيد من التكتلات والمحاور المتضاربة التي يصعب التقاؤها.

على أية حال، يأتي دعم معظم المستجيبين للصيغتين التدريجيتين: الإقليمية والتنسيقية تعبيرا عن رؤية واقعية بعيدة النظر، تتفق في المجمل مع ما توصلت إليه بعض الدراسات[٥٦].

ومع أن الواقع العربي القائم مشبع بالانقسام والتفكك، إلا أن هناك نسبة مهمة (٣٠,٢%) من المستجيبين ترى أن هناك فرصة معقولة لقيام الوحدة العربية خلال ما لا يزيد من عقدين. وقد تعود هذه النظرة المتفائلة إلى افتراض حتمية توجه الأقطار العربية نحو التوحد، في ضوء تسارع دول العالم إلى البحث عن أطر ومنظومات جامعة تقيها خطر الانعزال أو الإخضاع. كما يذهب حوالي ربع المستجيبين ــ وبنظرة أقل تفاؤلا ــ إلى إمكانية تحقيق الوحدة خلال (٥٠) سنة. ولعلهم يستوحون في هذه النظرة تجربة الوحدة الأوروبية التي استغرق إنجازها حوالي نصف قرن، ولعلهم أيضا يضعون في اعتبارهم ما يشهده الواقع العربي الراهن من تبعثر وفرقة. أما الذين يرون احتمال إنجاز الوحدة خلال قرن من الزمان (١٥,٩%)، فينطلقون من رؤية بالغة التشاؤم، إلا أنها لا تصل إلى درجة اليأس المطبق الذي يعبر عنه (١٣,٥%) من المستجيبين الذين يجزمون بعدم إمكان قيام الوحدة العربية بتاتا. ويبدو بعض المستجيبين أكثر موضوعية وعقلانية من أقرانهم عندما يذهبون إلى قابلية تحقق الوحدة عند توافر الظروف الملائمة، بصرف النظر عن الشرط الزمني.

وتمكن الإشارة هنا إلى اختلاف النتيجة الأولى المشار إليها آنفا، مع نتائج بعض الدراسات التي أشارت إلى صعوبة قيام الوحدة في المدى القريب[٥٧]، ولعل تلك النتيجة تأتي لتبشر بمستقبل أكثر إشراقا على الصعيد الوحدوي العربي.

عاشرا: الأسلوب الأمثل لتحقيق الوحدة والجهة الأقدر على إنجازها:

يبدو أن المضاعفات السلبية الخطيرة التي تمخضت عن استخدام الأساليب العنيفة في محاولة تحقيق الوحدة العربية قد عملت على تدعيم جبهة الرفض لاستخدام تلك

الأساليب. وهذا ما تبرزه البيانات المدرجة في الجدول (٦)، إذ ينصرف معظم المستجيبين باتجاه دعم الأساليب السلمية لإنجاز الوحدة، فيذهب أكثر من نصفهم (٥٣,٤%) إلى اعتبار الديموقراطية القائمة على اقتناع الجماهير الوسيلة المثلى[٥٨].

كما يعمد (٢٢%) من المستجيبين إلى النظر لاتفاق الحكومات العربية على إنجاز الوحدة بوصفه الأسلوب الأمثل لتحقيقها. مستندين في ذلك ــ على ما يبدو ــ إلى السلطات شبه المطلقة التي تملكها تلك الحكومات. وتحت تأثير الواقع العربي المتأزم المبعثر؛ يعبر بعض المستجيبين (١٣,١%) عن رغبتهم بترك أمر تنفيذ الوحدة للأجيال القادمة، بعد أن أثبتت التجارب عجز الأجيال الحالية عن تحقيقها. أما المستجيبون الذين يفضلون اللجوء إلى الأساليب العنيفة من أجل تحقيق الوحدة؛ فلا يشكلون إلا نسبة بسيطة من مجموع المستجيبين، إذ تبلغ نسبة الذين يؤيدون منهج الثورة الشعبية (٥,٣%)، ويدعم (٣,٣%) استعمال القوة العسكرية، في حين يؤمن آخرون نسبتهم (٢,٩%) بضرورة قيام حزب ثوري عربي موحد، الأمر الذي يشير إلى استبعاد الخيارات العنيفة لإنجاز الوحدة من قاموس قادة الرأي الأردنيين ــ باستثناء أولئك الذين قد تحركهم انتماءاتهم الفكرية أو الحزبية ــ بعد أن أثبتت تلك الأساليب إسهامها السلبي فيما يتعلق بقضية الوحدة[٥٩].

وبالاتساق مع اتجاه معظم المبحوثين إلى تأييد استخدام الأساليب السلمية لإنجاز الوحدة؛ تأتي استجاباتهم المتعلقة بالجهة الأقدر على إنجاز تلك الوحدة لتصب في الاتجاه ذاته، إذ تذهب نسبة مهمة من المستجيبين (٣٦,٨%) إلى إلقاء مهمة تحقيق الوحدة على كاهل تنظيمات المجتمع المدني، تلك التنظيمات التي تحتاج إلى أجواء ديموقراطية للنمو والازدهار، مما يشير إلى العلاقة العضوية الوثيقة بين الوحدة والديموقراطية[٦٠]. ويسند (٢٦,٥%) من المستجيبين مهمة إنجاز الوحدة إلى قطاع المثقفين، مؤكدين الدور الكبير الملقى على عاتق الشرائح المثقفة في المجتمع في خدمة القضايا المصيرية للأمة[٦١]. ويرى (٢٦,٩%) من المستجيبين أن أنظمة الحكم

العربية هي الأقدر على تحقيق الوحدة، ربما بحكم الثقل الكبير الذي تشغله تلك الأنظمة في الوطن العربي[٦٢].

ويشار إلى انخفاض نسبة الذين (٥,٧%) يرون في القيادات العسكرية القدرة على إنجاز الوحدة. ويقال هذا فيما يتعلق بالعمال والفلاحين أيضا، الذين لا تزيد نسبة من يرى فيهم إمكانية تنفيذ الوحدة على (٤,١%). وتختلف النتيجة الأخيرة هذه مع ما خلصت إليه بعض الدراسات التي أشارت إلى أن العمال والفلاحين سيقومون بإنجاز المشروع الوحدوي العربي[٦٣]. وربما يمكن تفسير هذا الاختلاف في ضوء هشاشة الدور الذي تمارسه قطاعات العمال والفلاحين في الحياة العامة في الأردن، أما انخفاض نسبة الذين يرشحون القيادات العسكرية للقيام بالوحدة؛ فلعله يعود إلى فداحة الخسائر التي لحقت بالوطن العربي من جراء التجارب المغامرة لبعض تلك القيادات.

التوصيات

عقب الانتهاء من عرض النتائج ومناقشتها، تجد الدراسة أن من الضروري اقتراح بعض التوصيات التي ترتئي ـ وفقا لتلك النتائج ـ إمكان إسهامها في تعزيز قضية الوحدة العربية، التي يتطلب وضعها موضع التنفيذ تضافر جهود مختلف التنظيمات الرسمية ومؤسسات المجتمع المدني على امتداد رقعة الوطن العربي، وفيما يلي أبرز تلك التوصيات:

أولا: التشديد على أن الوحدة العربية هدف استراتيجي جدير بالنضال لتحقيقه من القوى الفكرية والسياسية الرسمية والأهلية كافة.

ثانيا: تأكيد الدور الكبير الذي تؤديه الديموقراطية في توفير المتطلبات الأساسية والإيجابية للوصول إلى الأهداف الوحدوية المشتركة.

ثالثا: تعميق الوعي العربي بأهمية ارتكاز البنيان الوحدوي إلى المبادئ القيمية، والثقافية، والاجتماعية المشتركة، دون إغفال الدعائم الاقتصادية والمصلحية التي تشكل ركنا أساسيا في ذلك البنيان.

رابعا: تنظيم الندوات واللقاءات والحوارات الفكرية والسياسية في مختلف أنحاء الوطن العربي لمناقشة المسائل الوحدوية وتعميق الوعي الجماهيري بها.

خامسا: توحيد المناهج التعليمية والتربوية في مراحل التعليم الأساسي، بوصفها مدخلا حيويا لدعم العمل العربي المشترك والتوجهات الوحدوية.

سادسا: السعي إلى تعميق قيم التعاون والتكامل بين تيارات الفكر السياسي العربي، وتجنب إثارة بواعث التناقض فيما بينها.

سابعا: التصدي للمؤامرات الاستعمارية ومحاولات الهيمنة التي تستهدف وجود الأمة العربية، ووحدتها، ونهضتها.

ثامنا: تفعيل مؤسسات العمل العربي المشترك، وتأكيد أهمية التكامل القطري ـ القومي ضمن سياسات تنموية عربية شاملة.

تاسعا: العمل على توفير مختلف الوسائل الإعلامية الملائمة لنشر مفاهيم الخطاب الوحدوي وترسيخها، ومكافحة الطروحات الإقليمية والقطرية المناوئة لها.

عاشرا: إيلاء العناية القصوى لمسألة البحث في القضايا القومية في البلدان العربية، وذلك بإنشاء المزيد من المراكز المتخصصة بهذا الشأن، وتفعيل دور القائم منها، وإجراء الدراسات الملتزمة بالقيم القومية لتشمل مختلف الشرائح والقطاعات المجتمعية في مختلف أقطار الوطن العربي.

الخلاصة والخاتمة

ربما كان من المناسب في ختام هذه الدراسة إجمال أبرز النتائج التي تم التوصل إليها، وفق رؤية كلية تحاول ترسيم معالم الخريطة العامة للاتجاهات التي يحملها قادة الرأي الأردنيين نحو قضية الوحدة العربية في هذه المرحلة، بكل ما تشتمل عليه تلك القضية من أبعاد ومسائل.

فقد أظهرت النتائج أن الأغلبية الساحقة من قادة الرأي الأردنيين الذين تم استقصاء اتجاهاتهم يؤمنون إيمانا قويا بفكرة الوحدة العربية. ولا يأتي ذلك الإيمان مستندا إلى عوامل وجدانية عاطفية فحسب؛ وإنما يرتكز أيضا إلى أسس موضوعية عقلانية ترى في قيام الوحدة العربية أرضية ضرورية من أجل انطلاق الأمة العربية على طريق النهضة والتقدم. إلا أن الواقع القائم يقف حجر عثرة في سبيل قيام تلك الوحدة، إذ إن هنالك جملة من العوامل المعوقة التي تتضافر فيما بينها مفضية إلى إحباط المشروع الوحدوي. ويقف في مقدمة تلك العوامل: معارضة بعض القيادات العربية، وغياب الديموقراطية عن الساحة العربية، إضافة إلى تآمر القوى الغربية الاستعمارية. وللتغلب على تلك المعوقات، يقترح قادة الرأي المبحوثون بمجملهم اعتماد العديد من الآليات على الصعيد الاجتماعي، والسياسي، والثقافي، والاقتصادي، لعل من أبرزها: تعزيز الممارسة الديموقراطية في الأقطار العربية، وتفعيل دور مؤسسات العمل العربي المشترك، وتنمية الوعي القومي الكامن في وجدان الجماهير العربية. ومن ناحية أخرى، أبدى ما يزيد عن ثلث أولئك القادة عدم تحمسهم لتبني أسلوب التظاهر من أجل دعم قضية الوحدة، مما قد يدفع إلى التساؤل حول المدى الذي يمكن أن يذهب إليه أولئك القادة على صعيد التضحية في سبيل قضية الوحدة.

وتنحو اتجاهات المستجيبين إلى التقارب فيما يتعلق بطبيعة التأثيرات التي يمكن أن تحدثها بعض المتغيرات العربية، والإقليمية، والدولية في مسار قضية الوحدة. إذ ترى

الأغلبية أن تحقق الوحدة الوطنية في كل قطر عربي مطلب ضروري لقيام الوحدة العربية، وأن العمل على تعزيز الهوية القطرية مناف للتوجهات الوحدوية. كما تذهب الأغلبية أيضا إلى التفاؤل فيما يتعلق بقدرة الأمة العربية على تجاوز الخلافات والنزاعات التي أفرزتها أزمة الخليج، إذ يبقى العراق ــ وفقا لتلك الأغلبية ــ أحد الأقطار العربية، الذي يعد تهديد أمريكا وحلفائها بضربه تهديدا للأمن القومي العربي كله.

على صعيد آخر، ينقسم المبحوثون إلى اتجاهين متعارضين فيما يتصل بعواقب انهيار المنظومة الاشتراكية، فيرى بعضهم في ذلك الانهيار إضراراً بقضية الوحدة من جانب، ودعماً لها من جانب آخر، وأن الوحدة قد فقدت بسقوط تلك المنظومة نصيراً مهماً لها، إلا أن ذلك السقوط قد أفضى في المقابل إلى زيادة وعي الأقطار العربية بضرورة التحفز لإنجاز وحدتها، في حين تبنى مستجيبون آخرون رؤية معارضة لذلك.

وتبقى إسرائيل خطراً أكبر يتهدد الوطن العربي، إذ لم تفلح الاتفاقيات التي أبرمتها بعض الأطراف العربية معها في ضمان الحقوق الكاملة لتلك الأطراف، ليس هذا فحسب؛ بل إنه ينظر إلى المشاريع المختلفة التي تحاول إعادة هيكلة العلاقات بين بلدان ما يسمى بمنطقة "الشرق الأوسط" في محاولة لإدماج إسرائيل في نسيج المنطقة بمنظار التشكك والرفض.

وتأتي العولمة لتنضاف إلى سلسلة المعوقات التي تتهدد قضية الوحدة العربية، إذ تبرز في وعي معظم المستجيبين بوصفها إحدى الصيغ المستترة لمحاولات إخضاع العالم والسيطرة عليه من القوى الرأسمالية الغربية.

وأبدى معظم المستجيبين تأييدهم لصيغة الوحدة الفيدرالية، ربما مراعاة للكيانات القطرية التي أصبحت واقعاً متجذراً تحظر الشرعية الدولية المساس بسيادته ولا يمكن

تجاهله. كما يعبر الأغلبية عن تأييدهم للهوية العربية الإسلامية بوصفها الهوية الأكثر تعبيراً عن واقع العلاقة العضوية المتينة القائمة بين الإسلام والعروبة. وردا على واقع القمع ومصادرة الحريات المهيمن على الوطن العربي، أبدى معظم المستجيبين انحيازهم الواضح لصيغة التعددية الحزبية، باعتبارها ركيزة أساسية للنظام السياسي في دولة الوحدة المنشودة، التي يرغب معظم المستجيبين في احتكامها إلى الاقتصاد الإسلامي بعد تراجع المد الاشتراكي، وتصاعد حدة الاتهامات الموجهة للنظام الرأسمالي. وانطلاقاً من رؤية عقلانية تحاول أخذ معطيات الواقع وإمكانياته بالحسبان؛ تميل الأغلبية الساحقة من المستجيبين إلى دعم الصيغة التدريجية لإنجاز الوحدة التي تتم وفق اتحادات إقليمية تضم أقطاراً متجاورة. إلا أن تلك الرؤية العقلانية سرعان ما تتراجع أمام ذهاب أغلبية المستجيبين إلى إمكان تحقق الوحدة خلال ما لا يزيد عن عشرين سنة، مع أن ملابسات الواقع الراهن ومدخلاته لا تميل إلى دعم تلك الرؤية التي قد تعبر عن مطمح لدى أولئك المستجيبين أكثر من تعبيرها عن إمكانية قابلة للتحقق الفعلي.

وعلى خلفية الآثار البالغة الضرر التي نجمت عن بعض المحاولات العنيفة بإنجاز الوحدة، التي ما تزال تلقي بظلالها الثقيلة على الواقع العربي، تأتي اتجاهات الأغلبية العظمى من قادة الرأي الأردنيين، لتدعم الأسلوب الديموقراطي القائم على اقتناع الجماهير العربية لإنجاز المشروع الوحدوي العربي. وبالاتساق مع ذلك التوجه الديموقراطي، تنحو اتجاهات معظم المستجيبين إلى إسناد مهمة إنجاز ذلك المشروع إلى تنظيمات المجتمع المدني؛ بوصفها الجهة الأقدر على تحقيقه وإنجاحه.

وختاماً، تأتي هذه الدراسة لتشكّل خطوة متواضعة، تأمل أن تعقبها دراسات أخرى تستهدف استطلاع اتجاهات شرائح اجتماعية متنوعة من مختلف الأقطار العربية، نظراً لما لمثل هذه الدراسات من أهمية قصوى في إعادة قضية الوحدة العربية إلى

بؤرة الصدارة في المشهد السياسي والفكري العربي، وتأكيد أهميتها المحورية لدى مختلف القطاعات الرسمية والجماهيرية على امتداد رقعة الوطن العربي.

الحواشي

١- ناتاليا يفريموفا وتوفيق سلوم، معجم العلوم الاجتماعية، موسكو، دار التقدم، ١٩٩٢، ص ١٩٦.

Deutsch, K., The Analysis of International Relations, NewJersy: Prentice-Hall Inc. Englewood Cliff, 1978, p.198.

٣- جان نودينو، إحدى وعشرون دولة لأمة عربية واحدة، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت، مكتبة نيسان، ١٩٩٢.

٤- كمال عبد اللطيف، مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٢.

٥- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦.

٦- ميدر الويس، المثقفون العرب والمستقبل العربي، الوحدة عدد ١٠١/١٠٢، ١٩٩٣، ص ص١٧٥-١٨٥.

٧- أحمد ثابت، مخاطر وتحديات المشروع الشرق أوسطي، مستقبل العالم الإسلامي، عدد ١، ١٩٩٥، ص ص ٧-٤٤.

٨- رسلان شرف الدين، موقع الدولة الوطنية في ظل النظام العالمي الجديد، دراسات عربية، عدد ٣/٤، ١٩٩٨، ص ص ٢-٨.

٩- يونس البطريق، الدعوة القومية في المجتمع العربي، بـــيروت، دار النهضـــة العربية، ١٩٦٨.

١٠- للوقوف على بعض أبرز الطروحات ذات التوجه القومي العربي التي تنطلـــق من مرجعيات دينية، يمكن الرجوع إلى: جمال الدين الأفغاني ومحمـــد عبـــده، العروة الوثقى والثورة التحريرية، القاهرة، دار العرب الكبرى، ١٩٥٧؛ كمـــا يمكن الرجوع إلى: عبد الرحمن الكواكبي، الأعمال الكاملة، بـــيروت، مركـــز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥؛ ويمكن العودة أيضاً إلى: شـــكيب أرســـلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟، بـــيروت، مكتبـــة الحيـــاة، ١٩٧٥. وللاطلاع على بعض أهم الكتابات التي تعبر عن الاتجاه القومـــي العلمـــاني، انظر: ساطع الحصري، حول القومية العربية، بيروت، مركز دراسات الوحـدة العربية، ١٩٨٧؛ وانظر أيضاً: أمين الريحاني، القوميات، بيروت، دار الجيـــل، ١٩٨٧؛ وانظر أيضاً: قسطنطين زريق، الأعمال الفكريـــة، بـــيروت، مركـــز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤. أما بشأن الاتجـــاه التوفيقـــي بيـــن الإســـلام والعروبة، فيمكن تتبع مقولاته الأساسية في أعمال بعض المفكرين مثل: محمـــد عمارة، الإسلام والوحدة القومية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشـــر، ١٩٧٩؛ ومحمد عابد الجابري، مسألة الهوية والعروبة والإســـلام والغـــرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥.

11- Mcluhan, M., Understanding Media: The Extentions of Man, London: Routledge and Kegan Paul, 1968.

١٢- سمير أمين، التطور اللامتكافئ: دراسة للتشـــكيلات الاجتماعيـــة للرأســـمالية المحيطية، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٤.

١٣- أحمد خليل، الخيار الوحدوي العربي في ظل النظام العالمي الجديد، الوحـــدة، عدد ٩٠، ١٩٩٢، ص ص ٨-١٥.

١٤- عبد الله عبد الدايم، القومية العربية ومستقبل النظام العالمي الجديد، شؤون عربية، عدد ٧٤، ١٩٩٢، ص ص ٢٣-٣٤.

١٥- أحمد صدقي الدجاني، الثقافة العربية والإسلامية وتحديات العولمة، الكلمة، عدد ١٨، ١٩٩٨، ص ص ١٤٢-١٤٤.

١٦- لتكوين رؤية معمقة حول انعكاسات حرب الخليج الثانية وآثارها على الوطن العربي، يمكن العودة إلى وقائع ندوة أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي، الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١.

17- Ajami. Fouad, "The Arab Inheritance," Foreign Affairs, No. 5, 1997, pp. 133-148.

١٨- للإحاطة ببعض الإسهامات التي جاءت للرد على محاولات المساس والتشكيك بالأفكار العربية ذات التوجه القومي والوحدوي، انظر: عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦؛ وانظر أيضا: حسن نافعة، القومية العربية والتفكك في الوطن العربي: رد على آراء فؤاد عجمي، المستقبل العربي، عدد ٣٥، ١٩٨٢، ص ص ٦ـ٢٣. وانظر: سمير بطرس، المحنة العربية منذ ١٩٦٧: الرد على آراء فؤاد عجمي، المستقبل العربي، عدد ٧١، ١٩٨٥، ص ص ١٤١-١٥٦؛ وانظر أيضا:

Abu Khalil, Asad, "A New Arab Ideology: The Rejuvenation of Arab Nationalism," Middle East Journal, No. 1 (Winter) 1992, pp. 22-36.

١٩- إكرام بدر الدين، التكامل في العالم العربي: طريق الوحدة؟، قضايا عربية، عدد ٥، ١٩٨٣، ص ص ٥١-٦٣.

٢٠- سعد الدين إبراهيم، اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة: دراسة ميدانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٠.

٢١- علي نصار، مستقبل الوطن العربي: جولة في هموم الحاضر وتوقعات المستقبل لدى بعض القيادات الفكرية العربية، المستقبل العربي، عدد ٨٩، ١٩٨٤، ص ص ٤-١٦.

٢٢- محمد بشوش، الوعي القومي في الأوساط الجامعية في المغرب العربي: مثال تونس، المستقبل العربي، عدد ٨٠، ١٩٨٥، ص ص ٢٢-٤٨.

٢٣- عبد الرزاق بني هاني ومحمد الشريدة، الوحدة العربية من وجهة نظر المثقفين العرب: دراسة استطلاعية، المستقبل العربي، عدد ١٦٤، ١٩٩٢، ص ص ٢٧-٣٣.

٢٤- عبد اللطيف الحناشي، موقف الأوساط العمالية في تونس من الوحدة، المستقبل العربي، عدد ١٠٥، ١٩٨٩، ص ص ٤٣-٦٧.

٢٥- نظام عساف، الأحزاب السياسية الأردنية: ١٩٨٩-١٩٩٤، عمان، مركز الريادة للدراسات والمعلومات، ١٩٩٨.

٢٦- عبد العزيز الدوري، مرجع سابق.

٢٧- تلتقي هذه النتيجة مع ما خلصت إليه نتائج دراسة كل من: سعد الدين إبراهيم، مرجع سابق؛ وعلي نصار، مرجع سابق؛ ومحمد بشوش، مرجع سابق؛ وعبد اللطيف الحناشي، مرجع سابق؛ وعبد الرزاق بني هاني ومحمد الشريدة، مرجع سابق.

٢٨- للوقوف على وجهة نظر مهمة حول طبيعة الديموقراطية السائدة في بعض الأقطار العربية، انظر:

Robinson, G, "Defensive Democratization in Jordan", International Journal of Middle East Studies, Under Review, 1998.

٢٩- انظر ملخص وقائع الندوة القومية حول الوحدة العربية في ضوء مشروع الاتحاد العربي التي انعقدت في القاهرة في آذار من عام ١٩٩٨، المستقبل العربي، عدد ٢٣٢، ١٩٩٨، ص ص ١٩٧-١٩٩.

٣٠- للوقوف على تحليل معمق للعلاقة بين الطبقات الاجتماعية المتنفذة في البلدان العربية، والأنظمة العربية الحاكمة الموالية للغرب، أنظر: حليم بركات، مرجع سابق.

٣١- تتفق هذه النتيجة مع ما خلصت إليه نتائج دراسة: السيد ياسين، تحليل مضمون الفكر القومي العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٠.

٣٢- تأتي هذه النتيجة مدعمة لرؤية ترى أن الجماهير العربية تعاني من الاغتراب وفقدان الدور والهدف، انظر: حليم بركات، مرجع سابق.

٣٣- تلتقي هذه النتيجة مع ما جاء في دراسة: السيد ياسين، مرجع سابق.

٣٤- تأتي هذه النتيجة متناغمة مع ما ذهب إليه معن بشور في بحثه حول المعوقات الذاتية لدى الوحدويين العرب، المنشور في كتاب (الوحدة العربية: تجاربها وتحدياتها)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩، ص ص ٥٢٩-٥٦٧؛ كما تتوافق مع النتائج التي خلصت إليها دراسة كل من: علي نصار، مرجع سابق؛ وعبد الرزاق بني هاني ومحمد الشريدة، مرجع سابق.

٣٥- تؤيد هذه النتيجة تحليلا قدمه شريف إبراهيم في دراسته: الوحدة العربية وإشكالية الديموقراطية، الوحدة، عدد ٩١، ١٩٩٢، ص ص ٣٨-٤٨؛ كما

تنسجم مع ما أشارت إليه نتائج دراسة كل من: سعد الدين إبراهيم، مرجع سابق؛ والسيد ياسين، مرجع سابق؛ وعلي نصار، مرجع سابق؛ وعبد اللطيف الحناشي، مرجع سابق؛ وعبد الرزاق بني هاني ومحمد الشريدة، مرجع سابق.

٣٦- تدعم النتيجة المتعلقة بالنفط ما أورده محمود عبد الفضيل في دراسته المعنونة: النفط والوحدة العربية: تأثير النفط العربي على مستقبل الوحدة والعلاقات الاقتصادية العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٧٩، ص ص ١٦ــ ١٨؛ كما تدعم أيضا النتيجة التي توصلت إليها دراسة: عبد الرزاق بني هاني ومحمد الشريدة، مرجع سابق.

٣٧- تأتي هذه النتيجة لتصب في تيار اتهام التنظيمات الإسلامية الأصولية بالتطرف والشمولية، وللوقوف على بعض مقولات هذا التيار، انظر: خلدون النقيب، في البدء كان الصراع: جدل الدين والإثنية؛ الأمة والطبقة عند العرب، لندن، دار الساقي، ١٩٩٧.

٣٨- تتفق هذه النتيجة مع ما أظهرته نتائج دراسة: غازي الصوا وخالد سليمان الموسومة بـ "الإسلاميون والتحول الديمقراطي، المقدمة للنشر في مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ١٩٩٨.

٣٩- تنسجم هذه النتيجة مع رؤية ترى في تآمر القوى الإمبريالية الغربية عائقا أساسيا من معوقات قيام الوحدة، انظر: سعدون حمادي، الغرب والوحدة العربية، دراسات عربية، عدد ١١/١٢، ١٩٩٥، ص ص ٨-٢٠؛ كما تنسجم مع ما توصلت إليه دراسة كل من: سعد الدين إبراهيم، مرجع سابق؛ والسيد ياسين، مرجع سابق؛ وعلي نصار، مرجع سابق؛ ومحمد بشوش، مرجع سابق؛ وعبد اللطيف الحناشي، مرجع سابق؛ وعبد الرزاق بني هاني ومحمد الشريدة، مرجع سابق.

٤٠- انظر نتائج استطلاع مركز الدراسات الاستراتيجية حول المفاوضات الأردنية الإسرائيلية، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤.

٤١- يلتقي توجه معظم المستجيبين نحو معارضة التطبيع مع إسرائيل مع اتجاه يرى في ذلك التطبيع خطرا جسيما يتهدد الوطن العربي، وللاطلاع على رؤية شاملة توضح مخاطر التطبيع وأهدافه ووسائله، انظر: محسن عوض، الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨، ص ص ٢١-٢٢.

٤٢- انظر: ماهر الشريف، ماذا يعني الاستقلال الثقافي في زمن العولمة، النهج، عدد ٥٠، ١٩٩٨، ص ص ٤٠-٤٩.

٤٣- انظر: حيدر علي، الثقافة والتعددية: حدود العام والخاص، النهج، عدد ٥٠، ١٩٩٨، ص ص ٦٤-٧٢.

٤٤- انظر: وقائع ندوة "نحو إطار حضاري للمجتمع العربي في القرن الحادي والعشرين، المستقبل العربي، عدد ٢٠٤، ١٩٩٥، ص ص ١٧٧-١٨٢؛ وانظر: أيضا نتائج دراسة كل من (سعد الدين إبراهيم، مرجع سابق؛ والسيد ياسين، مرجع سابق؛ ومحمد بشوش، مرجع سابق) التي تلتقي مع النتيجة التي خلصت إليها الدراسة حول الصيغة الفيدرالية.

٤٥- تنسجم هذه النتيجة مع ما أشارت إليه نتائج دراسة: السيد ياسين، مرجع سابق.

٤٦- تتماشى هذه النتيجة مع ما جاء في نتائج دراسة: السيد ياسين، مرجع سابق.

٤٧- تلتقي هذه النتيجة مع ما أوردته نتائج دراسة: السيد ياسين، مرجع سابق.

٤٨- تتفق هذه النتيجة مع ما انتهت إليه نتائج دراسة: عبد اللطيف الحناشي، مرجع سابق.

٤٩- حول الرؤى التي يحملها الغرب عن الإسلام والمسلمين، انظر: إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة البحوث العربية، ١٩٨١؛ وانظر أيضا:

Said, Edward, Representations of the Intellectual, New York: Pantheon Books, 1994.

٥٠- قد تعبر هذه النتيجة عن رؤية تناهض التنظيمات الإسلامية وترى فيها العائق الأخطر في وجه الديموقراطية في الوطن العربي، وللإحاطة ببعض أبرز ملامح تلك الرؤية، أنظر:

Dekmejian, H, Islam in Revolution (Fundamentalism in the Arab World), New York: Syracuse V. P., 1985.

٥١- تؤيد هذه النتيجة ما خلصت إليه نتائج دراسة كل من: محمد بشوش، مرجع سابق؛ وعبد اللطيف الحناشي، مرجع سابق.

٥٢- عقب انهيار المنظومة الاشتراكية، برزت إلى الساحة السياسية والفكرية الدولية بعض المقولات التي زعمت أن الرأسمالية الليبرالية قد انتصرت انتصارا حاسما ونهائيا، وأنها المرجعية السياسية والاقتصادية الأخيرة التي لا سبيل إلى تجاوزها، وللاطلاع على بعض أبرز تلك المقولات، انظر: فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة حسين الشيخ، بيروت، دار العلوم العربية، ١٩٩٣.

٥٣- انظر: شريف إبراهيم، مرجع سابق.

٥٤- تنسجم هذه النتيجة مع ما أشارت إليه نتائج دراسة: عبد اللطيف الحناشي، مرجع سابق.

٥٥- انظر نتائج دراسة: السيد ياسين، مرجع سابق.

٥٦- تتفق النتيجة المتعلقة بالصيغتين: الإقليمية والتدريجية لقيام الوحدة بصورة عامة مع ما توصلت إليه نتائج دراسة كل من: سعد الدين إبراهيم، مرجع سابق؛ وعبد اللطيف الحناشي، مرجع سابق.

٥٧- انظر نتائج دراسة كل من: سعد الدين إبراهيم، مرجع سابق؛ ومحمد بشوش، مرجع سابق.

٥٨- تؤيد هذه النتيجة ما خلصت إليه نتائج دراسة كل من: سعد الدين ابراهيم، مرجع سابق؛ وعلي نصار، مرجع سابق، وعبد اللطيف الحناشي، مرجع سابق.

٥٩- تلتقي هذه النتيجة مع ما جاء في دراسة: كمال عبد اللطيف، المثقفون المغاربة وحرب الخليج، المستقبل العربي، عدد ١٧١، ١٩٩٣، ص ص ٥٧ ــ ٦٥.

٦٠- تتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة: عبد اللطيف الحناشي، مرجع سابق.

٦١- تلتقي هذه النتيجة مع ما أشارت إليه نتائج دراسة كل من: علي نصار، مرجع سابق؛ وعبد اللطيف الحناشي، مرجع سابق.

٦٢- تنسجم هذه النتيجة مع أشارت إليه دراسة السيد ياسين، مرجع سابق.

٦٣- تتوافق هذه النتيجة مع ما خلصت إليه نتائج دراسة: محمد بشوش، مرجع سابق.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٨/٨/٢٩



مصادر الضغوط في العمل لدى المعلمين الكويتيين وغير الكويتيين في المرحلة المتوسطة

د. عويد سلطان المشعان
قسم علم النفس ــ كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الكويت

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بحث مصادر ضغوط العمل لدى المعلمين الكويتيين وغير الكويتيين في المرحلة المتوسطة، تكونت عينة الدراسة من (٧٤٥) معلماً ومعلمة بواقع (٣٧٧) من الذكور و(٣٦٨) من الإناث و(٣٦٣) من الكويتيين و(٣٨٢) من غير الكويتيين. الأدوات المستخدمة، مقياس الضغوط النفسية تأليف Fimian 1985 تعريب منصور البيلاوي (١٩٨٩)، ومقياس الضغوط المهنية للمعلمين تأليف السمادوني (١٩٩١). ومقياس غموض الدور وصراع الدور، تأليف Mcneill & Sanavely 1983، تعريب: عسكر (١٩٨٨).

وكشفت النتائج عن وجود فروق دالة إحصائياً بين المعلمين الكويتيين وغير الكويتيين في مصادر ضغوط العمل، إذ إن المعلمين الكويتيين أكثر تعرضاً لضغوط العمل من غير الكويتيين كما توجد فروق دالة إحصائياً بين المعلمين والمعلمات، إذ إن المعلمات أكثر شعوراً بضغوط العمل من المعلمين. وكذلك لا توجد فروق دالة إحصائياً في مصادر ضغوط العمل من حيث الفئة العمرية وفئات الخبرة، باستثناء الضيق المهني، إذ إن الفئة العمرية (٤٥ فأعلى) أكثر تعرضاً لضغوط العمل من الفئات العمرية الأخرى. وأما غموض الدور وصعوبات إدارة الوقت، فنجد أن الفئة العمرية (٢٥ ــ ٣٤) وفئة الخبرة من (٥ ــ ٩) أكثر تعرضاً لضغوط العمل من الفئات العمرية وفئات الخبرة الأخرى.

مقدمة:

يتعرض العاملون في المهن والأعمال المختلفة لدرجات متباينة من الضغوط المتعلقة بالعمل، ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة من بينها شعورهم بأن جهودهم في العمل غير فعالة ولا تلقى تقديراً وإثابة، ويحدد ماكلين Mclean, 1980 متغيرين أساسيين يؤديان بالعمل إلى تجاوز حدود الاحتمال، وبالتالي إلى ضغوط نفسية مرتبطة بالعمل وهما: العبء الكمي Quantitative Overload والعبء الكيفي Qualitative Overload ويرتبط العبء الكمي ارتباطاً دالاً بانخفاض تقدير الذات، وانخفاض الدافعية، والتغيب عن العمل، وعدم الرضا الوظيفي. في حين أن الضغوط الناجمة عن العبء الكيفي تنشأ حينما يكون هناك تباين في إدراك العاملين بين ما يستلزمه العمل وما يطلب منه. ويعتقد بعض الباحثين أن الضغوط النفسية أصبحت سمة من سمات العصر الحديث، حيث ينظرون إليها على أنها مرض القرن العشرين، في حين يعدها آخرون: "القاتل الصامت" The Silent Killer (العتيبي ١٩٩٧، Baron, &Greenberg,1990).

ويعد العاملون في المهن المعاونة أو في مهن الخدمات الإنسانية مثل الأطباء والممرضات والمعلمين أكثر تعرضاً للضغوط النفسية (Meichenbaum, 1991)، كما تعد مهنة التعليم أيضاً من المهن الاجتماعية الضاغطة نظراً لكثرة متطلباتها وزيادة أعبائها مسؤولياتها التي تجعل المعلمين غير راضيين عن مهنتهم وغير مطمئنين على حياتهم ومستقبلهم مما يكون له أثره السلبي في عطائهم.

ويذكر "دانهام" (Dunham, 1977) أن المعلمين أكثر تعرضاً للضغوط النفسية عن العاملين في أي مهنة أخرى، ويتفق معه كل من "ليت، وتورك" Litt &Turk, 1985) في أن المعلمين يواجهون كميات متزايدة من الضغوط في عملهم، وأن

(٧٩%) من المعلمين قرروا أن مهنة التعليم هي المصدر الأساسي للضغوط في حياتهم Main source of stress life.

ونظرا للدور الأساسي الذي يقوم به المعلم في العملية التعليمية، وإيمانا بجهده وعطائه ولما لهما من تأثير على مستوى أدائه، ولتوجيه أنظار المسؤولين للتعامل مع تلك المصادر الضاغطة، والتقليل منها لزيادة فعالية العملية التعليمية التي يعد المعلم الجانب الأساسي فيها فإن الاهتمام بتحديد مصادر الضغوط في مجال التعليم له أهمية كبيرة (انظر: السمادوني، ١٩٩١؛ Harris &Halpin, 1985).

وتشير دراسات كثيرة إلى ارتفاع الضغوط الواقعة على المعلم بشكل كبير خلال السنوات الأخيرة (انظر: Borg, 1990; Borg &Falzon; 1990, 1993; Cooper &Pane, 1991; Fimain, 1988; Boyle et al, 1995). وكشفت الدراسات المسحية عن مصادر الضغوط التي يواجهها المعلم أن هناك ما يربو على ثلث من المعلمين يرون أن مهنة التعليم مهنة ضاغطة (Boyle, el al, 1995).

وكشفت الدراسات في مهنة التدريس أن مصادر الضغوط على المعلم تتمثل في غموض الدور، وصراع الدور، والعبء المهني، ونقص المكانة الاجتماعية، وازدحام الفصول بالتلاميذ (انظر: باخوم ١٩٩١، ذكري ١٩٨٩، عبد الجواد ١٩٩٤، Awalt, 1989; Litt &Turk, 1985; Ohlendrof, 1985).

وأكدت بعض الدراسات وجود نسبة عالية من الضغوط في مجال مهنة التعليم، حيث توصل "مورفي" (Murphy, 1986) إلى أن حوالي ٨٣% من أفراد العينة التي درسها يشعرون بمستويات متوسطة إلى مرتفعة من الضغط النفسي، وكذلك أوضح "شين" Chen أن ٤٩,٤% من المعلمين يرغبون في ترك مهنة التعليم نتيجة للضغوط الواقعة عليهم، وأكد مراد وعبد الغفار (١٩٩١) على انتشار ظاهرة الإنهاك النفسي بين المعلمين والمعلمات بنسب مرتفعة تتراوح بين ٧٧% و ٨٠%. ويذكر بعض

الباحثين أن مصادر الضغوط السائدة في مهنة التعليم تتركز علـى نوعيـة العلاقـات الشخصية وبخاصة مع التلاميذ بالإضافة إلى المشرفين والزملاء (انظـر: Brenner et al, 1985).

واستخدم بعض الباحثين مفهوم "الاحتراق" Burnout للتعبير عن ظاهرة الضغـوط، على اعتبار أن دوام الضغوط وعدم التصدي لها يؤدي إلى الاحـتراق، ومـن هـذا المنطلق أصبح هناك اهتمام متزايد بقضية الاحتراق النفسي للمعلم، وقـد تولـد هـذا الاهتمام لدى معظم الدول، نظراً لأن الاحتراق النفسي يؤثر تأثيراً سلبياً في المعلميـن أنفسهم، ويضعف من كفاية مهنة التعليم والالتزام بها، مما يجعل المعلم أقـل عطـاءً وقبولاً وتفاعلاً مع تلاميذه، وهذا بالتالي يزيد من معدلات الإضرابات النفسية والبدنيـة لدى المعلمين (انظر: Chan et la, 1995; Kyriacou 1987).

ودرس الاحتراق النفسي للأفراد في مختلف المهن الخدميـة للإنسـان التـي شـملت الموظفين في منظمات العمل والمحامين ورجال الأمن والصحـة المهنيـة والنفسـية (انظر: Chan &Hui, 1995, Raquepaw &Miller, 1989). ومما سبق عرضه يمكن القول إن الاحتراق ظاهرة تحدث نتيجة دوام الضغوط والإجهاد المسـتمر ممـا يؤدي بالفرد إلى الإنهاك المزمن واعتلال صحته النفسية والبدنية.

وتهدف هذه الدراسة بشكل عام إلى تعرف مدى انتشار مصادر الضغوط لدى المعلمين الكويتيين وغير الكويتيين وبيان الفروق بين الجنسين في مصادر الضغـوط، تمـهيداً لتحديد الخطة الاستراتيجية المناسبة لمواجهة هذه الضغوط النفسية لدى المعلمين.

الإطار النظري

أن تعدد مصادر ضغوط العمل جعلت إنسان هذا العصر قلقاً سهل الاستثارة، سـريع الانفعال، ولا يقف هذا التأثير في المنزل أو في الحياة العامة بل ينتقل إلى بيئة العمـل،

الأمر الذي ينعكس على أدائه الوظيفي وعلاقاته بزملائه ورؤسائه في العمل وربما يؤثر على صحته النفسية والجسمية. كما أن ضغوط العمل ترهق كاهل الاقتصاد الوطني، وتؤدي إلى انخفاض العائد الاقتصادي في مؤسسات الدولة، وشيوع مناخ عدم الثقة والتوجس والحذر، وهذا مناخ مرضي يدفع إلى التدمير الذاتي للكيانات الإدارية وإلى مزيد من الفاقد الاقتصادي، فضلا عن فقدان الفاعلية وانخفاض مستوى الأداء الوظيفي، وضعف العائد الإنتاجي في العمل، وتقدر التكاليف التي تسببها الضغوط في العمل للاقتصاد الأمريكي وما تنفقه المنظمات في الولايات المتحدة الأمريكية على الأمراض الناجمة عن الضغوط بحوالي (٦٠ ــ ١٠٠) بليون دولار سنويا (Matteson et al, 1987).

ويعرف "زيلاجي ووالاس ١٩٨٧" ضغوط العمل بأنها تأثير داخلي يخلق حالة من عدم التوازن النفسي أو الجسمي داخل الفرد وينجم عن عوامل من البيئة الخارجية أو المنظمة أو الفرد ذاته (الطريري، ١٩٩٤) وتعرف ضغوط العمل لدى المعلم بأنها حالة من الإجهاد النفسي والبدني، تنتج عن الأحداث المزعجة Harsing Events أو من المواقف المحبطة، وهذا بدوره يصاحبه بعض الانفعالات غير السارة مثل التوتر، والإحباط والغضب (Kyriacou, 1987). كما يعرف "باخوم" (١٩٩١) ضغوط المعلم بأنها شعوره بعدم القدرة على أداء عمله بسبب ما يواجهه من أعباء زائدة فيما يقوم به من أدوار وما يواجهه من إحباط ومشكلات في البيئة المدرسية. ويعرف عبد المولى (١٩٩٣) الضغوط النفسية للمعلم بأنها ما يتعرض له المعلم من مشكلات في محيط عمله، تسبب له عدم القدرة على أداء هذا العمل بكفاية وبصورة مرضية بل يمكن أن تسبب له الأعراض المرضية أو الغياب عن العمل أو تركه. فالضغوط المهنية عبارة عن اختلال وظيفي Dysfunction في المنظمة أو في المؤسسة، هذا الاختلال يؤدي إلى انخفاض في مستوى الرضا الوظيفي، وضعف الأداء، وانخفاض مستوى الفاعلية.

مصادر الضغوط لدى المعلم:

المعلم أحد الركائز الأساسية في المنظومة التعليمية، كما أنه يعد أهلا للثقة والأمان بالنسبة للطلاب، وقادرا على تنمية نفسه وتحمل المسؤولية، لذا يجب الاهتمام بالمعلم والتعرف إلى المصادر التي تؤدي إلى زيادة الضغوط عليه، ومن المصادر التي تسهم إلى حد كبير في زيادة الضغوط على المعلم مايلي:

١. صراع الأدوار Role Conflict وينتج هذا الصراع إذا كان هناك تعارض بين متطلبات الأدوار، فعندما يتعرض الفرد لموقف يفرض عليه متطلبات متعارضة، فإنه يعاني من صراع الأدوار، فقد تتطلب وظيفة الفرد العمل لساعات طويلة والسفر لمسافات بعيدة، وقد يتعارض ذلك مع متطلبات دوره كزوج أو أب (عسكر، وعبد الله ١٩٨٨). ويحصل صراع الأدوار عندما تكون هناك متطلبات متعارضة في آن واحد تقع على الفرد سواء من رئيسه أم زميله في العمل أم المرؤوسين بحيث تتعارض مسايرة الفرد لمجموعة من التوقعات ذات الصلة بالعمل مع مسايرة مجموعة أخرى من التوقعات، مما يؤدي إلى حدوث صراع الأدوار بالنسبة لهذا الفرد. (انظر: عبد القادر والميرن ١٩٩٦).

٢. غموض الدور Role Ambiguity: وهو الافتقار إلى المعلومات التي يحتاجها الفرد لأداء دوره في المنظمة، أو عدم وضوح مسؤوليات العمل ومتطلباته، ونقص التغذية المرتدة لدى الأفراد من العمل الذي يقومون به، الأمر الذي يؤدي إلى الحيرة والإحباط وبالتالي الشعور بالضغوط (Powell &Enright, 1990). ويؤدي غموض الدور إلى زيادة التوتر وانخفاض الرضا الوظيفي وضعف الثقة بالنفس لدى الفرد، وينجم عنه كذلك مشكلات جسيمة منها ارتفاع ضغط الدم، مما يؤدي إلى التفكير في ترك العمل (انظر: عبد الجواد، ١٩٩٤). ويمكن القول إن غموض الدور عبارة عن نقص

في معرفة الواجبات والامتيازات والالتزامات المطلوبة من الفرد لكـــي يقــوم بعمله (المير، ١٩٩٥).

٣. العبء المهني Professional Overload ويعني قيــام الفــرد بمــهام لا يستطيع إنجازها في الوقت المتاح، أو أن هذه المهام تتطلب مـــهارة عاليــة لا يملكها الفرد، فقد يعاني المعلم من زيادة عبء العمل المتوقع منه مثــل: إلقــاء المحاضرات، وتحضير الدروس، والمشاركة في اللجان. ويعاني المعلم الـــذي يتحمل زيادة كبيرة في عبء العمل من مستوى مرتفع مـــن الضغــوط أو مـــا يترتب عليه من مشكلات جسمية منها: زيادة ضربات القلب وارتفـــاع ضغــط الدم. وينقسم العبء المهني إلى عبء كمي Quantitative overload ويعنـــي كثرة الأعمال المنوطة بالفرد والتي يتعين عليه إنجازها في وقت غـــير كــاف (أي العبء الكيفي)، ويحدث العبء المهني عندما يشعر الفرد بــأن المــهارات المطلوبة لإنجاز العمل على مستوى معين أكبر من قدرته، أي أن الفرد يفتقـــر إلـــى القـــدرة اللازمـــة لأداء العمـــل (انظــر: عســكر، وعبـــد الله ١٩٨٨) Hairris et al, 1985; Powell et la, 1990 ويشير عدد من الباحثين إلـــى أن الإجهاد الزائد والعبء الوظيفي من مصادر الضغوط في مهنة التعليم (عبــد الجواد، ١٩٩٤).

٤. كثرة العمل وضغوط الوقت Over work and time pressures يقـــوم بعض الناس بأعمالهم بطريقة أفضل عندما يقعون تحت ضغوط مستمرة، ولكن غالبية الناس تحتاج بالإضافة إلى الإجازات والاستراحة المعتادة فـــي أوقـــات تناول الغذاء والقهوة إلى أوقات للراحة متزامنه بين نهاية مهمة وبـــدء مهمـــة أخرى، وهو وقت لالتقاط الأنفاس للنظر حولنا، وحتى يسترخي العقل بعيدا عن العمل ليجد سبيلا لتجديد النشاط. ويمكن أن تقضى مثل هذه الأوقات في تصفــح "كتالوجات" جديدة بحثا عن قطعة لجهاز أو آلة نحتاجها، مثل ذلـــك يمكـــن أن

يلقى بنا بعيدا عن الإحساس بالضغط في مجال العمل، ومن ناحية أخرى يجعلنا نعطي أكثر في مجال عملنا بمزيد من الدقة والتفاني والموضوعية (الفرماوي وأبو سريع ١٩٩٤ وfontana, 1989). ويؤكد عدد من الباحثين (انظر: نكرى، Tanner et al, 1991) أن عدم كفاية الوقت للقيام بأعباء المهنة ومتطلباتها يؤدي إلى الضغوط، ومن ناحية أخرى فإن قلة الوقت اللازم للراحة والاسترخاء يجعل الفرد يشعر بالضيق والتوتر والضغط.

٥. الضيق المهني Vocational distress: ويحدث عندما لا يسمح للفرد المشاركة في صنع القرارات، ويؤدي بدوره إلى شعور الفرد بالضغط وإلى انخفاض الرضا الوظيفي ونقص الإنتاجية في العمل.

ويمكن القول: إنه في معظم الوقت وعند الغالبية من البشر، فإن التعبير عن الرأي يقلل من مستوى الشعور بالضغط، وكذلك فإن غالبية البشر يشعرون بالراحة عندما يرون أنفسهم مؤثرين في مجريات الأحداث، وأن ما يفعلونه (بالإضافة إلى أفكارهم) يلقى قبولا حسنا عند المسؤولين في مجال العمل. وعلى العكس من ذلك فإن الضعف أو فقد القوة، لا يضر بإحساسنا بالمكانة الاجتماعية والشخصية فقط، بل ينتج عنه مستويات عالية من الإحباط، وبخاصة عندما نكون على علم بأوجه القصور في نظام العمل الحالي، ونكون محددين للطريق الأمثل في القيام بأشياء معينة، ولكن دون ذلك، فقد نجد أنفسنا مهملين وطعما للضغوط (الفرماوي وأبو سريع، Fontana, 1989).

٦. التطور المهني Vocational Development: تعد عوائق التطور المهني أو المستقبل الوظيفي أحد مصادر ضغوط العمل، مثل الافتقار إلى فرص الترقية في المستقبل، وعوائق الطموح، وعدم التأكد من المستقبل المهني، والتغيير الوظيفي الذي يتعارض مع طموحات الفرد (عسكر وعبد الله ١٩٨٨).

ومن عوامل الضغط المرتبطة بهذا المصدر الخوف من عدم التمكن من النجاح في العمل الجديد أو الخوف من عدم التمكن من مسايرة التغيرات التكنولوجية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، فإذا لم يتمكن الفرد من هذا التوافق مع التغيرات الجديدة المصاحبة للترقية الوظيفية فإنه حتماً يشعر بالضغط، كما أن التقدم في الوظيفة يكون مصدراً للضغط بسبب الشعور بعدم الأمن النفسي أو الوظيفي أو الخوف من الفصل أو التقاعد المبكر أو الترقية غير المناسبة، كأن يرقى الفرد لوظيفة غير مناسبة له أو لا يعطى الترقية المناسبة.

ذكر لورانس (١٩٨٩) مصادر أخرى لضغوط العمل التي تسبب شعور المعلم بالضغط النفسي، منها ازدحام الفصول بالتلاميذ، وبطء الترقي الوظيفي للمعلم، وضعف المرتبات، وعدم وجود رعاية صحية مناسبة، ووجود صعوبات في تدريس بعض الطلبة المتخلفين تحصيلياً واستخفاف الإعلام بدور المعلم، وعدم وجود حجرات لائقة للمعلمين، وعدم اهتمام أولياء الأمور بمستوى أبنائهم التعليمي ومتابعتهم إهمال التلاميذ في أداء الواجبات، وعدم قيام نقابة المعلمين بالدور الذي يشعر المعلم بالأمان.

ويتضح مما سبق أن مصادر الضغوط عوامل بيئية تقع على الفرد وتسبب له ضيقاً وتوتراً مما يشعره بالضغوط، ولذلك من آثاره السلبية على الوظائف الفيزيولوجية والعضوية والحالة النفسية لدى الفرد. ولكن لا يمكن النظر إلى الضغوط بصفة عامة على أنها أمر سيئ وكما يقول "سيلي" (Sely, 1976) أن يكون المرء من دون ضغوط فهذا يعني الموت، لأن وجود مستوى معين من الضغوط أمر ضروري لأنها تعد دافعاً وحافزاً يساعد الفرد على تحسين أدائه في العمل، ولذا يفرق بعض الباحثين مثل (Armacost 1990) وكذلك (Powell et la, 1990) (Meichenbaum, 1991) بين مستويين للضغوط هما الضغط من منظور سلبي، ويطلق عليه الضيق Distress وهو صورة مدمرة للضغوط، وتؤدي إلى اختلال

وظيفي في تكيف الكائن، وكذلك اختلال في الاستجابة المعرفية السلوكية ــ النفســـية، الأمر الذي يؤدي إلى ضعف الأداء.

أما المستوى الآخر: الضغوط من منظور إيجابي Eustress فتعد دافعاً أو حافزاً يدفــع الفرد نحو الأداء الأفضل، وتساعده على الإبداع، وتنمية الثقة بالنفس، ويشير هـــؤلاء الباحثون إلى أن الضغوط تصبح أكثر خطراً عندما تطول مدتها، وتركز علــــى أحــد الأعضاء الأساسية في الجسم. وكما يذكر Powel et la, 1990 أننا أصبحنا في قــرن الضغوط النفسية والأزمات، حيث تشير الإحصائيات الحديثة أن ٨٠% من أمـــراض العصر مثل النوبات القلبية وارتفاع ضغط الدم والصداع وقرحــة المعــدة والقولــون وغيرها تكون بدايتها الضغوط النفسية.

الدراسات السابقة:

أصبح موضوع الضغوط التي يواجهها المعلم في مهنة التدريس يشغل اهتماماً بارزاً للباحثين في مجال علم النفس والتربية، ومن هنا يجب تحديد مصادر ضغوط العمل المرتبطة بمهنة التدريس نظراً للدور الذي يقوم به المعلم في المنظومة التعليمية، وقد حاولت بعض الدراسات السابقة التعرف على مصادر الضغوط المرتبطة بمهنة التدريس:

وكشفت دراسة (سميلانسكي) على عينة مكونة من ٣٦ معلمة من المدارس الابتدائية، أن مصادر الضغوط النفسية هي الزملاء والتلاميذ واتجاهات أولياء الأمور نحو المعلمين.

أما دراسة "فاربر ١٩٨٩" على عينة مكونة من ٣٦٥ من المعلمين بواقع ٢٣٦ معلمة و١٢٩ معلماً فقد أوضحت أن مشكلات النظام داخل الفصل والعبء المهني من المصادر الأساسية لضغوط العمل، كما أن المعلمين في الفئة العمرية من (٢١ ـــ ٤٥) أكثر تعرضاً للضغوط من الفئة العمرية (٤٥ ـــ ٦٢)، كما أن ٧٣% من أفراد العينة غير راضين عن دخلهم المادي، ويعد ذلك من مصادر الضغوط النفسية (عبد الجواد،١٩٩٤).

وقام "ليت وتورك" (Litt &Turk, 1985) بدراسة على عينة مكونة من ٣٦٠ معلماً بالتعليم الثانوي، وأسفرت النتائج عن أن مصادر الضغوط في مهنة التدريس ترجع إلى عدم كفاية الأجور، وانخفاض الحالة الاجتماعية، وسلوك التلاميذ المشكل. أما إدراك المعلم لدوره، ووضوح الدور، والمناخ الدراسي الجيد، ومشاركة الإدارة في حل المشكلات فكانت من العوامل الهامة التي تساعد على خفض الضغوط لدى المعلمين.

وأجرى "بلاس" (Blasé, 1984) دراسته على عينة مكونة من ٣٩٢ معلماً وكشفت دراسته أن من مصادر الضغوط لدى المعلم الضغوط التي ترتبط بطبيعة المهمة التي يؤديها هذا المعلم، وضغوط ترتبط بخصائص الطلاب، وضغوط ترتبط بالمناخ المدرسي.

أما دراسة (كوبر وزملائه Cooper et la, 1993) على عينة مكونة من ٢٦٣٨ من المدرسين الأوائل في المملكة المتحدة، فقد كشفت عن عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في درجة الشعور بالضغوط النفسية في المرحلة الابتدائية، في حين أظهرت المعلمات في المراحل الأعلى ارتفاعاً في مستوى الضغوط النفسية عن زملائهم من الذكور.

وقام "هاريس" وآخرون (Harris et la, 1985) بدراسته على عينة مكونة من ١٣٠ معلماً بالمرحلة الإعدادية من الريف والحضر، بواقع ٩٧ معلمة و٣٣ معلماً، وكشفت النتائج أن زيادة العبء الوظيفي في العمل، وزيادة ساعات العمل تؤدي إلى ارتفاع مستوى الضغوط، وأن المعلمين قليلي الخبرة أكثر تعرضاً للضغوط من الأكثر خبرة، كما أن المعلمين الحاصلين على مؤهل تربوي أقل تعرضاً للضغوط من غير الحاصلين على مؤهل تربوي، ويتفق مع هذه الدراسة كل من (Dua, 1994; Friedman, 1999; Okobukola et al, 1989)

وكشفت نتائج ذكري (١٩٨٩) التي أجريت على عينة مكونة من ٥٤١ معلما ومعلمة بواقع ٢٢١ معلما، و٣٢٠ معلمة أن مصادر الضغوط لدى المعلم كالتالي:

كثافة الفصول وإزدحام حجرات الدراسة، ومشكلات النمو المهني للمعلم، والمشكلات المتعلقة بالتلاميذ، والمشكلات المتعلقة بأولياء الأمور، والمشكلات التنظيمية والإدارية. كما أن المعلمين الأصغر سنا والأقل خبرة في مجال مهنة التدريس كانوا أكثر شعورا بضغوط العمل. وأجرى الفرماوي (١٩٩٠) دراسته على ١٧٥ معلما،

وأسفرت الدراسة عن عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في مستوى الضغوط، كما أظهرت فروق دالة إحصائيا بين المعلمين المعارين وغير المعارين، حيث إن المعلمين غير المعارين يشعرون بمستوى مرتفع من الضغوط.

وقام كل من عبد المقصود وطاحون (١٩٩٣) بدراستهما على عينة مكونة من ٣٩٠ معلما ومعلمة في كل من مصر والسعودية، وأظهرت النتائج أن الضغوط النفسية لدى المعلمين السعوديين غير التربويين كانت أكبر من الضغوط النفسية لدى المعلمين المصريين غير التربويين، كما توصلت الدراسة إلى أن المعلمين المصريين أكثر شعورا بالضغوط من المعلمات المصريات، ولكن المعلمات السعوديات كن أكثر شعورا بالضغوط من المعلمين السعوديين، وأنه كما زادت عدد سنوات الخبرة قلت الضغوط النفسية عند كل من المعلمين السعوديين والمصريين.

وقام "بخيت" (١٩٩٤) بدراسته على عينة من ٢٧٥ معلما ومعلمة بواقع ١٤٢ معلما و١٣٣ معلمة، وكشفت نتائج الدراسة أن المعلمين الذين لديهم سنوات خبرة من ١ــ٦عام كانوا أكثر شعورا بالضغوط من المعلمين في فئات الخبرة من ٧ــ١٥ عام أو ١٦ عام فأكثر كما بينت الدراسة بأنه لا توجد فروق بين الذكور والإناث في الدرجة الكلية للضغوط النفسية.

أما دراسة عيسى (١٩٩٦) على عينة قوامها ١٣٩ معلما ومعلمة فأشارت نتائجها إلى أنه لا توجد فروق في مستوى التأزم النفسي للمعلمين يمكن إرجاعها إلى (الجنس أو العمر الزمني أو سنوات الخبرة أو المنطقة التعليمية).

وكشفت دراسة عسكر وعبد الله (١٩٨٨) على عينة قوامها ٣٥٣ من العاملين في مهنة التدريس هذه من أكثر المهن تعرضا للضغوط، كما بينت النتائج أن فئة الخبرة من (٥ ــ ٩ عاما) أكثر تعرضا للضغوط من الفئات الأخرى، كما كانت الإناث أكثر تعرضا للضغوط مقارنة بالذكور في مهنة الخدمة الاجتماعية،وكان المتزوجون أكثر

تعرضا للضغوط من غير المتزوجين وبخاصة في مهنتي التمريض والخدمة الاجتماعية.

وأجرت الخثيلة (١٩٩٧) دراستها على عينة مكونة من ١٣٤ من الموظفين وأعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود، وأظهرت نتائج الدراسة أن هناك ستة عوامل استخلصت من التحليل العاملي تعد مصادر للضغوط في العمل وهي (الدور الوظيفي، وصعوبة العمل اليومي، والأعباء الإدارية، والعلاقة مع الرؤساء، والعلاقة بين الإداريين والأكادميين، وشؤون الطلاب. ويتفق مع هذه النتائج دراسات أخرى (أنظر: (Borg, et al, Dua, 1994

وأجرى باخوم (١٩٩١) دراسته على المعلمين في المرحلة الثانوية بمحافظة المنيا وأشارت النتائج إلى أنه لاتوجد فروق في الضغوط النفسية بين المعلمين والمعلمات، كما لاتوجد فروق بين المتزوجين وغير المتزوجين.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف على مصادر الضغوط في العمل وتقدير مدى شدتها لدى المعلمين الكويتيين والمعلمين غير الكويتيين، ونفصل أهداف الدراسة فيمايلي:

١ـ التعرف إلى الفروق بين الذكور والإناث في الضغوط.

٢ـ التعرف إلى الفروق بين الكويتيين وغير الكويتيين في ضغوط العمل.

٣ـ التعرف إلى الفروق بين المتزوجين وغير المتزوجين في ضغوط العمل.

٤ـ التعرف إلى الفروق في ضغوط العمل من حيث العمر الزمني والخبرة والمستوى التعليمي.

فروض الدراسة:

١ــ توجد فروق بين المعلمين والمعلمات في مصادر ضغوط العمل.

٢ــ توجد فروق بين المعلمين الكويتيين والمعلمين غير الكويتيين في مصادر ضغوط العمل.

٣ــ توجد فروق في مصادر ضغوط العمل لدى المعلمين من حيث العمر الزمني والخبرة.

٤ــ توجد فروق في مصادر ضغوط العمل لدى المعلمين من حيث المستوى التعليمي والحالة الاجتماعية.

منهج الدراسة:

أــ العينة

تكونت عينة الدراسة من (٧٤٥) معلما ومعلمة، بواقع ٣٧٧ من الذكور و٣٦٨ من الإناث، منهم ٣٦٣ من الكويتيين، ٣٨٢ من غير الكويتيين، وقد اختيرت عينة قصدية من عدد من المدارس المتوسطة البنين والبنات بالمحافظات الخمس لدولة الكويت، وهم من المعلمين الكويتيين وغير الكويتيين، وتتراوح أعمارهم بين ٢٥، ٥٠ عاما.

ب ــ أدوات الدراسة:

أولا: مقياس مصادر الضغوط المشتق من مقياس الضغوط النفسية إعداد "فيميان ١٩٨٥"، تعريب منصور والبيلاوي (١٩٨٩) ويشتمل مقياس الضغوط النفسية على مقياسين فرعيين هما مصادر الضغوط النفسية والمظاهر الانفعالية للضغوط (٤٩عبارة). وقد استخدم الباحث المقياس الفرعي الخاص بمصادر الضغوط ويتكون من ٢٦عبارة، يجيب المفحوص عن كل منها باختيار واحد من

الاختيارات الخمسة التالية: نادراً(١)، أبداً(٢)، أحياناً(٣) ، غالباً(٤) دائمــــاً(٥).
وقد اشتمل المقياس على مصادر الضغوط النفســـية الآتيـــة: العـــبء المـــهني (٣،٤،٤٤،٢،١،٦). التطور المهني (٩،١٠،١٢،٧،٨،١٤،١٥) الضيق المـــهني (١٣، ١١، ١٦، ٢١، ٢٠، ١٧، ١٨، ١٩) صعوبـــــات إدارة الوقـــــت (٤٦، ٤٣، ٥، ٤٧،٤٩).

قام معربا المقياس بحساب صدق المقياس بطريقتين الأولى الصدق العاملي والثانية الصدق التلازمي.

ففي الصدق العاملي: قام الباحثان بتحليل عاملي لمصفوفة معاملات الارتباط بيـــن بنود المقياس المطبق على (٦٨٠) معلماً بالتعليم الإعدادي والثانوي فـــي مصـــر، وذلك باستخدام طريقة المكونات الأساسية (هوتلنج)، ثم التدوير المتعامد (طريقـــة الفاريماكس لكايزر)، وقد أسفرت نتائج هذا التحليل عن استخلاص سبعة عوامـــل لمقياس الضغوط النفسية.

وفيما يختص بالصدق التلازمي فقد استخدم الباحثان مقياس كورنل للاضطرابـــات السيكوسوماتية من وضع (آرثر وايدر وآخرون)، ومن تعريب (محمد عماد الديـــن وآخرون ١٩٧٦)، محكاً لمقياس الضغوط النفسية. وقد طبق المقياسان على عينـــة تتألف من (٨٠) معلماً بالمرحلتين الإعدادية والثانوية، وكانت معاملات الارتبـــاط بين مصادر الضغوط النفسية ومقياس الصحة النفســـية (٠،٣٤٨،٠،٦٤٣)، وهـــي موجبة ودالة عند مستوى ٠،٠١ وتشير إلى صدق مقياس الضغوط النفسية.

وتحقق كاتب هذه السطور من صدق المقياس باستخدام طريقة الصدق التلازمـــي لحساب معامل الارتباط بين مقياس الضغوط النفســـية إعـــداد "فيميـــان" تعريـــب منصور، البيلاوي، ومقياس الاضطرابات السيكوسوماتية إعـــداد فيـــيرا، بـــولا، جومز، (Vieira, Paula, Gomes, 1994) ومـــن تعريـــب عويـــد المشـــعان

(١٩٩٥). وطبق على عينة قوامها (٨٥) معلما ومعلمة وكان معامل الارتباط ٠,٧٦ وهو دال عند مستوى ٠,٠١ ويشير إلى الصدق التلازمي المرتفع للمقياس.

قام منصور والبيلاوي (١٩٨٩) بحساب معامل الثبات بطريقة إعادة الاختبار، وكان معامل الارتباط هو (٠,٧٤٣) بين درجات أفراد العينة في التطبيقين الأول والثاني وهو معامل ثبات مقبول.

كما قام الباحث الحالي بحساب معامل الثبات باستخدام معامل "ألفا" على عينة البحث وكانت معاملات الثبات لمصادر الضغوط كما يلي: العبء المهني ٠,٧٥٦، والضيق المهني ٠,٦٧٤ والتطور المهني ٠,٦٩٣، صعوبات إدارة الوقت ٠,٧٢٣، وتشير إلى ثبات مقبول.

ثانيا: مقياس الضغوط المهنية للمعلمين، من إعداد السمادوني (١٩٩١)، ويتكون المقياس من (٥٤) فقرة، وقد اختار الباحث مصدر علاقة المعلمين بزملائهم الذي يتكون من (١١) فقرة.

وقد قام معد المقياس بحساب صدق المقياس بطريقتين، الأولى صدق المحتوى في دراسته عام (١٩٨٩) بحساب معاملات الارتباط بين درجة كل مفردة من مفردات المقياس والدرجة الكلية على عينة تكونت من (٥٧) معلما ومعلمة، وقد تراوحت معاملات الارتباط بين (٠,٢٧٣ ، ٠,٥١٩)، وكانت جميعها دالة إحصائيا عند مستوى ٠,٠٥ ، ٠,٠١ والثانية صدق التكوين فقد استخدم مقياس الضغوط المهنية إعداد السمادوني (١٩٩١) ومقياس القلق السمة والحالة لسبيلبرجر تعريب أحمد عبد الخالق والمقياس الفرعي للعصابية المشتق من قائمة أيزنك للشخصية من تعريب جابر عبد الحميد ومحمد فخر الإسلام، وطبق على عينة تكون من ٢٨٠ معلما ومعلمة، وكانت قيم معاملات الارتباط كالآتي:

سمة القلق ٠,٤٩٩، حالة القلق ٠,٣٧٦، العصابية ٠,٣٦٨ وكانت جميعها دالة عند مستوى ٠,٠١ وقد استخدم المقياس في دراسات سابقة (انظر: ١٩٩٠"أ"، ١٩٩٠"ب") (السمادوني ١٩٩١).

وتحقق الباحث الحالي من صدق هذا المقياس بأستخدام طريقة الصدق المرتبط بمحك لحساب معامل الارتباط بين مقياس الضغوط النفسية (منصور والبيلاوي، ١٩٨٩) وطبق على عينة قوامها (٨٥) معلما ومعلمة وكان معامل الارتباط ٠,٧١٥ وهو دال إحصائيا ويشير إلى الصدق التلازمي المرتفع.

قام معد المقياس الباحث بحساب معامل الثبات بطريقة إعادة الاختبار، ووصلت معاملات الثبات إلى (٠,٦٢١ ، ٠,٨٥٥) أما معامل الثبات عندما استخدمت طريقة التجزئة النصفية لمقياس الضغوط المهنية بعد تصحيح الطول بمعادلة " سبيرمان – براون" فكان ٠,٧٤٧ وهو معامل مقبول. وقام "السمادوني" بحساب معامل الثبات بطريقة ألفا وكانت قيم معاملات الثبات (٠,٦٩ ، ٠,٧٩) وجميعها دالة إحصائيا عند مستوى ٠,٠١.

وقام الباحث الحالي بحساب معامل الثبات لمقياس مصادر الضغوط المهنية باستخدام "ألفا" على عينة البحث زوكان معامل الثبات ٠,٧٩٦ وهو مرتفع، مما يجعل الأمر مطمئنا لاستخدامه على البيئة الكويتية.

ثالثا: مقياس غموض الدور وصراع الدور، من تأليف McNeill & Sanavely 1983 ومن تعريب عسكر (١٩٨٨). ويتكون المقياس من (٦) عبارات، ويجيب المفحوص عن كل منها بوضع علامة في الخانة المناسبة من بين الاختبارات الخمسة التالية: نادرا (١)، أبدا (٢) أحيانا (٣) غالبا (٤) دائما (٥). وقد اعتمد عسكر (١٩٨٨) على صدق المقياس وثباته في صورته الأجنبية.

صدق المقياس:

وقام الباحث الحالي بحساب الصدق التلازمي من أجل حساب معامل الارتباط بين مقياس غموض الدور وصراع الدور (McNeill et al, 1983) (عسكر، ١٩٨٨) ومقياس الضغوط النفسية (منصور والبيلاوي ١٩٨٩) كمحك للمقارنة بين المقياسين وقد طبق المقياس على عينة مكونة من (٨٥) معلماً ومعلمة وكان معامل الارتباط ٠,٧٨٩ وهو دال إحصائياً، ويشير إلى الصدق التلازمي المرتفع.

وقام "عسكر" ، ١٩٨٨ بحساب الاتساق الداخلي للمقياس عن طريق معامل الارتباط بين كل عبارة للمقياس والدرجة الكلية، وكانت معاملات الارتباط تتراوح بين (٠,١٨٥، ٠,٦٨٣) وهي معاملات دالة إحصائياً.

وقام الباحث الحالي بحساب معامل الثبات لمقياس غموض الدور وصراع الدور، باستخدام معامل "ألفا" على عينة البحث وكان معامل الثبات لغموض الدور ٠,٨١، ومعامل الثبات لصراع الدور ٠,٨٣ مما يجعل الأمر مطمئناً لاستخدامه على البيئة الكويتية.

النتائج

جدول (١)

يبين المتوسطات (م) والانحرافات المعيارية (ع) قيمة "ت" لمتغيرات البحث حسب الجنسية

مصادر الضغوط	الجنسية				قيمة "ت"	مستوى الدلالة
	الكويتيين		غير الكويتيين			
	م	ع	م	ع		
العبء المهني	١٥,٦٧	٤,٧٣	١٤,٥٩	٤,٦٩	٢,٩٤	٠,٠٠٣
التطور المهني	٢٠,٣٥	٦,٩١	١٨,١٧	٦,٧٢	٤,٣٣	٠,٠٠٠
الضيق المهني	١٩,٥١	٦,٨٣	١٨,٦٠	٧,١٩	١,٧٦	غير دال
علاقة المعلمين بزملائهم	٢٩,١٢	٨,٥٥	٢٩,١٣	٨,٠٩	٠,٠٢	غير دال
غموض الدور	٦,٠٦	٣,١٣	٤,٨٧	٢,٥٧	٥,٣٥	٠,٠٠٠
صراع الدور	٦,١٣	٣,٢٤	٥,٣٧	٣,٠٢	٣,٢٩	٠,٠٠١
صعوبات إدارة الوقت	٢٠,٥١	٥,٤٧	١٨,٣٤	٥,٠٥	٥,٥٨	٠,٠٠٠

تتمة الجدول (١)

يبين المتوسطات (م) والانحرافات المعيارية (ع) قيمة "ت" لمتغيرات البحث حسب الجنس

مصادر الضغوط	الجنس				قيمة "ت"	مستوى الدلالة
	الذكور		الإناث			
	م	ع	م	ع		
العبء المهني	١٤,٤٤	٩,٧٦	١٥,٨٢	٤,٥٨	٤,٤	٠,٠٠٠
التطور المهني	١٨,٧٢	٦,٩١	١٩,٧٣٦	٦,٨٠	٢,٠٤	٠,٠٤
الضيق المهني	١٨,٩٧	٧,٢٧	١٩,٠٨	٦,٧٤	٠,٢٢	غير دال
علاقة المعلمين بزملائهم	١٩,١٦	٨,٢٠	١٩,١٣	٨,٤٧	٠,١٥	غير دال
غموض الدور	٥,٣٤	٢,٩٥	٥,٥٦	٢,٩٠	١,٠٠	غير دال
صراع الدور	٥,٧٩	٣,٢٦	٥,٧٢	٣,٠٥	٠,٢٦	غير دال
صعوبات إدارة الوقت	١٨,١٩	٥,٢٥	٢٠,٢٩	٥,٢٥	٦,٥٠	٠,٠٠٠

وبالنظر إلى الجدول (١) يتضح أنه توجد فروق بين الكويتيين وغير الكويتيين في مصادر الضغوط التالية: والعبء المهني، والتطور المهني، وغموض الدور وصراع الدور، وصعوبات إدارة الوقت، وبالرجوع إلى المتوسطات نجد أن متوسط الكويتيين أعلى من متوسط غير الكويتيين في هذه المقاييس وهذا يعني أن الكويتين أكثر تعرضاً للضغط من غير الكويتيين فيما يختص بمصادر الضغوط الخاصة بالعبء المهني والتطور المهني وغموض الدور وصراع الدور وصعوبات إدارة الوقت.

أما من حيث الجنس: توجد فروق بين الذكور والإناث في مصادر الضغوط التالية: العبء المهني والتطور المهني وصعوبات إدارة الوقت، وبالرجوع إلى المتوسطات نجد أن متوسط الإناث أعلى من متوسط الذكور، وهذا يعني أن الإناث أكثر تعرضاً للضغوط الخاصة بكل من: العبء المهني والتطور المهني وصعوبات إدارة الوقت من الذكور.

جدول (٢)

المتوسطات (م) والانحرافات المعيارية (ع) وقيمة "ت" حسب فئات العمر لمتغيرات البحث

مصادر الضغوط	فئات العمر	ن	م	ع	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
العبء المهني	٢٥ ـ ٣٤	١٩٧	١٥,٢٤	٤,٦٤	٠,٥٠	غير دال
	٣٥ ـ ٤٤	٣٧٨	١٥,٠٤	٤,٥٨		
	٢٥ ـ ٣٤	١٩٧	١٥,٢٤	٤,٦٤	٠,٢٧	غير دال
	٤٥ فأكثر	١٥٩	١٥,٣٨	٥,٠٩		
	٣٥ ـ ٤٤	٣٧٨	١٥,٠٤	٤,٥٨	٠.٧٧	غير دال
	٤٥ فأكثر	١٥٩	١٥,٣٨	٥,٠٩		
التطور المهني	٢٥ ـ ٣٤	١٩٧	١٩,٢٤	٦,٥٧	١,٢٨	غير دال
	٣٥ ـ ٤٤	٣٧٨	١٩,٠٨	٦,٨٤		
	٢٥ ـ ٤٤	١٩٧	١٩,٢٤	٦,٢٧	١,٠٦	غير دال
	٤٥ فأكثر	١٥٩	١٩,٠٦	٧,٣٧		
	٣٥ ـ ٤٤	٣٧٨	١٩,٠٨	٦,٨٤	٠,٠٤	غير دال
	٤٥ فأكثر	١٥٩	١٩,٠٦	٧,٣٧		
الضيق المهني	٢٥ ـ ٣٤	١٩٧	١٩,٢٤	٧,١٥	١,٠٥	غير دال
	٣٥ ـ ٤٤	٣٧٨	١٨,٦١	٦,٧٣		
	٢٥ ـ ٤٤	١٩٧	١٩,٢٤	٧,١٥	٠,٩١	غير دال
	٤٥ فأكثر	١٥٥	١٩,٩٦	٧,٦٥		
	٣٥ ـ ٤٤	٣٧٨	١٨,٦١	٦,٣٧	٢,٠٤	٠,٠٤
	٤٥ فأكثر	١٥٩	١٩,٩٦	٧,٦٥		
علاقة المعلمين بزملائهم	٢٥ ـ ٣٤	١٩٧	٢٩,٩٤	٨,٥٢	١,٠٠	غير دال
	٣٥ ـ ٤٤	٢٧٨	٢٩,٢١	٨,١٦		
	٢٥ ـ ٣٤	١٩٧	٢٩,٩٤	٨,٥٢	١,٧٧	غير دال
	٤٥ فأكثر	١٥٩	٢٨,٣٤	٨,٤٥		
	٣٥ ـ ٤٤	٣٧٨	١٩,٢١	٨,١٦	١,١٢	غير دال
	٤٥ فأكثر	١٥٩	٢٨,٣٤	٨,٤٥		

تتمة الجدول (٢)

المتوسطات (م) والانحرافات المعيارية (ع) وقيمة "ت" حسب فئات العمر لمتغيرات البحث

مصادر الضغوط	فئات العمر	ن	م	ع	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
غموض الدور	٢٥ ــ ٣٤	١٩٧	٦,٢٥	٣,٢١	٤,٠١	غير دال
	٣٥ ــ ٤٤	٣٧٨	٥,٢٤	٢,٦٧		
	٢٥ ــ ٣٤	١٩٧	٦,١٥	٣,٢١	٣,٧٥	غير دال
	٤٥ فأكثر	١٥٩	٥,٠١	٣,٠٣		
	٣٥ ــ ٤٤	٣٧٨	٥,٢٤	٢,٦٧	٠,٨٨	غير دال
	٤٥ فأكثر	١٥٩	٥,٠١	٣,٠٣		
صراع الأدوار	٢٥ ــ ٣٤	١٩٧	٦,١٠	٣,٣١	١,٧٠	غير دال
	٣٥ ــ ٤٤	٣٧٨	٥,٦٣	٣,٦٣		
	٢٥ ــ ٣٤	١٩٧	٦,١٠	٣,٣١	١,٣٨	غير دال
	٤٥ فأكثر	١٥٩	٥,٦١	٣,٢٨		
	٣٥ ــ ٤٤	٣٧٨	٥,٦٣	٣,٠٣	٠,٠٦	غير دال
	٤٥ فأكثر	١٥٩	٥,٦٢	٣,٢٨		
صعوبات إدارة الوقت	٢٥ ــ ٣٤	١٩٧	٢٠,٦١	٥,٣٩	*٣,١١	٠,٠٠٢
	٣٥ ــ ٤٤	٣٧٨	١٩,١٣	٥,٤٧		
	٢٥ ــ ٣٤	١٩٧	٢٠,٦١	٥,٣٩	*٣,٣٥	٠,٠٠١
	٤٥ فأكثر	١٥٩	١٨,٧٤	٥,١٢		
	٣٥ ــ ٤٤	٣٧٨	١٩,١٣	٥,٤٦	٠,٧٦	غير دال
	٤٥ فأكثر	١٥٩	١٨,٧٤	٥,١٢		

تتمة الجدول (٢)

المتوسطات (م) والانحرافات المعيارية (ع) وقيمة "ت" حسب الخبرة لمتغيرات البحث

مصادر الضغوط	الخبرة	ن	م	ع	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
العبء المهني	٥ ـ ٩	٢٨٢	١٥,٠٦	٤,٥٨	٠,٥١	غير دال
	١٠ ـ ١٩	١٥,٢	٤,٦٤			
	٥ ـ ٩	٢٨٢	١٥,٠٦	٤,٥٨	٠,٥٥	غير دال
	٢٠ فأكثر	١٩٨	١٥,٣٠	٤,٨٠		
	١٠ ـ ١٩	٢١٦	١٥,٢٧	٤,٦٤	٠,٠٥	غير دال
	٢٠ فأكثر	١٩٨	١٥,٣٠	٤,٨٠		
التطور المهني	٥ ـ ٩	٢٨٢	١٩,٢٥	٦,٤٢	٠,٨٤	غير دال
	١٠ ـ ١٩	٢١٦	١٩,٧٥	٦,٩٢		
	٥ ـ ٩	٢٨٢	١٩,٢٥	٦,٤٦	٠,٤٠	غير دال
	٢٠ فأكثر	١٩٨	١٩,٠٠	٧,٣٨		
	١٠ ـ ١٩	٢١٦	١٩,٧٢	٦,٩٢	١,٠٧	غير دال
	٢٠ فأكثر	١٩٨	١٩,٠٠	٧,٣٨		
الضيق المهني	٥ ـ ٩	٢٨٢	١٨,٩٤	٦,٩٧	٠,٦٩	غير دال
	١٠ ـ ١٩	٢١٦	١٩,٣٩	٧,٢٩		
	٥ ـ ٩	٢٨٢	١٨,٩٤	٦,٩٧	٠,١٥	غير دال
	٢٠ فأكثر	١٩٨	١٩,٠٤	٦,٨٨		
	١٠ ـ ١٩	٢١٦	١٩,٣٩	٧,٢٩	٠,٥٠	٠,٠٤
	٢٠ فأكثر	١٩٨	١٩,٠٤	١,٨٨		
علاقة المعلمين بزملائهم	٥ ـ ٩	٢٨٢	٢٩,٨٩	٨,٤٧	١,٥٩	غير دال
	١٠ ـ ١٩	٢١٦	٢٨,٧١	٧,٨٩		
	٥ ـ ٩	٢٨٢	٢٩,٨٩	٨.٤٧	١,٤٣	غير دال
	٢٠ فأكثر	١٩٨	٢٨,٧٨	٨,٣٢		
	١٠ ـ ١٩	٢١٦	٨,٧١	٧,٨٩	٠,٠٩	غير دال
	٢٠ فأكثر	١٩٨	٢٨,٧٨	٨,٣٢		

تتمة الجدول (٢)

المتوسطات (م) والانحرافات المعيارية (ع) وقيمة "ت" حسب الخبرة لمتغيرات البحث

مصادر الضغوط	الخبرة	ن	م	ع	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
غموض الدور	٥ ــ ٩	٢٨٢	٥,٩٦	٣,٠٩	٢,١٤	٠,٠٣
	١٠ ــ ١٩	٢١٦	٥,٤٠	٢,٧٤		
	٥ ــ ٩	٢٨٢	٥,٩٥	٣,٠٩	٤,٢٧	٠,٠٠٠
	٢٠ فأكثر	١٩٨	٤,٨١	٢,٧٦		
	١٠ ــ ١٩	٢١٦	٥,٤٠	٢,٧٤	٢,١٨	٠,٠٣
	٢٠ فأكثر	١٩٨	٤,٨١	٢,٧٦		
صراع الأدوار	٥ ــ ٩	٢٨٢	٦,١٠	٣,٢٣	١,٢٩	غير دال
	١٠ ــ ١٩	٢١٩	٥,٧٢	٣.١٥		
	٥ ــ ٩	٢٨٢	٦,١٠	٣,٢٣	١,٦٧	غير دال
	٢٠ فأكثر	١٩٨	٥,٦٠	٣,١٣		
	١٠ ــ ١٩	٢١٦	٥,٧٢	٣,١٥	٠,٣٩	غير دال
	٢٠ فأكثر	١٩٨	٥,٦٠	٣,١٣		
صعوبات إدارة الوقت	٥ ــ ٩	٢٨٢	٢٠,٠٣	٥,٣٤	١,٢٣	غير دال
	١٠ ــ ١٩	٢١٦	١٩,٤٣	٥,٤٢		
	٥ ــ ٩	٢٨٢	٢٠,٠٣	٥,٣٤	٢,٢٩	٢,٠٢
	٢٠ فأكثر	١٩٨	١٨,٨٩	٥,٣٢		
	١٠ ــ ١٩	٢١٦	١٩,٤٣	٥,٤٢	١,٠١	غير دال
	٢٠ فأكثر	١٩٨	١٨,٨٩	٥,٣٢		

يتضح من الجدول (٢) انه توجد فروق بين فئة العمر(٢٥ ــ ٤٤) وبين فئة العمر (٤٥ فأكبر) بالنسبة لمصدر ضغط الضيق المهني، وبالرجوع إلى المتوسطات نجد أن متوسط فئة العمر (٤٥ فأكثر) يشعرون بمستوى ضغط أعلى من فئة العمر(٣٥ــ٤٤)، كما يتضح من جدول (٢) أنه توجد فروق بين فئة العمر (٢٥ــ٣٤) وفئة العمر (٣٥ ــ ٤٤) وبين فئة العمر (٢٥ ــ ٣٤) وفئة العمر (٤٥ فأكثر)، وبالرجوع إلى المتوسطات نجد أن فئة العمر (٢٥ ــ ٣٤) أعلى من متوسطات فئات

العمر(٣٥_٤٤) وفئة العمر (٤٥ فأكثر) وهذا يعني أن فئة العمر (٢٥ _٣٤) أكثر تعرضا للضغوط في مصدر غموض الدور.

يتضح منم جدول (٢) أنه توجد فروق بين فئات العمر (٢٥ _ ٣٤) وفئة العمر(٣٥_٤٤) وبين فئات العمر (٢٥ _ ٣٤) وفئة العمر (٤٥ فأكثر) بالنسبة لصعوبات إدارة الوقت وبالرجوع إلى المتوسطات نجد أن متوسط فئة العمر(٢٥_٣٤) أعلى من متوسطات فئات العمر (٣٥ _ ٤٤) وفئة العمر (٤٥فأكثر) وهذا يعني أن المفحوصين في فئة العمر (٢٥ _ ٣٤) يشعرون بمستوى ضغط أعلى من فئتي العمر (٢٥ _ ٤٤) و٤٥ فأكثر في مصدر صعوبات إدارة الوقت.

أما من حيث الخبرة، فيتضح من جدول (٢) أنه توجد فروق بين فئة الخبرة (٥ _ ٩) وفئة الخبرة (١٠ _ ١٩)، وبالرجوع إلى المتوسطات نجد أن متوسط فئة الخبرة(٥_٩) أعلى من متوسط فئة الخبرة (١٠ _ ١٩) وفئة الخبرة (٢٠ فأكثر)، وهذا يعني أن فئة الخبرة (٥ _ ٩) أكثر تعرضا للضغط من فئتي الخبرة (١٠_ ١٩) ، (٢٠فأكثر) في مصدر غموض الدور، وكذلك توجد فروق بين فئة الخبرة(١٠_١٩) وفئة الخبرة (٢٠ فأكثر)، وبالرجوع إلى المتوسطات نجد أن متوسط فئة الخبرة(١٠_١٩) أعلى من متوسط فئة الخبرة (٢٠ فأكثر)، وهذا يعني أن فئة الخبرة(١٠ _١٩) أكثر تعرضا للضغط من فئة (٢٠ فأكثر) في مصدر غموض الدور، وكما توجد فروق بين فئة الخبرة (٥ _ ٩) وفئة (٢٠ فأكثر) وبالرجوع إلى المتوسطات نجد أن متوسط فئة الخبرة (٥ _ ٩) أعلى من متوسط فئة الخبرة(٢٠فأكثر)، وهذا يعني أن فئة الخبرة (٥ _ ٩) أكثر تعرضا للضغط في صعوبات إدارة الوقت من فئة الخبرة (٢٠ فأكثر).

الجدول(٣)

يبين المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" حسب الحالة الاجتماعية لمتغيرات البحث

مصادر الضغوط	الحالة الاجتماعية				قيمة "ت"	مستوى الدلالة
	المتزوجين		غير المتزوجين			
	م	ع	م	ع		
العبء المهني	١٥,١٥	٩,٦٩	١٥,٠٦	٥,١١	٠,١٧	غير دال
التطور المهني	١٩,٣٣	٦,٩٠	١٩,٤	٦,٩٠	٠,٤٢	غير دال
الضيق المهني	١٩,١٠	٧,٠٣	١٨,٩٣	٧,١١	٠,٢٤	غير دال
علاقة المعلمين بزملائهم	٢٩,٢٧	٨,١٩	٢٩,١٢	٩,١٣	٠,١٥	غير دال
غموض الدور	٥,٤٣	٢,٩٣	٥,٦٥	٢,٦٥	٠,٧٣	غير دال
صراع الدور	٥,٦٩	٣,٠٩	٦,٠٩	٣,٤٥	١,١٦	غير دال
صعوبات إدارة الوقت	١٩,٤٢	٥.٢٣	١٩,٧٩	٦,١٨	١,٦٩	غير دال

تتمة الجدول (٣)

يبين المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" حسب المستوى التعليمي لمتغيرات البحث

مصادر الضغوط	المستوى التعليمي				قيمة "ت"	مستوى الدلالة
	دبلوم فأقل		جامعي فأكثر			
	م	ع	م	ع		
العبء المهني	١٤,٦٣	٤,٧٧	١٥,١٧	٤,٧٠	٠,٧٦	غير دال
التطور المهني	١٩,٩٣	٧,٠١	١٩,٢٠	٦,٨٩	٠,٧٠	غير دال
الضيق المهني	١٩,٢٨	٦,٧٨	١٩,٣	٧,٠٤	٠,٢٣	غير دال
علاقة المعلمين بزملائهم	٣١,٣٥	٨,٥٨	٢٩,٠٣	٨,٣١	١,٧٨	غير دال
غموض الدور	٥,٦٣	٣,٢٣	٢٥,٤٤	٢,٩٢	٠,٤٤	غير دال
صراع الدور	٦,٠٠	٣,٣١	٥,٧٦	٣,١٥	٠,٤٩	غير دال
صعوبات إدارة الوقت	١٩,٢٠	٥,٨١	١٩,٤٧	٥,٣٧	٠,٣٤	غير دال

وبالنظر إلى جدول (٣) يتضح أنه لاتوجد فروق بين المتزوجين وغير المتزوجين في مصادر ضغوط العمل، وكذلك لاتوجد فروق من حيث المستوى التعليمي في مصادر ضغوط العمل.

جدول (٤)

العوامل المستخرجة من عينة البحث والجذر الكامن والنسبة المئوية للتباين

المتغيرات	العامل الأول	العامل الثاني
العبء المهني	٠,١٧٨	٠,٨٥٣١
التطور المهني	٠,٤٧٦٥	٠,٥٩٥٧
الضيق المهني	٠,٦٤٩٣	٠,٤٣٢٧
علاقة المعلمين بزملائهم	٠,٣٤٧١	٠,٤٠٣٦
غموض الدور	٠,٨١٨٣	٠,١٦٩٥
صراع الأدوار	٠,٨٣٢٧	٠,٠٦٦٩
صعوبات إدارة الوقت	٠,٢٥٢٤	٠,٧٤٢٦
الجذر الكامن	٢,١٩	٢,٠١٧
النسبة المئوية للتباين	٣١,٣٧	٢٨,٨٢٠

ويبين الجدول (٤) العاملين المستخرجين من عينة البحث، وقد استوعب العاملان ٦٠,١٩% من التباين لدى عينة البحث وهي نسبة مرتفعة وقد تشبع على العامل الأول تشبعا مرتفعا متغيرات: غموض الدور وصراع الأدوار ويمكن أن يسمى على هذا العامل (عامل صراع الأدوار وغموضها) وقد تشبع العامل الثاني متغيرات: العبء المهني، وصعوبات إدارة الوقت والتطور المهني ويمكن أن نطلق على هذا العامل (عامل زيادة الأعباء المرتبطة بالوقت).

مناقشة النتائج

أكدت نتائج هذه الدراسة الفرض الأول الذي بدأت به، وينص على أنه توجد فروق دالة إحصائيا بين المعلمين الكويتيين والمعلمين غير الكويتيين في مصادر ضغوط العمل باستثناء الضيق المهني وعلاقة المعلمين بزملائهم حيث إن المعلمين الكويتيين أكثر تعرضا لضغوط العمل من المعلمين غير الكويتيين كما يبين جدول (١)، وقد يرجع السبب في أن المعلمين الكويتيين **أكثر** شعورا بالضغوط في العمل إلى كثرة

المواقف الضاغطة التي يتعرض لها المعلمون الكويتيون وبخاصة من الناحية المادية التي تعد من العوامل الضاغطة في مهنة التدريس في العصر الحاضر، كما أن مهنة التدريس من المهن الاجتماعية الضاغطة نظراً لكثرة متطلباتها وزيادة أعبائها ومسؤولياتها التي جعلت المعلمين الكويتيين محجمين عنها غير راضين عن عملهم فيها، مما يكون له أثره السلبي في عطائهم. وربما أكد ذلك عوامل أخرى مثل: عدم إعطاء فرص الترقي والتطور الوظيفي، وعدم المشاركة في اتخاذ القرارات، وعدم الشعور بالأمن المادي، وعدم تحقيق الوظيفة للطموحات الشخصية، وعدم تحقيق العدالة والمساواة بين المعلمين، وعدم الشعور بعدالة تقويم الأداء، كل هذه العوامل مجتمعة أسهمت في خلق بيئة العمل الضاغطة على المعلمين الكويتيين أكثر من المعلمين غير الكويتيين، كما قد يطلب من المعلمين القيام بمهام ومسؤوليات لايستطيعون إنجازها في الوقت المتاح مما يجعله أكثر عرضة للضغوط المهنية والإحباط وصراع الأدوار. وقد كشفت الدراسات المسحية عن مصادر الضغوط التي يواجهها المعلم أن ما يربو على ثلث المعلمين يرون أن مهنة التدريس مهنة ضاغطة (انظر: ;Boyle et al, 1995)

ويؤكد "دانهام"(Dunham, 1977) أن المعلمين أكثر تعرضاً للضغوط النفسية من العاملين في أي مهنة أخرى، ويتفق معه (انظر: Meichenbaum, 1991; Litt & Turk, 1985) إن عدم إعطاء المعلمين الاستقلالية والحرية والتنوع في العمل يزيد من معدلات الضغوط في العمل.

وكشفت نتائج هذه الدراسة بالنسبة للفرض الثاني أنه توجد فروق بين المعلمين والمعلمات في مصادر ضغوط العمل، حيث إن المعلمات أكثر شعوراً بالضغوط من المعلمين كما يبين الجدول (١)، وقد يرجع السبب في ذلك إلى ما تضطلع به المعلمات من المسؤوليات العديدة، وما تقمن به من أعباء ومهام ومتطلبات العمل بجانب مسؤولياتهن بوصفهن زوجات وأمهات في المنزل، مما قد يؤدي إلى أن تصبح غير

قادرة على التوفيق بين مسئولياتها كزوجة وكموظفة، هذا التعارض بين متطلبات الدور ترتب عليه زيادة في ضغوط العمل على المعلمات أكثر من المعلمين. وقد يرجع السبب كذلك إلى أن الذكور أكثر تحملاً للإحباط وأكثر قدرة على مواجهة المواقف الضاغطة والصدمات النفسية من الإناث، وقد أكدت أبحاث "باروش" وزملاؤه (Baruch et al, 1987) على أن عمل المرأة ودورها كزوجة وأم يؤدي إلى صراع الأدوار الذي يعرض المرأة إلى كثير من الضغوط في العمل، مما يؤدي إلى الاضطرابات النفسية وتزداد ضغوط العمل كذلك عندما تطالب المعلمات بتحقيق كثير من متطلبات الحياة، فضلاً عن الواجبات الكثيرة الملقاة على عاتقهن في العمل، والمسؤوليات والمهام والمتطلبات الكثيرة التي يحملنها تجاه الزوج والأبناء والأصدقاء.

وكشفت نتائج هذه الدراسة بالنسبة للفرض الثالث أنه لاتوجد فروق بين مصادر ضغوط العمل حسب فئات العمر وفئات الخبرة كما يوضح جدول (٢) باستثناء الضيق المهني، حيث ظهر أن الفئة العمرية (٤٥ عاماً فأكثر) أكثر تعرضاً لضغوطات العمل من الفئات الأخرى، وربما يرجع ذلك إلى زيادة أعباء العمل وزيادة المسؤوليات والمتطلبات الأسرية في هذه الفئة العمرية مما يمكن أن يزيد من الضغوط الواقعة على الفرد.

أما غموض الدور وصعوبات إدارة الوقت فأوضحت النتائج أن الفئة العمرية من(٢٥ــ ٣٤)، وفئة الخبرة من (٥ ــ ٩) أكثر تعرضاً لضغوط العمل، حيث إن المعلمين في هذا العمر والخبرة لم يأخذوا التأهيل التربوي الكافي نظراً لصغر سنهم وقلة خبراتهم المهنية، وتتفق مع هذه النتيجة دراسات سابقة (انظر: عبد المقصود،عسكر وعبد الله ١٩٨٨، ذكري ١٩٨٩ عبد المقصود وطاحون ١٩٩٣، Harris et al, 1985, 1991 Okobukola, et al, 1989; Dau 1994.

ويؤكد "بين" وزملاؤه (Payne et al, 1987) أن المعلمين الأقل خبرة والأقل إعداداً من حيث البرامج التربوية، أكثر شعوراً بالضغوط الناجمة عن مشكلات الطلاب، ولكن كلما ازداد عدد سنوات الخبرة انخفض مستوى الشعور بالضغوط.

وكشفت نتائج هذه الدراسة فيما يتعلق بالفرض الرابع أنه لا توجد فروق بين الحاصلين على الدبلوم وأقل، والجامعيين، وبين المتزوجين وغير المتزوجين في مصادر ضغوط العمل كما يوضح الجدول (٣). ويمكن أن يفسر ذلك بأن بيئة العمل، وظروف العمل المادية، ونظام الأجور والحوافز وفرص الترقي، والمؤهلات العلمية ونوع العمل، والمهام والمسؤوليات والواجبات التي يكلف بها متشابهة بين أصحاب هذه المستويات المختلفة في المؤهل الدراسي، لذا اختفت الفروق بينهم.

وكشفت الدراسات في مهنة التدريس أن مصادر ضغوط المعلم تتمثل في غموض الدور، وصراع الأدوار، والعبء المهني، ونقص المكانة الاجتماعية، وازدحام الفصول بالتلاميذ (انظر: باخوم ١٩٩١، ذكري ١٩٨٩، عبد الجواد ١٩٩٢) (Awalt, 1989 Litt &Turk,1985, Ohlendrof, 1985).

ويؤكد "ماتسون" وزملاؤه (Mattson, et la, 1987) أن الضغوط تؤثر في صحة الفرد وفي مستوى أداءه كما أنها تؤثر في انخفاض قدرته على مواجهة تحديات المهنة، ومن ثم فلا بد من مواصلة البحوث بشأن تحديد مصادر هذه الضغوط النفسية على المعلمين بوصفهم مجموعة مهنية ذات أهمية كبيرة في المجتمع، ومن ثم وضع طرائق للتخفيف من هذه الضغوط.

التوصيات والمقترحات

وبناءً على ما تمخضت عنه الدراسة من نتائج، تولد لدى الباحث التوصيات التالية:

١. إصلاح وضع المعلم مادياً حتى يستطيع الإيفاء بمتطلباته الحياتية، ومن ناحية أخرى يستطيع أن يبذل كل جهده في رفع مستوى تلاميذه بدلاً من إعطاء الدروس الخصوصية.

٢. ضرورة الاهتمام بالمعلم مهنياً ورعايته صحياً ونفسياً واجتماعياً.

٣. الاهتمام بمكانة المعلم الاجتماعية، وإبراز دوره المهني من خلال وسائل الإعلام.

٤. زيادة مهارات المعلم العملية للرفع من كفاءته في أداء العمل، واكتساب هذه المهارات يقلل من الضغوط في العمل.

٥. زيادة مهارات التفاعل الوجداني في العمل، وذلك عن طريق التغذية الراجعة التي ترفع من معنويات المعلمين وتزيد من صلابتهم النفسية في مواجهة الضغوط في العمل.

٦. ينبغي إعداد دورات وبرامج تدريبية للمعلمين في كيفية التعامل مع الضغوط التي تعوق العمل وتبصيرهم بالطرائق والأساليب العلمية للتغلب على الضغوط.

٧. السعي إلى توفير اختصاصيين نفسيين متخصصين من أجل مساعدة التلاميذ على حل مشكلاتهم وتعديل السلوك غير السوي لدى بعض التلاميذ حيث تخفف الأعباء الوظيفية عن المعلمين.

ومن خلال النظرة العملية للدراسة الحالية، تولد لدى الباحث مقترحات لأبحاث مستقبلية من أهمها:

١ ـ الضغوط المهنية لدى المعلمين وعلاقتها بالاضرابات السيكوسوماتية.

٢ ـ أثر الضغوط المهنية على الكفاية الإنتاجية لدى المعلمين.

٣ ــ دراسة مقارنة في الضغوط المهنية لدى المعلمين في المرحلة المتوسطة والثانوية.

٤ ــ علاقة ضغوط العمل بالتفاؤل لدى المعلّمين.

المراجع

- باخوم، رأفت (١٩٩١) الضغوط النفسية لمعلمي التعليم الثانوي العام والفني. بمحافظة المنية. مجلة البحث بالتربية وعلم النفس، كلية التربية جامعة طنطا، (٤) مج (٤)، ٢٦١ ــ ٢٨٤.
- بخيت، محمد (١٩٩٤) الضغوط النفسية وعلاقتها بتقدير الذات. رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية، جامعة عين شمس.
- الخثيلة، هند، ماجد (١٩٩٧) مصادر ضغوط العمل كما يدركها العاملون في التعليم الجامعي، مجلة جامعة الملك سعود، م٩، العلوم التربوية والإسلامية (١) ص ص ٨٥ ــ ١١٢.
- ذكري، لورانس (١٩٨٩) ضغوط العمل لدى معلمي مرحلة التعليم الأساسي، مصادرها والانفعالات النفسية السلبية المصاحبة لها. القاهرة المركز القومي للبحوث التربوية.
- السمادوني، السيد ابراهيم (١٩٩١) مقياس الضغوط المهنية للمعلمين كراسة التعليمات، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الطريري عبد الرحمن بن سليمان (١٩٩٤) الضغط النفسي، مطابع شركة الصفحات الذهبية المحدودة، الرياض، الطبعة الأولى.

- عبد الجواد، وفاء، محمد (١٩٩٤) فعالية برنامج إرشادي في خفض الضغوط لدى عينة من المعلمين. رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة عين شمس.
- عبد القادر، حسن، والمير، عبد الرحيم (١٩٩٦) اختبار العلاقة بين صراع الدور وغموض الدور والرضا الوظيفي والصفات الديموجرافية للمهنيين العاملين في مجال الحاسوب في الملكة العربية السعودية، المجلة العربية للعلوم الإدارية، المجلد الثالث، العدد الثاني، ص ص ٢٢٣ ــ ٢٢٥.
- عبد المولى، جمال صديق (١٩٩٣) دراسة مقارنة بين المعلمين خريجي النظامين التكاملي والتتابعي في ضوء متغيرات الشعور بالرضا والاتجاه نحو المهنة والشعور بالضغط وأداء تلاميذهم. رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة المنيا.
- عبد المقصود، هانم، وطاحون، حسين (١٩٩٣) الضغوط النفسية للمعلمين وعلاقتها ببعض المتغيرات (دراسة عبر ثقافية بكل من مصر والسعودية) مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، ع(١٧) الجزء الثاني، ٢٩٥ ــ ٣٣٣.
- العتيبي، آدم غازي (١٩٩٧) علاقة ضغوط العمل بالاضرابات السيكوسوماتية والغياب الوظيفي في دولة الكويت. مجلة العلوم الاجتماعية المجلد٢٥ العدد٢ ص ص ١٧٧ ــ ٢٠٧.
- عسكر، علي، وعبد الله، أحمد (١٩٨٨) مدى تعرض العاملين لضغوط العمل في بعض المهن الاجتماعية. مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ١٦، العدد الرابع ص ص ٦٥ ــ ٨٨.

- عيسى، محمد، رفقي (١٩٩٦) مصادر التأزم النفسي لدى معلمي اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية بالكويت وعلاقتها ببعض متغيرات الشخصية. مجلة الإرشاد النفسي العدد الخامس، السنة الرابعة ص ص ١٤٧ ــ ١٩٩٣.
- الفرماوي، حمدي، علي (١٩٩٠) مستوى ضغط المعلم وعلاقته ببعض المتغيرات، المؤتمر السنوي الثاني للطفل المصري، تنشئته ورعايته، ٤٢٧ــ٤٥١.
- الفرماوي، حمدي، وأبو سريع، رضا (١٩٩٤) الضغوط النفسية، تغلب عليها وابدأ الحياة، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية.
- مراد، صلاح، وعبد الغفار، أنور (١٩٩١) الإنهاك النفسي وعلاقته بالجنس والتخصص والخبرة التدريسية لمعلمي المرحلة الإعدادية. مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، مجلد (٢) العدد (١٥) ص ص ٣٤٠ ــ ٣٧١.
- منصور، طلعت، الببلاوي وفيولا (١٩٨٩) قائمة الضغوط النفسية للمعلمين. كراسة التعليمات. القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية.
- المير، عبد الرحيم علي (١٩٩٥) العلاقة بين ضغوط العمل وبين الولاء التنظيمي والأداء والرضا الوظيفي، والصفات الشخصية. دراسة مقارنة. الإدارة العامة، مجلد ٣٥ العدد الثاني ص ص ٢٠٧ ــ ٢٥٢.

المراجع الأجنبية

- Armacost, R.L. (1990). High School Student Stress and the Role of counselors. The School Counselor, 38, 105 – 113.
- Await, M.K (1989): Principal's Influence on the Stress of the Elementary, Teacher. Diss-Abst. Inter., 49,8,2031 (A).
- Baron, R & Greenberg, J (1990) Behavior in organization: Understanding and managing the human side of Work. Boston: Allen and Bacon.
- Baurch, G. et al, (1990). "Women and gender in research on work and family stress", American Psychologist. Vol. (42). 220-222.
- Borg, M. G. & Riding, R. (1993) Teacher stress and Cognitive style. British Journal o Educational Psychology, 63, 271-286.
- Borg, M. G. (1990). Occupational stress in British educational settings: a review. Educational Psychology, 10, 103-126.
- Borg, M. G. & Falzon, J.M (1990). Coping actions used by Maltese primary school teachers. Educational Research, 32,50 - 58.
- Borg, M. G. & Fakzib, J. M. (1993). Occupational stress among Maltese school teachers. Collected Papers, University of Malta (PP 93-131).
- Boyle, G, J., Borg, M., Falzon, J& Baglioni, Jr. (1995) A structural model of the dimensions of teacher stress. British Journal of Educational Psychology, 65, 49-67.

- Blase, J (1984). Asocial Psychological grounded theory of teacher stress and burnout. Educational Administration Quarterly, 28 (4), 93-113.
- Brenner, S., Dag, & Wallius, (1985) The stress chain: A longitudinal Confirmatory study of teacher stress, coping and Social Support, Journal of occupational Psychology, the British Psychological Society, pp. 1-10.
- Chan, D,& Hui, E. (1995) Burnout and coping among Chinese Secondary School teachers in Hong Kong. British Journal of Educational Psychology, 65, 15-25.
- Cooper, C. & Kelly, M. (1993) Occupational stresses in head teacher: A national U.K. Study. British Journal of Educational Psychology, 369 130-143.
- Cooper, C.L. and Payne, R. (1991). Personality and Stress: Individual Differences in the Stress Process. Chichester, John Wiley & Sons.
- Dua, J,K (1994) Job stresses and their effects on Physical Health, Emotional Health and Job satisfaction in a University, Journal of Educational Administration, 32, No,1, 59-78.
- Dunham, J. (1977) The effect of disruptive behavior teacher Educational Review, 31 - 36.
- Fimian, M. (1988) The alpha and split- half reliability of The Teacher Stress Inventory. Psychology in the Schools 25, 110-1.18.
- Fontana, D. (1989) Managing stress. Published by The British Psychology Society and Routledg ltd.

- Friedman, I. A. (1991). High and Low-Burnout schools: School culture aspects of teacher burnout. Journal of Educational Research, 84, 6, 325 - 333.
- Harris, K., Halpin, G.R Halpin, G. (1985) Teacher characteristics and stress. Journal o Educational Research 78, 6, 346-350.
- Kyriacou, C (1987) Teacher stress and burnout: An International Review. Educational Research, 29, 2, 111-121
- Lilt, M., & Turk, D. (1985) Sources of stress and Dissatisfaction in Experienced high school teachers. Journal of Educational Research, 78, 178, 185.
- Matteson, M & Ivancevich, f (1987) Controlling works stress Jossey - Bass London.
- Mclean, A. (1980) occupational psychiatry, In. H.I. Kaplan, A.M. Freedman & B.J. Sadock Comprehensive textbook of psychiatry. 3rded Vol. 3, Baltimore: William & Wilkins pp,15-25.
- Mc Neill and W. snavely, (1983) "Job - Related Stresses: A Scale Analysis". Paper Presented at the Midwest Academy of Management Convection.
- Meichenbaum, D.H. (1991) Coping with stress, New York. Plenum Press.
- Murphy, N. (1986) Analysis of the relationship of gender and School teachers: An Interview study. Journal of Educational Research, 29, 57- 71.
- Ohlendorf V.A. (1985). An Analysis of selected Factors contributing to stress Among High school tracheas in madison and st. clair counties in illinois. Diss. Abs. Ant, 45, 12, 3487 - 3488 (A).

- Okebukola, P.A., & Jegede, O.J.(1989). Determinants of occupational Stress Among Teachers in Nigeria Educational Studies, 15,1, 23-36.
- Payne, M.A. & Furnham, A (1987) Dimensions of occupational Stress in West Indian secondary school teachers, British Journal of Educational Psychology, 57, 141-150.
- Powell, T & Enright,s. (1990) Anxiety and stress management, New York. Routledge.
- Requepaw, J.M. & Miller, R.S. (1989). Psychotherapist bumout: a componential analysis. Professional Psychology: Research and Practice 20, 32-36.
- Selye, H. (1976) Stress in Health and diseare Boston, Butterworth.
- Tanner, C. K., schnittjer, C.J & Athins, T.T. (1991): Effects of the use Management strategies on stress levels of High school principals in the united states, Educational Administration Quarterly, 27, 2, 203 - 224.
- Vieira, & Paula Gomes (1994) A study of occupational stresses in retail staff. Aph. D, dissertation, unpublished, University of surrey Faculty of science, UK.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩/٥/١٩٩٨



تطور بنوك المعلومات العمرانية في فرنسة

د. فيصل قماش
قسم الجغرافية ـــ كلية الآداب
جامعة دمشق

ملخص

هذه المقالة تبين تطور بنوك المعلومات العمرانية في فرنسة وتبرز مراحل تطوير قاعدة البيانات وتخزين العمليات العمرانية وطرائق الاستفادة منها.

وفي هذه المقالة نتعرف إلى تعدد وظائف بنوك المعلومات العمرانية والمحاولات التي تمت في العديد من المدن الفرنسية لتطوير بنوك المعلومات في مراحل زمنية مختلفة وذلك بإشراف مجالس المدن والتقنيين والمعنيين العاملين في مجال بنوك المعلومات العمرانية التي أصبحت تتوضع في المدن والبلديات على اختلاف أحجامها في عموم الأراضي الفرنسية؟

ـــ العبارات المتكررة في النص أو الكلمة المفتاح:

بنوك معطيات عمرانية، قاعدة بيانات، توضع المعطيات المحلية، المحيط الجغرافي، بطاقات ترقيم إداري، بطاقات إحصائية، معطيات جغرافية، نظام معلومات جغرافي، تخطيط عمراني.

مقدمة:

في نهاية الستينيات، بدأت بنوك المعطيات العمرانية الفرنسية بالظهور وكانت في تلك الفترة مرتبطة بنظام إعلامي، ومعينة بجمع معلومات عن المعطيات العمرانية المتوافرة مسبقاً في البلديات والإدارات المحلية ومجالس المدن. وكانت غاية تلك البنوك هي جمع المعطيات المتعلقة في الجوانب العمرانية والخدمية فقط، ووضعها تحت تصرف العاملين والمستفيدين منها بشكل مباشر من خلال نظام استعلامي، والنظام الاستعلاماتي نفسه كان مكوناً من قاعدة تخزين معلومات ونظام معالجة فقط[1].

أولاً- باريس تشهد قيام أول بنك معطيات عمرانية في أوروبة:

كانت باريس المدينة الأوروبية الأولى التي شهدت قيام أول بنك معطيات عمرانية منذ بداية عام ١٩٦٩م.، وكانت تشرف عليه وتديره ورشة العمل الباريسية لتنظيم وتخطيط المدن ويحتوي على معلومات وبطاقات متعلقة بحركة البناء، وواقع السكن حسب الأحياء، والأنشطة البشرية بالإضافة إلى الخدمات العمرانية المأخوذة من مصادر مختلفة منها: نتائج التعددات السكانية، وبطاقات ترخيص إنشاء المؤسسات الإنتاجية والإنشاءات الصناعية والتجارية والخدمية وبطاقات تفصيلية عن المرافق العامة والخدمات المتوافرة في مراكز البلديات التابعة لمدينة باريس.

لقد كانت الغاية الأساسية لمثل هذه الأنظمة المعلوماتية هي جمع المعلومات والمعطيات المتناثرة والممكن جمعها من مختلف القطاعات العمرانية والخدمية في

---

[1] MM- COGMET, Demeestre "Dumaine, Mercadal: "les banques de données urbaines" Tecnique de la planification urbaine, centre d'études et de récherche sur l'aménagement urbain, 1971. Paris.

مراكز البلديات والوصول إلى معرفة حقيقية عن العوامل والأمور المطلوب معرفتها بأقصر زمن وبأقل جهد ممكنين.

بالإضافة إلى أن مهمة البنوك كانت تجميع المعلومات وتخزينها فقد كانت لها مهمة المراقبة والتوجيه وإعطاء المعلومات المطلوبة وحتى في بعض الأحيان عن طريق تقاطع المعطيات المتوافرة له دون البحث عن معلومات ومعطيات جديدة وبالإضافة إلى ذلك فإن مهمة بنوك المعطيات العمرانية في تلك الفترة كانت تزويد الجهات المعنية بالمعطيات الكمية الضرورية وإبراز واقع التخطيط الحضري حسب واقع القانون الضريبي والأنظمة العقارية لعام ١٩٦٧.

إن قلق المخططين وخبراء الإحصاء والمعنيين الإداريين والموظفين كان يتزايد من أجل معرفة الكثير من الواقع العمراني والخدمي والبشري في مدينة باريس من أجل تقويم نتائج الموجة العمرانية التي بدأت مع بداية الأعوام الستين وشملت أنحاء المدينة كافة[٢].

ومن جهتها فإن جريدة اللوموند في عددها الصادر في ١٩ كانون الأول لعام ١٩٦٩ ألحت على ضرورة إجراء دراسات تمهيدية تبين واقع إشغال الأراضي في مدينة باريس ومن أجل ذلك فإن خبراء ورشة العمل الباريسية لتنظيم المدن وتخطيطها نفذوا دراسة ميدانية تحليلية غطت القسم الأعظم من المخطط التنظيمي والإداري للمدينة وشملت ١٢٠,٠٠٠ وحدة إدارية صغيرة (حارة) و٥٠٠٠ وحدة سكنية و ٨٠ حياً سكنياً، وكانت تلك بداية ظهور بنوك المعطيات العمرانية.

---

2 Conterbution du CETE et de la division informatique et application de gestion du STU, systém d'information pour la planification urbaine, STU 1997, Paris.

Banques de données urbaines [٣] وسنرمز لها في البحث باختصار "B.D.U."
وحيث أصبح بإمكان تلك البنوك الإجابة عن كل تساؤلات الخبراء والمهتمين بالحركة العمراني والخدمية المتعلقة في مدينة باريس. في عام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ كانت مراكز مقاطعات وبلديات أخرى مثل مرسيليا. ليون، وتولوز، قد بدأت بتشكيل بنوك المعطيات العمرانية على غرار تلك التي تم إنشائها في باريس وذلك لمعرفة مقاييس نمو الحركة العمرانية الحضرية وقدرة الخدمات على تأدية خدماتها أمام زيادة عدد السكان المتنامية وتعدد حاجاتهم ومتطلباتهم المتزايدة يوماً بعد يوم. وقد تولت المجالس البلدية لتلك المدن مهمة إدارة تلك البنوك وتوجيهها. ومن جهة أخرى فإن العمل كان يجري بشكل سريع من أجل برمجة أنشطة الوزارات والمؤسسات والمنظمات ومشاريعها كافة من أجل إدخالها في أنظمة المعلومات، ووضعها تحت تصرف الباحثين والجهات المعنية بذلك.

في عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣، بدأت المديرية العامة للضرائب باستخدام المعلوماتية، وباشرت بوضع مخططات وفهارس أبجدية للشوارع الرئيسة والفرعية والأحياء السكنية في المدن الفرنسية كافة.

في عام ١٩٧٣ قامت وزارات: الإنشاءات، المالية، المرافق العامة والخدمات .. .. بإنشاء الفهرس الجغرافي وأنشأت خرائط توضع الأحياء السكنية وبينت حدودها الجغرافية والإدارية المتطابقة مع الشوارع والطرقات[٤] وفي الوقت نفسه برمجت الإدارة العامة للضرائب أجزاء من معطياتها العمرانية المأخوذة من السجلات العقارية

---

[3] DE BARRIN.J, "l'ordinateur au service de l'aménageur" Paris devient la premiére ville européenne à dispaser d'une banque de données en urbaines, le monde, 19 – 12. 1969, Paris.

4 STU, Catalogue des principales source d'information en aménagement et urbanisme, S.T.U. 1978, Paris.

المعتمدة على عمليات مسح الأراضي وتحديدها وتحريرها وطبقت ذلك على مدن: باريس، ليون، سانتيان، حسب نظام سيرين "SIRENE"[٥].

في السنوات ١٩٧٣ـ١٩٧٥ وعلى أثر النمو السكاني والعمراني السريع الذي عرفته المدن الفرنسية كافة. اتجهت النية لدى مجالس المدن والبلديات إلى ضرورة إجراء دراسات شاملة لمعالجة ظواهر النمو العمراني السريع وللمساكن الشاغرة ومعالجة أزمة المواصلات الداخلية الناتجة عن الزيادة الهائلة في أعداد السيارات التي تتحرك في شوارع المدن يومياً وما يقابلها في الزيادة الكبيرة في استهلاك الطاقة من جهة وتلوث البيئة من جهة ثانية.

إن القفزة العمرانية الكبيرة التي عرفتها المدن الفرنسية أدت إلى تراكم كمي كبير في كميات المعطيات العمرانية والخدمية، ولم يكن في حينه بالإمكان تجميعها وتخزينها وتصنيفها سواء حسب نسبة التشابه أو حسب نسبة التجانس لتلك المعطيات. وبنفس الوقت كان من الصعب جداً إنشاء علاقة بين المعطيات الإحصائية من جهة والأشكال البيانية للمساحات وعنصر الظواهر المدروسة من جهة ثانية.

في هذه الفترة ومن أجل التغلب على هذه الصعوبات التقنية كانت مدن باريس، مرسيليا، ليل، مونبلييه، بوردو تدرس كيفية تطبيق الشروط المناسبة لإجراء مخططات المسح الطبوغرافي للأحياء والشوارع في المدن المذكورة وفق مقاييس ١,٢٠٠٠ أو ١,٥٠٠ واحتاجت تلك المدن إلى حوالي ١٠ سنوات لوضع تلك المسوحات قيد التنفيذ ولم يتم استخدام تلك التقنيات إلا مع بداية عام ١٩٨٠[٦].

[5] SIRENE: Systéme informatique pour le reparatoire des éntreprises et des établissments.

[6] FOURNILLIER. J. M. "Problématique des villes françases en matiére de banques de données urbaines" act du séminaire CNIG, 22-23, Novembre 1989.

وعلى أثر ذلك فإن التوسع في استخدام المعلوماتية والتقدم التقني المسحي والبياني قد سمح ومنذ بداية عام ١٩٨٥ للمدن المتوسطة والصغيرة بإنشاء بنوك المعطيات العمرانية الخاصة بها وتعد سنة ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨ بداية الانطلاقة الفعلية لقيام شبكة واسعة من بنوك المعطيات العمرانية التي غطت معظم الأراضي الفرنسية.

ثانياً ـ المعطيات البيانية والخرائط التوضيحية:

إن بنوك المعطيات العمرانية تحوي أيضاً قسماً هاماً من البيانات والخرائط المرمزة ـ خرائط الطرقات والشوارع ـ وتكون على درجة مختلفة من الدقة. ومعطيات تلك الخرائط تكون مبنية على معطيات المسح الطبوغرافي المرمز ومن معطيات كارتوغرافية محلية ولكن مجالس المدن كانت لها الرغبة أيضاً في أن تشمل تلك البنوك خرائط أشغال الأرض ومخططات تنظيمية تبين مراحل التطور العمراني والحدود الإدارية والجغرافية الفاصلة بين الوحدات الإدارية والإقليمية بالإضافة إلى إمكان الاستفادة من المعطيات الجيولوجية المتوافرة على الخرائط الجيولوجية وكامل المعطيات الجغرافية الموجودة لدى المعهد الوطني الفرنسي والصور الجوية الملتقطة بوساطة الأقمار الصناعية للمدن الفرنسية والمنسجمة مع نظام بنوك المعطيات العمرانية. أي أنهم يرغبون في بنوك معطيات عمرانية تحتوي على معطيات جغرافية، خرائط، أشكال طبوغرافية، أشكال بيانية، معطيات عمرانية تفصيلية، معطيات إحصائية ومعلومات رقمية دون أن تكون بالضرورة مرتبطة ببعضها بعضاً[٧].

[٧] AIVE-CNFPT "information localisé dans les villes Françaises" AIVE-CNFPT. 1988. Paris.

ثالثاً ــ المعطيات الإدارية والمصادر الإحصائية:

إن بعض بنوك المعطيات العمرانية المحلية بدأت بتخزين مجموعة من البينات والبطاقات الصادرة أصلاً عن القطاعات المعنية بالشؤون الخدمية في البلديات والإدارات المحلية. وطبقت تلك الحالة في مدينة الهافر وشملت على المعطيات المتعلقة بالواقع العمراني وتطوره، المساحات المبنية، المساحات الخضراء، المساحات المعدة للبناء، عدد الوحدات السكنية، المساحات التي تشغلها كل وحدة سكنية، أماكن توضعها، مستوى تجهيزها، أعمار تلك الأبنية، إيجارها الشهري، نظامها الضريبي وملكية تلك المنازل سواء كانت للقطاع الحكومي أو للأفراد والمؤسسات الخاصة[٨].
وقد عممت تجربة مدينة الهافر على المدن الفرنسية وحيث استطاعت بنوك المعطيات أن تغطي حوالي ٨٠% من المعطيات العمرانية المحلية في المدن والمراكز العمرانية المختلفة الأحجام.

رابعاً ــ المعطيات المحلية والمعطيات الجغرافية:

إن أغلب المعطيات والمعلومات الإدارية المتعلقة بالسكان قد تم جمعها من حيز جغرافي متطابق مع امتداد عمراني هندسي وذلك من خلال الاسم والكنية أو العنوان أو من خلال الاشتراك في خدمة الهاتف، أو الاشتراك في خدمة استجرار الطاقة أو من خلال الرمز البريدي الذي يدل على السكان الذين يشغلون ذلك الحيز الجغرافي[٩].
وقد تم تقسيم المعطيات في هذا المجال إلى قسمين:

- المعطيات المأخوذة حسب الحيز الجغرافي لأصغر الوحدات الإدارية.
- المعطيات المحلية المتوافرة في المركز الإداري.

---

[8] PORN.H. les SIG et les petites communes, STU, 1992, Paris.

[9] BOURSIER.P, "L'apport des SIG, leurs linites" dans le dossier les SIG, planification et aménagement au niveau régional, Géomètre N° 11 november 1990, Paris.

خامساً ـ استعمال المعطيات:

حسب الطبيعة المحلية للمعطيات المدونة نستطيع أن نعلل أن بنوك المعطيات العمرانية تغذي الاستعمالات المختلفة التي تتطلب عادة قاعدة بيانات عند دراسة الواقع العمراني سواء كان للحيز الجغرافي المأهول فعلاً أو الموجه لوضعه في الاستخدام الفعلي في مرحلة لاحقة وبغض النظر عن المساحة التي تشغلها[10].

عملياً إن إجراء الدراسات على الحيز الجغرافي والإداري في المدن التي تقوم بتنفيذها الجهات الفنية المؤهلة في مجالس المدن والبلديات تصب جميعها في خانة تنظيم المدن وتؤدي إلى تحويل المعطيات العمرانية من أشكال وبيانات وأرقام وأوصاف وخرائط إلى بنوك المعطيات الواقعة تحت إشراف المسؤولين في مجالس المدن.

وقد شرح المحللون المهتمون بمراقبة الحركة العمرانية التأثير الكبير للمسؤولين السياسيين المحليين في توجيه الحركة العمراني المحلية[11].

لاشك أن بنوك المعطيات العمرانية تسهل على الإداريين إدارة المدن والمراكز العمرانية بغض النظر عن أحجامها، ومع مرور الزمن سيلغى استخدام المعطيات العمرانية اليدوي.

إن بنوك المعطيات العمرانية تدار حالياً من قبل الدوائر الفنية المحلية المتخصصة ومن قبل مديريات التخطيط الحضري والمديريات التقنية الأخرى المسؤولة عن إجراء الخرائط والمخططات التنظيمية والأشكال الطبوغرافية والأشكال البيانية والإحصائية والرسوم المختلفة. إن من المؤكد أن المخططات التنظيمية هي الأساس للدراسات والمشاريع كافة التي منها تم الحصول على جميع المعطيات العمرانية الملحوظة على

[10] CHOAY.F, et MERLIN.P, "dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement, BUF, 1988, Paris.

[11] ACHR.F, "projet public et réalisation privée, le renouveau de la planification des villes" les annales de la récherche urbaine N° 51. Juillet 1991, Paris.

الأرض. ولذلك فإن دور بنك المعلومات العمرانية لا يتوقف عن تخزين المعطيات الأصيلة والنشاطات الخدمية المختلفة وتحويلها إلى بنك معلومات جغرافي[١٢].

سادساً: تعدد وظائف وخدمات بنوك المعطيات العمرانية وتعدد المهتمين والمستفيدين:

إن بنوك المعطيات العمرانية التي أنشأتها مجالس المدن الفرنسية أصبحت تستخدم شيئاً فشيئاً في الأحداث اليومية المحلية، وتعددت مهن المهتمين والمستفيدين من هذه التقنية الحديثة، فمنهم التقنيون، والإداريون المحليون، الإعلاميون، المهندسون الاقتصاديون، الإحصائيون، القانونيون وعلماء الاجتماع. ومن المؤكد أن تعدد المستخدمين والمستفيدين سيؤدي إلى تخزين معطيات جديدة متعددة المصادر من جهة وإلى توافر المعلومة أو الحدث للآخرين من جهة ثانية وقد وضعت مدينة ليل بالإضافة إلى الخدمات العمرانية والخدمية والإدارية والجغرافية المتوافرة تحت تصرف السكان العديد من المعطيات المتوافرة في بنوك المعطيات العمرانية وخاصة تلك المتعلقة بمخزون المياه الجوفية وتوضع الطبقات الصخرية الملاءمة لإجراء المقالع الرملية المستخدمة في البناء.

ومن جهة فإن بنك المعطيات العمرانية في مدينة تولوز وسع قاعدة معلوماته واستوعب أشكال الخدمات التقنية والمتطورة كافة التي تقدمها شركة FRANCE-TELECOM الفرنسية للاتصالات الهاتفية الإقليمية والدولية. ووضعها تحت تصرف السكان ليس فقط في المدن المتوسطة والصغيرة بل في عموم المراكز العمرانية والتوضعات البشرية في كل مقاطعة تولوز.

وفي الآونة الأخيرة، فإن بعض بنوك المعطيات العمرانية في بعض المدن الفرنسية أدخلت في اهتماماتها أنشطة مختلفة وأصبح بإمكان منتجي الأدوات المنزلية التقليدية

---

[12] BILLOT.P, "L'utilisation des donnés publiques dans les études de l'aménagement" actes des conférences, SIG-GIS-19-22, Juin 1990.

والحرفية مثلاً أن يعرضوا منتجاتهم ومزاياها ، عناصرها وأسعارها وأصبح بإمكانهم أيضاً أن يتبادلوا المعلومات وأن يسوقوا منتجاتهم لزبائن محليين وأجانب.

ومؤخراً شكلت اللجنة النقابية لمعالجة المعطيات العمرانية واستخدامها في جنوبي وجنوبي غرب فرنسا (في مقاطعة البيرينية ولانفيدول) بنوك معطيات هامة أطلق عليها إسم "BADOCAT"[١٣] "بنوك المعطيات العمرانية المساحية والطبوغرافية التولوزية"، وتهتم بالمعطيات العمرانية والمساحة الطبوغرافية للتجمعات العمرانية في تولوز، أيضاً تم إنشاء بنك المعطيات لتغذية المدن والمراكز العمرانية المختلفة بالكهرباء EDF والغاز GDF وأطلق عليه اسم " B.D.R.E.G.S. "[١٤] وتعتمد هذه البنوك بشكل أساسي على قاعدة المعطيات المتوافرة في بنك المعطيات العمرانية المتوضعة في تولوز وبلانياك. ومن خلال تلك البنوك يتعرف السكان أشكال الخدمات ونماذجها التي تقدمها شركات الطاقة الكهربائية وخدمات الغاز ويستطيع السكان من خلال تلك التقنية الاستفادة المباشرة من تلك الخدمات دون وساطة مؤسسات أخرى ويمكن أيضاً الاطلاع على واقع استهلاكهم اليومي أو الشهري ومعرفة رصيدهم المالي المطابق لاستهلاكهم من الطاقة ودفع مايستحق عليهم وغير ذلك.

إن تشعب الاستخدامات وتعدد طرائق الاستفادة يقود للتساؤل. هل تكوين بنوك المعطيات العمرانية تكون بالنتيجة سابقة إلى تكوين نظام معلوماتي أكثر شمولاً وأكثر اتساعاً أم لا؟.

إن نظام المعلومات الذي يغطي بخدماته كامل الوحدات الإدارية في مدينة باريس على سبيل المثال اعتمد بشكل أساسي على المعطيات العمرانية الباريسية من أجل إعادة تنظيمها كأساس للمعطيات حسب النظام الأبجدي والخرائطي والكارتوغرافي الذي

[13] BADOCAT, Banque de données Cadastrales de l'agglomération Toulousaine.

[14] BDREGS, Banque de Données des réseau EDF-GDF services.

شمل كامل خدمات ومرافق مدينة باريس في نطاق نظام المعلومات الجغرافي الحديث. وغالباً ما يظهر أن هذه قاعدة ولكن المعطيات وتنظيمها الإداري تكون هي العناصر الأساسية لنظام المعلومات الجغرافي ولذلك فإن بنوك المعطيات العمرانية ملزمة بالتغيير واستخدام التقنية الحديثة وعليها أن تحدد بوضوح شروط دوران المعلومات وآليتها وتنظيم هيكليتها الإدارية كي يستطيع المهتمون من الاستفادة من معطياتها بكل سهولة ودون تعقيد في استخداماتهم المختلفة"[١٥].

سابعاً ـــ الاستثمارات التقنية الحديثة وقوة القرار:

إن نجاح استثمار التقنية الحديثة مشروط دائماً بالنتائج التي يمكن تحقيقها من تعدد الاستخدامات للعديد من المعطيات المخزنة، وهي لاتتطلب النتائج المادية والملموسة (مخططات، أشكال كارتوغرافية، خرائط، احصاءات، مستندات، ودراسات مختلفة) فحسب بل تتطلب إظهار قدرة تلك النتائج على الإقناع وقوة التأثير في صنع القرار.

إن القرار المأخوذ بمساعدة الأنظمة المعلوماتية المختلفة (الكومبيوتر) يمتلك شرعية مطلقة مرتكزة إلى النتائج التقنية لتلك الأجهزة"[١٦].

ولذلك فقد بات من الضروري توافر أداة تنظيم المعطيات العمرانية التي تسمح وتسهل من استعمال تلك المعطيات واستغلاليتها وانسجامها مع برامج ومعطيات ملائمة أخرى.

لقد تعددت أشكال ونماذج استثمار واستخدام التقنية الحديثة وتطويعها ووضعها بكل سهولة ويسر في خدمة السكان، بغض النظر عن مستوى تحصيلهم العلمي أو الثقافي.

[15] TOURNET.J,Cussol.J" des outiles informatiques pour les services Technique de Toulouse" Géni urbain N^0 377, Mai 1991. Toulouse.

[16] LEMPEN.B, "Approche rationnelle de la décision et choix démoeratique" actes du colloque du CREIS: chances et risques de L'information dans L'europe de demain, 10-12 Juin Paris.1992.

ولقد استطاع المجلس البلدي في "فوليس" من صنع قاعدة ربط هاتفي مشترك Plate –Forme d'interconnectivite متعددة الخدمات تصل بين أطراف متعددة من الاقتصاديين والمديرين ورجال الأعمال وحيث بإمكانهم تبادل المعلومات والمعطيات المتعددة الاستخدامات. وهذه الأنواع من الخدمات أصبحت حالياً مطلوبة من الباحثين ومديري البنوك والمؤسسات المالية والشركات الخاصة ذات الاهتمامات المختلفة.

الأمريكيون يحتلون حالياً الصدارة في مجال استخدام واستثمار التقنية الحديثة المنتجة من قبل الشركات الخاصة لأغراض اقتصادية وكسب مالي سريع. ويعلل الأمريكيون ذلك بوجود سوق ناشطة لشراء وبيع وتبادل المعلومات في بلادهم[١٧].

ويؤكد الأمريكيون أن هذه المعطيات والمعلومات الخدمية التي يجيزها القانون الأمريكي تعود بفوائد اقتصادية ومالية كبيرة على الذين يعملون في هذا المجال.

وفي فرنسة فإن شركات اقتصادية ذات تمويل مشترك تستقطب وبسهولة تامة زبائنها مقابل الاطلاع أو الاشتراك لمعرفة واقع الخدمات الإدارية والتقنية في التجمعات البشرية المحلية على عموم الأراضي الفرنسية.

وفي مقاطعة هيرو تم إصدار بطاقات ضرائبية Fichier – Fiscaux من أجل تكوين قاعدة معطيات ضرائبية ومالية تعطي الوحدات الإدارية والبلديات ومصلحة الدخول والضرائب معرفة تامة عن الأوضاع المالية والضريبية للأفراد والمؤسسات الخدمية والإنتاجية المختلفة[١٨].

---

١٧ HUXHOLD.WE, "An introduction of urban Géographic information systemes
OXFORD.University.Presse, NEWYORK. 1991.

١٨ LÉVÊQUE.L, "presentation" d'une base micro-géographique pour L'aménagement Géométre N⁰ 1, Janvier 1990. Paris.

هذه الأعمال المعلوماتية الخاصة والمرخص لها حالياً أفادت بأنها قادرة على تحصيـل كامل استحقاقات النظام الضريبي المستوجب على مختلف شـرائح السـكان وتعـدد أنشطتهم الاقتصادية في كل بلدية، وتؤكد بأنها قادرة في حال الاستفادة مـن خدماتـها من أن تزيد دخول البلديات بحوالي ٢٠% سنوياً.

المراجع

1. AIVE 88 — AIVE-CNFPT, L'information localisée dans les villes françaises, AIVE-CNFPT, 1988.

2. ADOC 91 — la lettre d'information du réseau ADOC, janvier 1991 sur la Banque de données urbaines-APUR et le SIP.

3. BILLOT 90 — Billot P., "Lutilisation des données publiques dans les études l'aménagement", Actes de Conférences SIG-SIG 90, 19-2, Juin 1990.

4. BOUR 90 — Boursier P., "l'apport des SIG, leurs limites" dans le dossier les SIG, planification et aménagement au niveau régional, Géomètre N° 11, november 1990.

5. CHOA 88 — Choay F. et Merlin P., Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement, PUF, Paris, 1988.

6. COGN 71 — MM. Cognet, Demeestre, Dumaine, Mercadal, Mme Veyrac, les Banques de Données Urbaines, Technigue de la Planification Urbaine, centre d'etudes et de Recherche sur l'Aménagement urbain STU. Paris. 1971.

7. DEBA 69 — DE Barrin J., "l'ordinateur au service de l'aménagement: Paris devient la Premiére ville européenne à disposer d'une Banque de données urbaines", le Mond, 19/12/1969.

8. FOUR 89 — Fournillier J.M., "Problématigue des ville françaises en matiére de Banques de données

Urbaines", Actes du séminaire CNIG, 22-23 Novembre 1989.

9. HUXH 91 Huxhold W.E., An introduction of urban Geographic information systems, Oxford University Prees, New York, 1991 en Français Paris 1992.

10. INFO 90 Infotecture, la lettre bimensuell d'actualité sur les Banques de Données, N° 205/206/, 24/7/90.

11. JAMO 78 Jamous J., Grémion P., L'ordinateur au pouvoir, Seuil/ Sociologie, Paris, 1978.

12. JOLI 91 Joliveau T., "Bases de Dnnées, Opservatoires et Systémes d'information urbains", Bulletin d'information du Réseau ADOC; Avril 1991.

13. LEMP 92 Lempen B., "Approche rationnelle de la décision et choix démocratique", Actes du Colloque du CREIS: "chances et risques de l'informatisation dans L'Europe de demain", Paris 10-12, Juin 1992.

14. LEVE 90 Lévêque L., "Présentation d'une base micro-géographique pour l'aménagement", Géormètre N.L., Janvaier 1990.

15. PORN 92 Pornon H., les SIG et les petites communes, STU, Paris, 1992.

16. STU 78 Catalogue des principales source d'information en aménagement et urbanisme, STU, 1978.

17. TOUR91 Tournet J., Cussol J., "Des outils informatique pour les services techniques" de Toulouse, Cénie urbain N° 377, Mai 1991.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٨/١٢/٢٩

مظاهر لغة الترجمة في ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية

د. عمر شيخ الشباب
قسم اللغات الأجنبية ـــ جامعة الملك فيصل
السعودية

ملخص

لا يخفى على أحد الدور الذي قام به القرآن الكريم، كتاب الله المبين، في إرساء دعائم اللغة العربية وابتكار علوم لا تعرفها لغات أو ثقافات غير الثقافة العربية الإسلامية (انظر كتاب الجابري بنية العقل العربي ١٩٩٢).
ولم تلق ترجمة أي نص عربي الاهتمام الذي لقيه هذا النص الخالد.
يقوم هذا البحث بدراسة بعض الأبعاد اللغوية والثقافية لترجمات القرآن الكريم إلى سبع لغات أوروبية بدءا بالترجمة اللاتينية الأولى (١١٤٣) مرورا بالإيطالية والألمانية والفرنسية والإنجليزية وصولا إلى الإسبانية والروسية. أما عن الإطار النظري الذي يسعى البحث إلى اختباره فهو مأخوذ من كتاب التأويل ولغة الترجمة لعمر شيخ الشباب ١٩٩٠ و١٩٩٦ (باللغة الإنجليزية). ويقوم هذا الإطار على افتراض وجود الاختلاف في أي ترجمة. ويحاول الباحث التطرق إلى مفهوم انعدام الكفاية واستحالة الترجمة في ترجمات القرآن الكريم.
لقد توصلت إلى نتائج تبين اختلافات مثيرة للتساؤلات بين الترجمات في لغات مختلفة والترجمات ضمن لغة واحدة مثل الإنجليزية أو الفرنسية. وهكذا يشكل البحث إطارا ومنطلقا لمشروع بحث واسع لدراسة ترجمات القرآن الكريم وتقويمها.

يرد هذا البحث بالتفصيل باللغة العربية في الصفحات (49 - 19) من هذا العدد.



دلالية وبراغماتية وقابلية ترجمة الطرائف في شمال الأردن

د.عبد الله شناق
قسم اللغة الإنكليزية ــ كلية الآداب
جامعة اليرموك

ملخص

يعالج هذا البحث ظواهر دلالية وبراغماتية وقابلية ترجمة الطرائف في شمال الأردن. ويرتكز إلى تحليل وتبويب وترجمة طرائف مختارة جمعها الباحث من طلبة جامعة اليرموك. ويحاول هذا البحث أن يلقي الضوء على أنواع مختلفة من الطرائف يتم تداولها في مدن وقرى شمال الأردن. ويصنف البحث الطرائف إلى أنواع تتعلق بالحماقة والسذاجة والسياسة والدين والجنس والقرابة. ويخلص إلى أن سبب عدم مساواة ترجمة الطرائف من العربية إلى الإنكليزية يعود بشكل رئيسي إلى قضايا لغوية وبراغماتية وثقافية.

يرد هذا البحث بالتفصيل باللغة الإنكليزية في الصفحات (80 - 51) من هذا العدد.

رسائل الدكتوراه والماجستير



مشوح، وليد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. أسعد أحمد علي.

الموضوع: الموت في الشعر العربي المعاصر ١٩٥٠ ــ ١٩٩٠

Death in the Contemporary Arabic Verse Syria 1950 – 1990.

جاءت الرسالة في مدخل وأربعة فصول، مع المستلزمات العلمية والأكاديمية المتممة لها.

- المدخل: دراسة عن ماهية الموت، وتكون هذه الظاهرة في فكر الإنسان البدائي، ثم تأمله في واقع الموت، وصولاً إلى تكريس حتميته في عقله، ثم تتبعت الموضوعية في الأساطير والديانات الوضعية، والديانات السماوية، وتوقفت عند العصر الجاهلي، ورؤية العرب الجاهلين في الموت من خلال أشعارهم ونظرة بعضهم إلى مفهوماته في الديانات الأخرى، حتى كان الإسلام، وبرزت النغمات الإيمانية في الشعر الإسلامي، ومضيت أتعقب الموضوعية في العصور الأدبية المتتالية، وصولاً إلى المحادثة والمعاصرة.
- الفصل الأول: خصصته للحديث عن (إشكالية) الموت وقضاياه في الشعر السوري المعاصر، بعد أن قدمته بإلماحة عن حركة الشعر في سورية من الخمسينيات حتى بداية العقد الحالي.

أما الموضوعات التي أقامت الإشكالية؛ فحددتها بجدلية الموت والحياة في الشعر، تلك الثنائية التي تحولت إلى حركة تحول مفهومي لموضوعة الموت، وهذا التحول قاد إلى صياغات إبداعية، والصياغات الإبداعية تحولت بدورها إلى متبادلات

•

شعورية وإحساسية جوانية وبرانية لدى الشاعر، وعنها صدرت جزئيات وغدت كل جزئية موضوعية.

- الفصل الثاني: وقد درست فيه موضوعة الموت كما تناولها الشاعر، وحللت طرائق تناولها؛ مفردة وصورة، ومعنى، وتوقفت طويلاً عند الإحساس، حيث أحلته إلى الحوار الداخلي، كذلك عند الخيال والتخيل، إذ أحلتهما إلى الحوار الخارجي، وأشرت إلى تماهي الحوارين في حوار واحد (بالمعنى والإدارة)، عند بعض الشعراء.

- الفصل الثالث: وجهته لتبيان الملامح العامة والمكتسبة أي التناص بين "الأنا" و"الآخر" في المنجز الشعري، وبعبارة أدق اندغام (الأنا بالآخر) مع الحفاظ على ملامح "المبدع" لأصل إلى نتيجة تكشف عن حركة التبادل بين الملامح العامة والمكتسبة.

- الفصل الرابع: وقد أوقفته في تحليل الدلالات في "لغة الموت" التي سادت النص الشعري المعاصر في سورية، وفيه قدمت نماذج من التناص (اللفظي، الصوري، الموضوعي، المعنوي، والاستحواذي التام)، وكشفت عن المؤثرات التراثية العربية، والمؤثرات الأجنبية الحديثة في النص الشعري السوري المعاصر.

مصطفى فتحي السقا، صباح، كلية التربية، قسم الصحة النفسية، جامعة دمشق.

إشراف: د. أنطون حمصي.

الموضوع: دراسة تجريبية عن أثر اللعب في حدة السلوك العدواني عند أطفال مرحلة ما قبل المدرسة.

An experimental study on the effect of play on aggressive behavior verity with children during preschool stage.

يهدف هذا البحث إلى دراسة السلوك العدواني لدى أطفال مرحلة ما قبل المدرسة بأشكاله المختلفة من ضرب، أو هجوم، أو لفظ على الآخرين، أو تدمير للأشياء والممتلكات، في محاولة للحد من النزعات العدوانية باتجاه يمكن أن يكون خطراً، أو نحو قوة يمكن أن تخرج عن حدود الضبط والوعي.

وقد استخدمت الباحثة العلاج باللعب كأداة ذات فعالية في الخفض من حدة السلوك العدواني لدى أطفال مرحلة ما قبل المدرسة. إذ يعد اللعب هو النشاط الرئيس في هذه المرحلة، فهو يسمح للطفل باكتساب المفاهيم، واستكشاف العلاقات بين الأشياء، كما يسمح له بالتدرب على الأدوار الاجتماعية، والتخلص من انفعالاته السلبية، وصراعاته، وتوتره، ويساعده أيضاً على تشكيل مواقف تعلمية علاجية، يكتسب من خلالها الطفل مهارات سلوكية جديدة، تساعده على إعادة التكيف، كل ذلك دون مخاطرة أو تعرض لنتائج ضارة.

وأظهرت النتائج فورقاً ذات دلالة إحصائية في أشكال العدوان بين الذكور والإناث لصالح الذكور، كما أظهرت النتائج أيضاً اختلاف شكل وأسلوب اللعب لدى الأطفال العاديين في شدة وتكرار السلوكات العدوانية. وأما بالنسبة لعملية العلاج باللعب فقد تم تنفيذ ذلك على العينة التجريبية من خلال البرنامج الإرشادي التجريبي المقترح

من قبل الباحثة لخفض مستوى العدوان لدى الأطفـــال باســتخدام اللعــب، وأظــهر البرنامج فاعلية بنسبة قدرها ٣٩% وخلص البحث إلــــى ضــرورة إعطــاء اللعــب أهمية كبيرة للأطفال خاصة في مرحلة ما قبل المدرسة.

حسين، خالد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق.

إشراف: د. وائل بركات.

الموضوع: المكان في الرواية الجديدة. (الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجا).

Space in the noveau novel. (The novelistic discourse by Edwar Al-Kharat as a madel. 1980 – 1997).

ينحصر مجال هذه الدراسة بمقاربة المكان الفني في الرواية العربية الجديدة عبر رصد مفهومات المكان وعلاقته مع وحدات النص الأخرى: الزمن، الوصف، الشخصية، الرؤية السردية، المضمون. فضلا عن البحث في المستويات الشعرية والبنيوية والتفكيكية للمكان، كما حاولت الدراسة تلمس هيمنة المكان في النص الروائي بوصفه القوة الفنية والبنيوية في بنية الخطاب الروائي.

وقد اتخذت الدراسة من الخطاب الروائي للكاتب المصري إدوار الخراط نموذجا لاختبار مقولاتها المكانية واستراتيجياتها في التحليل والاستنطاق نظرا لما تتمتع به نصوص هذا الروائي من قيمة فنية عالية ومغامرة حقيقية في حقل الكتابة الروائية المعاصرة، وكذلك لما تشي به هذه النصوص من احتفاءات عارمة بالمكان بحيث انتقل المكان من أدواره وأبعاده التقليدية إلى القيمة المهيمنة في النص. هذا، وقد كانت غاية الدراسة تفسير وتأويل مجموعة من القضايا الأدبية والجمالية من خلال الاشتغال على المكان الروائي ودلالته.

محمود مصطفى، محمد، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. فخر الدين القلا، ومشاركة: أ. د. علي موسى.

الموضوع: فاعلية استخدام برنامج حاسوب في تدريس الجغرافية الطبيعية في الصف الأول الثانوي في القطر العربي السوري ــ دراسة تجريبية في محافظة القنيطرة.

The effectiveness of a Computer program in teaching Natural Geography at the first secondary class in the Syria Arab Republic – An experimental study at Quneitra Governorate.

يتكون البحث من ثمانية فصول، عالجت الجوانب التالية:

في الفصل الأول: حددت مشكلة البحث بالسؤال التالي: ــ ما فاعلية استخدام برنامج حاسوبي في تدريس وحدات الجغرافية الطبيعية (المياه والمناخ) في الصف الأول الثانوي في القطر العربي السوري؟ وما أثر ذلك في تحصيل الطلبة؟

كما عرض الفصل أسئلة البحث وفرضياته وأهدافه وأهميته ومنهجه وأدواته.

أما الفصل الثاني: فقد تناول الدراسات السابقة، ومسوغات البحث من خلال مجموعة من التجارب.

في حين أشار الفصل الثالث إلى أهمية استخدام الحاسوب في التعليم، وأهدافه واستخدامه، وأسس عملية إدخال الحاسوب في التعليم، ومجالات الاستخدام وصعوباته، وميزاته، وحدوده، وتدريس الجغرافيةبواسطة الحاسوب.

أما الفصل الرابع: فقد بحث في تصميم البرنامج الحاسوبي لتدريس الجغرافية الطبيعية وأدواته، من استبانات واختبارات، كما قدم فكرة عامة عن البرمجة الحاسوبية، من خلال برنامج "أوثروير، A uthorware".

وتناول الفصل الخامس: التجربة النهائية، وبين كيفية اختيار عينة المدارس والطلاب، الأجهزة المستخدمة، وصعوبات التجريب، وتطبيق استبانات البحث، واختباراته.

وتعرض الفصل السادس: لفاعلية تدريس الجغرافية الطبيعية بواسطة الحاسوب، حيث أظهرت نتائج التحليل فاعلية الحاسوب في تدريس الجغرافية في الاختبارين البعدي المباشر، والبعدي المؤجل، لدى الذكور والإناث في المجموعة التجريبية، والوصول إلى فاعلية إتقانية تتجاوز (٧٥% ــ ٧٥%).

وأوضح الفصل السابع نتائج تحليل استبانات الطلبة ومدرسي ومدرسات الجغرافية نحو التعلم بواسطة الحاسوب.

وعرض الفصل الثامن خلاصة البحث باللغتين العربية والإنكليزية، ومقترحاته، وزود البحث بقائمة للمفردات الحاسوبية الإنكليزية، وبقائمة المصادر والمراجع وبملاحق البحث المختلفة.

الزعبي، نادية، كلية التربية، جامعة دمشق.

إشراف: د. عدنان الأحمد.

الموضوع: دور جماعة الأقران في النمو الاجتماعي للطفل.

The role of Peer Group in social development.

بعد الاطلاع على الدراسات السابقة، تم تحديد مشكلة البحث والتي تتجلى في (دور جماعة الأقران في النمو الاجتماعي للطفل). وتم وضع فروض البحث وأسئلته في ضوء موضوع البحث. وبعد اختيار المجتمع الأصلي وتحديد العينة وفق الخصائص القياسية المناسبة للبحث. واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، واستخدم أداة واحدة هي الاستبيان، وجاء بشكل واحد ويضم (٩٠) سؤالاً تقيس المظاهر الاجتماعية المختلفة للنمو الاجتماعي، ثم طبقت الدراسة الميدانية في مدينة دمشق، وفي مدارسها الابتدائية الرسمية المختلطة للعام الدراسي (١٩٩٨).

وبعد تبويب البيانات وتفريغها في جداول مناسبة استخدمت الباحثة عدة برامج إحصائية لرصد العلاقة بين فروض البحث ونتائج الدراسة الميدانية، وقد أقرت النتائج معظم فروض البحث، كما فسرت العلاقة بين المتغيرات الثابتة والمتغيرة في هذا البحث.

يوسف زريقي، سميحا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. مزيد نعيم.

الموضوع: التذييل والتكميل في شرح التسهيل ـ لأبي حيان النحوي ـ (دراسة وتحقيق).

البحث هو دراسة وتحقيق للجزء الثاني من (التذييل والتكميل في شرح التسهيل) لأبي حيان النحوي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ.

والذي صنفه شرحاً لكتاب (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) لابن مالك صاحب الألفية المتوفى سنة ٦٧٢هـ.

وقد تضمن البحث التعريف بالرجلين، والحديث عن منهجيهما النحويين، وذكر بعض أوجه الخلاف بينهما.

كما تضمن قسم التحقيق مايلي:

- باب المبتدأ وفصوله.
- باب الأفعال الرافعة الاسم الناصبة الخبر وفصوله.
- باب أفعال المقاربة.

وختمت البحث بالفهارس الفنية.

محمد، ولات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق.

إشراف: د. وائل بركات.

الموضوع: النص الآخر في عالم جبرا ابراهيم جبرا.

The other text at Jabra E. Jabra World.

جبرا ابراهيم جبرا أحد الروائيين العرب الذين يتمتعون بثقافة موسوعية عالية. وقد كان لهذه الثقافة أثر بالغ في تشكيل نصوصه الإبداعية عموماً، والروائية خصوصاً. هذا إلى جانب كون شخصياته عموماً شخصيات مثقفة جعل نصه الروائي يتعالق (يدخل في علاقة) مع العديد من النصوص الأخرى: الأدبية، الفلسفية، الأسطورية، التراثية والدينية .. ..

وستسعى هذه الدراسة إلى مقاربة تجليات النص الآخر في روايات جبرا، واستكناه الدلالات المنبثقة عن تعالقه معها. وقد بدأت هذه الدراسة بمقدمات تنظيرية — أرى أنه لابد منها — لتحديد بعض المفاهيم والمصطلحات التي تمتُ إلى البحث بمتين الوشائج، من مثل: النص، التناص .. .. وغيرها من المصطلحات التي سنتناولها بالبحث.

وسنرصد في هذه الدراسة — في الجانب التطبيقي — مدى التطور الذي طرأ على كيفية استخدام النصوص الأخرى في روايات جبرا، فقد بدت هذه النصوص في روايتيه الأولى والثانية مقحمة، تفتقر إلى أية دلالة تذكر، إلا أنه تجاوز هذا الأمر في نصوصه اللاحقة، حيث أصبح للنص الآخر — عنده — فاعلية أكبر في تعالقه مع النص الروائي، وفي تقديمه دلالات لذلك النص ليصبح بنية صغرى في البناء الأكبر للنص الروائي.

فلاح، عبد المجيد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. شوقي المعري.

الموضوع: الفتح القريب (حاشية على مغني اللبيب).

Al-Fath Al-Qarib (Hasheh Ala Mughni Allabib).

هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر الخضيري السيوطي الشافعي، نشأ يتيماً؛ توفي والده وعمره خمس سنوات وسبعة أشهر، وقد هيأ الله له من أسباب النجاح في الحياة ما جعله آية في العلم ونابغة من نوابغه، فقد حفظ القرآن وله من العمر دون ثماني سنوات.

أخذ السيوطي العلم عن ست مئة شيخ كما روى تلميذه الشعراني (ت ٩٧٣هـ) في طبقاته الصغرى، وكان أبرز شيوخ السيوطي الذين لازمهم أكبر مدة من الزمن وتلقى عنهم العلم الشيخ تقي الدين الشمني الحنفي ٠ت ٨٧٣هـ)، والعلامة محي الدين الكافيجي (ت ٨٧٩هـ)، وشرف الدين المناوي (ت ٨٧١هـ).

وكتابه الفتح القريب هو أحد الكتب التي خدم فيها السيوطي مغني اللبيب، وهو حاشية نوه بها في مقدمة شرح شواهد المغني بقوله: "وأودعتها من الفوائد والفرائد، والغرائب والزوائد، ما لو رامه أحد غيري لم يكن له إليه سبيل، ولا فيه نصيب، وكان من جملة ذلك شرح ما فيه من الشواهد على وجه مختصر، مع التعرض لأمور فيها لم يذكرها من كتب عليه، إلى سعة الاطلاع وكثرة النظر".

حسن، أحمد سعود، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة الإنكليزية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. طارق مصلح.

الموضوع: هنري جيمس وما بعد الاستعمارية.

Henry Jemes and Post-Colonialism.

يحاول هذا البحث إثبات إمكانية تفسير أعمال هنري جيمس وخاصة رواية الأمريكي من منظور مذهب ما بعد الاستعمارية والمواقف المتخذة ضمن هذه النظرية في كل من إفريقيا والهند والولايات المتحدة الأمريكية وكندا ونيوزيلاندا واستراليا، وذلك بغية الاستناد إلى هذه النظريات في آلية إمكانية التفسير هذه، وتم التركيز على مفهوم ما بعد الاستعمارية الذي ظهر في الولايات المتحدة بعد نيلها الاستقلال، حيث تم التركيز على إظهار الفارق الجوهري بين ثقافة المستعمِر والمستعمَر، وتم بعد ذلك ربط الفكرة العالمية التي تجلت في كثير من أعمال جيمس مثل "أجنحة الحمامة The wings of the Dove"، و"روديك هدسون Roderick Hudson"، و"رسم سيدة The Portrait of Lady"، و"الأمريكي The American"، وكذلك "الوعاء الذهبي The Golden Bowl".

كما بين البحث أن هنري جيمس شأنه شأن أدباء ما بعد الاستعمارية أخذ بالاتجاه الآخر للنظرية ألا وهو الموقف التوفيقي الذي يدعو إلى التقاء الحضارات والثقافات والتفاعل الإيجابي فيما بينها بغية الوصول إلى عالم أفضل، وقد تجلى هذا الموقف أكثر ما تجلى في روايته الأخيرة ضمن سلسلة الروايات التي عالجت الفكرة العلمية ألا وهي رواية "الوعاء الذهبي"، حيث يأتي رمز المزاوجة ما بين بطلة الرواية الأمريكية وبطل الرواية الأوروبي تحقيقاً لهذا التوجه الذي يحل محل المواجهة التي لا طائل منها.

يوسف، نبيلة، كلية التربية، قسم أصول التربية، جامعة دمشق.

إشراف: أ.د. عدنان الأحمد.

الموضوع: الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية لهجرة الأدمغة ودور التعليم العالي في الحد منها.

دراسة وصفية تحليلية لواقع مشكلة هجرة الأدمغة في القطر العربي السوري، "حالة السوريين الموجودين في فرنسا"

The Social and Economical Dimensions For Brain Drain and The Role of High Education in Limiting Its Effects.

تعد العقول العلمية أكبر ثروة للبلد،وتعد المحافظة على هذه العقول من أكبر المهام التي تقع على عاتقنا جميعاً.

هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع هجرة الأدمغة وتطورها التاريخي، ومن ثم التعرف على عواملها وأبعادها الاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلى دور التعليم العالي في الحد منها.

بالنسبة للأدوات المستخدمة في الدراسة، تم توجيه استبانة إلى عينة من ذوي الأدمغة السوريين المقيمين في فرنسا بلغت ١٠٣ أشخاص. وفي التحليل الإحصائي للنتائج المستمدة من هذه الاستبانة، تم اعتماد برنامج (S.P.S.S.). وتبين أن من أشد العوامل جذباً لذوي الأدمغة هو المناخ العلمي الذي يتيح لهم تطبيق خبراتهم بشكل فعال. ومن أشد الأمور دفعاً لهم هي القوانين الإدارية التي أصبحت ــ حسب رأيهم ــ بحاجة إلى تطوير.

أخيراً ترى الباحثة ضرورة الاهتمام بذوي الأدمغة، واهتمام المخططين بضرورة تحديث القوانين والأساليب الإدارية المتبعة؛ وأن يقوم النظام التربوي بدور أنشط في تعزيز ثقة الناس بوطنهم وانتمائهم له سواء كان ذلك في أهداف التعليم العالي أم في مناهجه أم في طرائق التدريس أم في غيرها.

داغستاني، منى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق.

إشراف: د. وائل بركات.

الموضوع: شاعرية نديم محمد من منظور المنهج النفسي.

The Poetic Instinct of Nadeem Mohammd In View of the Psychological Course

في خضم التيارات النقدية المتصارعة على حلبة النقد المعاصر، واللاهثة خلف الإبداع نصاً وكاتباً وأدوات يبرز التيار النفسي التحليل بمدارسه المختلفة ليعلن أن النص وليد إرهاصات تعتمل في صدر المبدع، وبذلك يكون عمله شعراً كان أم نثراً مسرحاً لأحداث نفسية سابقة اجتمعت وانسكبت روحاً وفكراً في بوتقته العبقرية. ولما كان الشاعر الكبير نديم محمد علماً من أعلام الرومانسية الشعرية، لم ينل ما حظي به غيره من اهتمام ورعاية، ولو تم له ذلك لسطر بشعره ملامح مدرسة رومانسية قائمة بحد ذاته. فقد تم اختياري لهذا الشاعر موضوعاً للدراسة، وإخضاع حياته وشعره للمنهج النفسي طريق العبور عبوراً متواضعاً لقارئة تخوض هذا الميدان التنظيري الإنجازي، مستعينة بهذا المنهج للوصول إلى نتائج علمية أو مايقاربها.

ويهدف البحث إلى دراسة حياة الشاعر من خلال شعره، وكذا الأمر بالنسبة إلى ملامح شخصيته السيكولوجية من غير تطرف ينأى بي عن مجالي الأدبي إلى مجال التحليل النفسي الحقيقي. كما أنني سأحاول جاهدة إضاءة أبرز ما رأيته في شخصه ألا وهو تحديد فهم الخصائص الشعرية لنديم محمد التي هي في النهاية تعبير عن مكنونات هذا الشاعر المتطورة والمتغيرة عبر مراحل زمنية مختلفة.

وواضح أن المنهج المتبع في دراسة التراث الشعري يحدد النتائج التي سنصل إليها. من هنا فإن المفردات التي ستستخدم في هذا البحث مرتبطة بالمنهج النفسي دون إغفال لأهمية المناهج الأخرى التي تفصح عن أشياء جديدة قد لا تنتهي إليها عبر المنهج النفسي.

وتتوزع الأطروحة في خمسة فصول: يبحث الأول في علاقة علم النفس بالأدب من خلال مدارس التحليل النفسي لفرويد وتلامذته، ودراسة الشعر العربي من خلال التفسير النفسي. أما الثاني فيبحث في الملامح العامة لمكونات شخصية الشاعر من خلال أموره الحياتية والشعرية. ثم تعالج الفصول التالية معالم تلك الملامح استناداً إلى دراسات مدعمة بأقوال الشاعر وآراء النقاد. ومن تلك المعالم: العزلة والألم النفسي من حيث أسباب الأولى ومصادر الثاني، ثم الشعور بالتفوق والعظمة، وملامح هذا الشعور في العبقرية الشعرية وتجليات هذا الشعور.

وتنتهي الأطروحة بخلاصة وخاتمة ونتيجة تسبر معالم شخصية الشاعر، وتربط بين سماتها الأساسية وما تفصح عنها بنطق هو الشعر، وبذا يتم الربط بين الذات والإحساس والإدراك والشعور من خلال وجدان الشاعر المعبر عنه بشعره.

الزايد، إيمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الجغرافية، جامعة دمشق.

إشراف: أ. د. فيصل قماش.

الموضوع: النمو السكاني والتطور العمراني والخدمي في حي الميدان.

Building and population growth, service development in Al Meedan area.

يشكل حي الميدان الجزء الجنوبي لمدينة دمشق، وهو مدخل دمشق الجنوبي الذي يربطها مع الأردن والجزيرة العربية.

لقد تضاعف عدد سكان الحي خلال الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٩٤ مما أدى إلى نمو الخدمات التحتية العصرية التي استطاعت أن تستوعب حاجات سكان الحي، بالإضافة إلى الخدمات الحضرية المرافقة للنمو العمراني، وما يزال يعاني من نقص الخدمات الترفيهية، ونلاحظ أن التفوق الاقتصادي لهذا الحي يعتمد في معظمه على التجارة.

إن الحركة العمرانية في الحي تتصف بأنها سريعة وكثيفة وعامة، مما أدى إلى ازدياد عدد المساكن.

ومع مرور الزمن واستمرار القدوم إلى الحي شهد الحي تجمعات سكنية متواضعة على أطرافه /القدم ـ الدحاديل/ لازالت تنمو حتى الآن.

تصويب

حصل خطأ في تسلسل أرقام الهوامش والمراجع الخاصة ببحث الدكتور يوسف بريك: **«حول وضع العلوم الإنسانية ومشكلاتها من منظور ابستيمولوجي»**، المنشور في العدد السابق (المجلد ١٥ العدد الرابع ١٩٩٩).

وفيمايلي نبين رقم الصفحة والخطأ الحاصل في تسلسل أرقام الهوامش والمراجع والصواب:

الصفحة	الخطأ	الصواب
١٣٣	٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨	دون ترقيم
١٣٣	٩	٣
١٣٤	١٠، ١١، ١٢، ١٣	٤، ٥، ٦، ٧
١٣٤	١٤	دون ترقيم
١٣٤	١٥، ١٦	٨، ٩
١٣٥	١٧، ١٨	دون ترقيم
١٣٥	١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦	١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧
١٣٦	٢٧	دون ترقيم
١٣٦	٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦	١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦



18. qal fallah li-zaujatuh, idha mutit itjawwazi jar-na. fa-qalat laish? fa-qal il-ha : ba^{c}ni faras wa-qhashni fi-ha!.

19. A. ma-l-farq bain al-magdus wa-l-mara li-mtallaqah?

    B. il-maqdus ib-jauz (with walnuts) wa-l-mara li-mtalaqah ba-la jauz (without husband).

Received 10/5/1998

- ar-rajul : ^{c}ashar sanin.

- es-shaikh: ruh kammil isyamak. wallah ka'nnak bayis..........

10. qam ahdhum bi-munafasat jaruh bi-bina' masjid iqbal masjiduh, fa-lam yahdur al-musallin ila masjduh. fa-qa^{c}ad al-'imam munadiyan: salah bi-dun wudu' ....!

11. A. shu ash-shabah bain an-na'ib illi ma^{c} es-salam wa-na'ib illi mish ma^{c} es-salam?.

    B. lithnain ib-salmu bi-hararah ^{c}ala ^{c}Abdel-salam.

12. A. shu-l-faraq bain Rabin wa-^{c}Arafat?.

    B.wahad bikrah Khamas wa-thani bikrah hamas.

13. fi hukumat baladi wizarah lil-shu'un al-insaniyyah wa-kalmat insanyyah mushtaggah min "insani".

14. Shaikh rah ^{c}almisbah wa-shaf bint labsah "kalsun" faqal istaqhfar Allah, ba^{c}dain shaf bint thanyih labsih "bikini" fa-gal istighfar allah, wa-ba^{c}dain shaf bint thalthah mish labsah wa-la shay...... fa-qal "haik es-sitaat willa balash!".

15. A. shu wajh es-shabah bain al-feezun wil-jazar?.

    B. l-ethnain bi-qauu el-nazar.

16. A. marrah daik dakhal ^{c}ala-mislakh tala^{c} yidhak. laish?.

    B. shaf jajah imshallaha.

17. wahad kan yasih bi-saut ^{c}ali fasa'aluh laish tasih? fa-qal hamati badha tirmi halha min-l-shubbak. Fa-qalu luh ma-tirmi halha. fa-qal ma-hu esh-shubbak mish radi yiftah.....!

Appendix

1. "ahil mahbula bifrishu firash an-num fi saht ad -dar wa-bi-namu juwweet al-ghuraf hatta yidhaku al- ^{c}garis.
2. "Mahbuli" hat tilfizyunain fauq ba^{c}d tayshuf siqan al-muthi^{c}a.
3. "al-mahbulin" ma-bi-ghraqu athna' es-sibaha li-anhum 'alwah.
4. ahil mahbula dahanu biyutahum athna' harb al-khalij bil-lun as-sakani li'anhum sim^{c}u ennuh attairat al-'amrikiyya la-taqsif al-'amakin as-sakaniyyah.
5. A. laish ahil "Mahbula" ma buklu ejjaj Limhammar?

   B. li-anhum bifakruh imsaddi.
6. A. laish ahil "Mahbula" bifukku bab el-hammam lamma bithammanu?.

   B. ^{c}alashan ma- hada yittalla^{c} ^{c}alaimhum min khuzug el-bab.
7. A. laish Mahbuli hat ibjanbuh kasain mayyih, wahad fadi wa-wahad malyan.

   B. Yamkin yi^{c}tash wa-yamkin ma yi^{c}tash.
8. Shaikh tamma^{c} fat ej-jannih wa-^{c}itah rabbuh qasrain, qam ajarrhin wasakan bin-nar!
9. ija rajul ^{c}ala shaikh wa-galluh : ihlikit yasidna es-shaikh.
   - es-shaikh : ihki wa-shshu gisstak ya-ibni?!
   - ar-rajul : bust marati el-yaum wani sayim, wi-idnya ramadan mithl ma-bti^{c}rif.
   - es-shaikh (ba^{c}d fatrat samt wa-tafkir) : kam sanah sar lak mitjawwiz ya-ibni).

- Shunnaq, A. 1998. 'Monitoring' and 'Managing' in Radio News Reports. *Interface* 12(2) pp. 125-135.
- Taylor, C.J. 1993. The pragmatic gap (The translation of deliberate irony). In *The Proceedings of XIII FIT World Congress*, vol. 1, 79-85.
- Wilss, Wolfram. 1994. Translation as knowledge based Activity. In Beaugrande, R. et al. (eds). *Language, Discourse and Translation: In the West and Middle East.* Amesterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company. 35-43.
- Wilss, Wolfram. 1996. Translation as intelligent behaviour. In Harold Somers (ed.). *Terminology, LSP and Translation.* Amesterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company. 161-168.

- Lew, Robert. (Forthcoming). Exploitaion of linguistic ambiguity in Polish and English jokes. *28th International Conference on Cross-Language Studies and Contrastive Linguistics*. Rydzyna. 15-17 Dec. 1994:
- Nilsen, Don L. 1989. Better than the original: humorous translations that succeed. *META* 34/1, 112-124.
- Radcliffe-Brown. 1979. *Structure and Function in Primitive Society*. London and Henley: Routledge and Kegan Paul.
- Raphaelson-West, Debra, S. 1989. On the feasibility and strategies of translating humor. *META* 34/1, 128-141.
- Redfern, W.D. 1985. *Puns*. Oxford: Basil Blackwell Publisher Ltd.
- Rosenthal, Franz. 1976. *Humor in Early Islam*. Westport: Greenwood Press Publishers.
- Shaeffer, Neil. 1981. *The Art of Laughter*. New York: Columbia University Press.
- Shultz, Thomas R., and Horibe, Frances. 1974. Development of the appreciation of verbal jokes. *Developmental Psychology*. 10/1, 13-20.
- Shveister, Alexander. 1993. Equivalence and adequacy. in *Translation as Social Action: Russian and Bulgarian Perspectives*. Edited and translated by Palma Zlateva.London and New York: Routledge, 47-56.
- Shakir, A. and Farghal, M. 1992. Gulf war jokes: cohesion and coherence. *TEXT* 12 (3) (1992), 447-468.

References

- Alam, Qaiser Zoha. 1989. Humour and translation: evidence from Indian English. *META* 34/1.72-78.
- Apte, Mahadev L. 1985. *Humor and Laughter*. New York: Cornell University Press.
- Attardo, Salvatore. 1990. The violation of Grice's maxims of jokes. In Hail Kira, et al. (eds.) 1990. *Proceedings of the 16th Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society*. 355 -362.
- Cuddon, J.A. 1986. *A Dictionary of Literary Terms*. Harmondsworth: Penguin.
- Draitser, Emil. 1989. Comparative analysis of Russian and American Humor. *META*, 34/1, 88-90.
- Goodenough, Ward H. 1981. *Culture, Language and Society*. Menlo Park (California): The Benjamin / Cumming Publishing Company, Inc.
- Grice, H.P. 1975. Logic and Conversation. In Cole and Morgan (1975 :41: 58). (Part of Grice (1967).)
- Karpf, Annemaric. 1986. The perception of ambiguity in a second language. *IRAL*. 24/2, 157-169.
- Kishtainy, Khalid. 1985. *Arab Political Humour*. London: Quartet Books Limited.
- Lendvai, E. 1993. Translating "Untranslatable" Russian jokes. In *Proceedings of XIII FIT World Congress*, vol. 1, 105-109.
- Leibold, Anne. 1989. The translation of humor; who says it can't be done?. *META*, 34/1, 109-111.

(5) An honorific title of a mosque preacher.

(6) *Sidi* is a colloquial honorific title used before the names of muslims saints. Its equivalence in English would be "Your Eminence the Shiekh".

(7) This is the fasting month in which Muslims are supposed to refrain temporaily from food, drink, and sex to direct themselves to higher things. Therefore, if a husband kisses his wife during the day of fasting his fasting will be nullified.

(8) In Islam "to build a mosque" means to be a sincere believer in God as mosques considered houses of God.

(9) *Wudū ʹ* (ablution) is an essential preparatory to prayers which includes washing face, hands, feet, ankle, etc. No prayer will be accepted without *Wudū ʹ*.

(10) A formular phrase used on various occasions, especially when someone sees something embarassing or against religious teachings.

(11) (Grice, 1975; Attardo, 1990; Shakir and Farghal, 1992, Lew, 1994; among others) point out that the two readings of any joke result from non-or misapplication of Grice's cooperative principle of conversation).

ر	**R**	م	**m**
ز	**Z**	ن	**n**
س	**S**	هـ	**h**
ش	**Sh**	و	**w**
ص	**S**	ي	**y**

Short	ــــ	=	**a**			
	و	=	**u**			
	ــــ	=	**i**			
Long	ا	=	**a**			
	و	=	**u**			
	ي	=	**i**			
Doubled :	ي	=	**iyy**	و	=	**uww**
Diphthongs :	و	=	**aw**	ي	=	**ay**

NOTES

(1) The researcher is indebted to both graduates and undergraduates of YU who contributed significantly to the general argument of this article. They kindly provided him with a number of impressive jokes and permission to use them (but with some adaptation).

(2) The researcher dissociates himself from any cultural stereotypes explained in the present article which only aims at discussing semantic and translational issues.

(3) This is a fictious name given by the researcher to a village near Irbid. *Mahbula* in Arabic means "stupid" and "idiotic". *Mahbulis* refers to the inhabitants of that village.

(4) English translated versions of NJ colloquial Arabic jokes are used in the text. The transliterated Arabic versions are given in the appendix. The following reading conventions are used in the transliteration of the data from Arabic:

ء		ض	d
ب	B	ط	t
ت	T	ظ	z
ث	Th	ع	c
ج	J	غ	gh
ح	H	ف	f
خ	Kh	ق	q
د	D	ك	k
ذ	Dh	ل	l

translatable into English, and the translation may retain most of the humorous value of the Arabic texts. This seems to be the case with most other jokes based on the pragmatic ambiguity.

5. Conclusion

The discussion maintained throughout this article has attempted to shed light on the phenomena of the semanticity, pragmaticity and translatability of selected jokes produced in NJ. The paper also classifies jokes according to the topics they treat: stupidity and naivety, religion, politics, among others. The article highlights the linguistic and pragmatic problems faced by a translator from Arabic into English. In analysing and translating the jokes under seperate headings and in illustrating their aptness or their ludicrous flatness, it has brought into focus the nature of the problems that the translator has to grapple with. It also points out that a joke could be categorized as linguistic if it can not be readily translated, and pragmatic if it can be readily translated, and that jokes involving pragmatic ambiguity are easier to be rendered than those involving linguistic ambiguity. Finally, the article recommends that jokes should be of special interest to students of semantics and translation as many of the subtleties of the cultural meanings are lost in translation since a good deal of humour is based on the linguistic ambiguity as well as on the pragmatic ambiguity.

expectation of the audience in showing that this accident may bereave him of his dear mother-in-law.

In joke (16) the part concerning the cock's laughing while getting out of the slaughter house fits in with the principle that ludicrous context induces pleasure. This joke violates the laws of nature and the restrictions of morality. In this spirit Shaeffer (1981: 19) has the following to say:

> What the ludicrous context does is to suggest that for the prupose of pleasure, and during the extent of the ludicrous event, we may allow ourselves to suspend the rules by which we normally live - the laws of nature, the restrictions of morality, the sequences of logical thought, the demands of rationality - in short, we are encouraged to suspend the internal law of gravity, our seriousness.

This discussion would be applicable to the jokes of the present study, such as jokes (1, 2, 8, 9, 14 and 15).

The humor of joke (9) and (14) basically resides in the contradictions. In the former example, the Sheikh contradicts the teaching of Islam by delivering a formal legal opinion that does not fit in with the situation: the man can continue fasting, though he kissed his wife. In joke (14) the Sheikh suspends the restrictions on morality and the claims of rationality by showing his fascination with the third girl - the naked girl.

Shaeffer (1981: 50) emphasizes that contradictions are inevitable and necessary in jokes while other kinds of jokes would likely be harmed by such contradictions. So the jokes (9) and (14) above carry a special and a personal pleasure to all who have heard them. They are readily

13, and 19) into English were discussed in the course of the discussion above.

4.1.2 Prosodic features

The linguistic term "prosody" is used in the present study loosely to refer to variations in 'pitch', 'loudness', 'tempo' and 'rhythm'. Joke (12) exhibits a phonological ambiguity. In this case, we have a text receiver who realizes phonetically /h/ as [kh]. In short, it is the alteration of the common sound that makes the linguistic difference. Phonological jokes do not lend themselves to translation.

4.2. Pragmatie Problems

Shakir and Farghal (1992: 447-468) studied a number of war jokes generated in the Jordanian street during the Gulf war. Their analysis of a sample of jokes addreses four parameters, the third of which was "the role of pragmatic strategies in maintaining communication among the parties involved in the joke".

The type of ambiguity explored in some of the jokes discussed above (for instance 1, 2, 9, 15, 16, 17 and 18) has its roots in the Cooperative Principle and its submaxims of Quality, Quantity, Manner and Relation (Grice, 1975)[11]. As an illustration, consider jokes (1, 5, 9, 11, 14, 15, 16, 17 and 18).

The ambiguity of (18) resides in the first part of the joke (Husband. If I die marry our neigbour). Here, the wife does not know the cause, so she promptly asks him (why?). In joke (17) the part concerning the man who was shouting and crying because his mother-in-law was about to commit suicide, utilizes a popular conventional implicature, embedded in the feeling of hatred for 'mother-in-law'. He violates the

require the same amount of intelligince, and not all translation problems are solved in essentially the same way.

Other scholars (Shultz and Horibe, (1974), Alam (1989), Raphaelson-West (1989), Leibold (1989), Nilsen (1989), Lendvai (1993), Taylor (1993), and Lew (1994), among others) dealt with translatability of jokes agreeing that there are certain types of jokes which may be untranslatable due to linguistic and cultural restrictions.

4.1 Linguistic problems:

As both Arabic and English are remote linguistically, it is axiomatic, therefore, to say that translating from Arabic into English is a difficult task. Linguistic ambiguity creates difficulties in translation. "Such ambiguity can reside in a range of components of the linguistic system, such as the syntax, the lexicon, or the phonology" Lew (1994: 1). In fact, some of these components overlap in certain contexts.

4.1.1. Puns

Pun is a literary and linguistic term which involves a play upon words. Cuddon (1986:541) points out that puns are very often intended humorously. Puns play a key role in the construction of jokes. The humour of certain jokes resides in the ambiguity of puns used. Redfern (1985: 169) points out that puns and poetry are often held to be untranslatable.

In our examples of NJ jokes, we have (4) out of (19) in which the humour of these jokes is wholly derived from the puns used in these examples. The translational difficulties in rendering examples (3, 4,

humorous texts due to the choice of words, linguistic structures, and cultural gaps, among others. The discussion and the examples in section (3) above show that certain jokes (such those in examples 1, 2, 5, 6, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 14, 15, 16, and, 18) are readily translatable into English and the translation retains all of the humorous value of the original as these jokes are based on pragmatic ambiguity. However, we hasten to say that many of the subtleties of the Arabic jokes' cultural meanings are lost in translation. Numerous translational difficulties: linguistic, pragmatic, cultural, and collocational were encountered when the translation of the 19 jokes of NJ cited above was carried out by the students and the author inside the classroom. The translation shows oddities and discrepancies. Indeed, anyone who has good command of the two languages, i.e Arabic and English, will easily figure out the loss of meaning in the above versions translated into English. This loss of meaning can be mainly ascribed to the cultural differences between Arabic and English. "An implication of the contextual view is that translation can be properly understood only within a sociocultural frame of reference which may will differ among languages, text types, or cultures" Wilss (1994: 37).

In translating the nineteen jokes from Arabic into English, the translators attempt to maintain as much of the cultural and linguistic meaning as possible. Considering the jokes of the present article one may say as Shveitser (1993:51) puts it that "Full equivalence, embracing both the semantic and pragmatic levels, as well as relevant types of functional equivalences, appears to be an idealized construct." This was supported by Wilss (1996: 168) that translators must deploy their intelligence in a manner which guarantees a functional pragmatic equilibrium between the source and target text. Furthermore, translation is an intelligent activity but not all translation situations

(19) Q. What is the difference between *al-magdūs* (pickled egg-plants) and a divorced woman?

A. al-magdūs has jōz (walnut), whereas the divorced woman does not have jōz (husband).

Jokes in examples 17 and 18 could be pragmatically rendered into English without much loss of meaning, as their concepts could be universal. In the joke of example (17) the joker's relationship with his mother-in-law is considered as one of enemity (wishing that the windows would open), whereas, the people thought it was a sign of friendliness. Thus flouting the maxim of predictability. However, joke (19) involves a linguistic problem (i.e the pun on *jōz*, which is ambigous and could mean both 'walnut' and 'husband'). Rosenthal (1976: 1) says in this spirit: "The humor of puns and all other variations of verbal jokes has its origin in the fact that human expression moves in quite narrowly circumscribed and usually logical channels. Any deviation from those channels is keenly felt as a release from conversational restrictions and therefore is humorous".

4. Translatability of NJ jokes

The terms "translatability" and "untranslatability" have long been used in translation theory, sometimes loaded with different meanings and often treated as antonyms. As noted by Shunnaq (1998: 125) "The most disputatious issues in translation theory concern fidelity, translatability, and the choice of words and linguistic structures when rendering from source language to target language, particularly in regard to the demands for lexical, syntactic, semantic, rhetorical, ideological, and cultural 'equivalence'." Hence, in the Arabic/English jokes a translator often encounters problems with the translatability of

In example 14 above, which could also be cross-listed with religious jokes discussed above, some sheikhs may be stereotyped among some people in the Arab World as some priests may be stereotyped for hypocricy among some people in the West. Apte (1985: 113) points out that "Lippmann defined stereotypes as mental pictures formulated by human beings to describe the world beyond their reach. He stated that stereotypes at least partially are culturally determined". The researcher agrees with Lippmann in that the content of stereotyped religious jokes are factualy incorrect and that they are the products of faulty reasoning as our examples (14-16) have demonstrated.

3.5 Jokes expressing kinship issues

Jokes in Arabic involving kinship lexical items are difficult to be rendered into English as their meanings differ from the connotative meanings of their transltions in English. Examples (17-19) below provide jokes expressing some vexing issues of kinship:

(17) A man was shouting and crying. When he was asked about the cause, he said:

"My mother-in-law wants to throw herself (commit suicide) from the window".

The people said to him: "Let her do it!"

He replied: "Oh! How could she? The window would not open!"

(18) A peasant told his wife: "If I die marry our neighbour". The wife asked "Why?" The husband replied: "He cheated me by selling me a nag (col. female old horse)."

(1989: 90) has the following to say in this respect: "In fact, some Russians entertain a point of view that no dirty jokes could be too dirty. Indeed, Russian jokes of this type seem to be more graphic or descriptive, perhaps in an attempt to fill the void of erotica in the absence of pronographic movies and magazines (either hard or soft) or even exposure to a female beauty, *playboy style* ".

Now let us consider the sexual jokes (14-18) below:

(14) Once a Sheikh visited a swimming pool. He saw a girl wearing only a pair of women's drawers. He said *astaghfir-u-llah*[(10)] (I ask God's forgiveness), then he walked further and saw a second girl wearing a *bikini*, he again repeated *astaghfir-u-llah*. and finally he saw a third girl wearing nothing. Now, he promptly said: "Girls must be like this one or they should not be at all".

(15) Q. What is the similarity between *alfeezun* (a very tight pair of trousers worn by young girls) and the carrot?

A. Both improve one's eyesight.

(16) Q. Once a cock entered a slauglter house and it was observed laughing when it left it. Why?

A. He saw a naked chicken.

The recipients of jokes 14, 15, and 16 above should consider them pragmatically if appreciation of such jokes is sought. It is not difficult to render such jokes into English because pragmatics is more universal in scope than linguistics. Nilsen (1989: 113): "Whereas phonology, morphology, and syntax are language specific, pragmatics is more universal in scope; therefore, translation at this level is often more effective".

"'deliberate' ambiguity in the form of puns, verbal jokes or riddles is aimed at being detected, analyzed and appreciated by the competent speaker of the language. The ability to perform these perceptive tasks does not solely depend on the linguistic skill of a speaker but also largely on his metalinguistic konwledge".

3.4 Jokes expressing sexual issues

Some people may tremble with fear or feel nauseated or both at the thought of producing jokes expressing sexual issues especially in conservative cultures like the Arab culture. The researcher, in fact, found himself in such a fix while he was thinking about sexual jokes until he read the view of Ibn Qutabya (an ancient Arab scholar) about such an issue (quoted in Khishtainy (1985: 11)): "Do not out of piety or piosity raise your eyebrow and look askance at the mention of the [sexual] organs, for there is no sin in that. The sin is to defame honour, tell lies and give false witness".

It is axiomatic to say that telling sexual jokes depends on the nature of relationship between the joke producer and the joke receiver, which is considered as a significant sociological issue. For instance, a university student may tell sexual jokes to his student colleagues but not to his teachers, and a husband may tell such jokes to his wife but not to his daugher, mother, or sister. On the "joking relationship", Radcliffe - Brown (1979: 90) has the following to say: "the term 'joking relationship', is a relation between two persons in which one by customs is permitted and in some instances required, to tease or make fun of the other, who in turn is required to take no offence".

Jokes in general, and sexual jokes in particular, could be categorized into those that could be told to anyone, those that can be told amongst men, and those that can be only told to very close friends. Draitser

A. One hates <u>*Kh*</u>*amas* and the other hates *Hamas*.

(13) In the government of my country, there is a ministry for *al-shu'un al'-insā niyyah* (human, i.e social affairs). (The word'*insā niyyah* 'human' is derived from the root *nasiya* 'forgot'.)

The pun in example (11) pragmatically suggests that there is no real opposition to the peace treaty recently signed between Jordan and Israel. The evidence is that both parties (Pro-and anti-government) in the Jordanian Parliament are pleased with the good offices of Abdel Salam. In other words, both opponents and proponents are agreed on the same policy.

Similarly in the joke of example (13), there is no crucial differnce between the stance of the Israeli Prime Minister Rabin and that of the Palestinian Leader Arafat towards *Hamās* (the Palestinian Islamic Movement) except in the pronunciation of the Arabic consonant [h]. Rabin pronounces it as [kh], whereas Arafat pronounces it as [h].

In example (13) the potential in this joke for the varieties of meanings of the lexical item *'insā ni* (human) depends upon the freedom granted by the ludicrous context. The lexical item *'insā ni* (human), out of this joke's context, could be used as an adjective to mean "human, humane, humanitarian, philanthropist" or as an imperative sentence to mean "forget me". A good translation for this joke requires an efficient blending of linguistic and pragmatic ingredients. In this example, it is the pragmatic aspect (i.e 'Ministry of Forget Me' rather than 'Ministry of Social Affairs') which is prominent. It is made plain that the joker is deliberately resorting to the ironic discourse. The difficulty in translating this joke mainly lies in the phonological ambiguity of the pun *'insā ni*. In this spirit, Karpf (1986: 157) points out that

3.3 Jokes expressing political issues

It could be safely assumed that the majority of writers shun writing about political jokes in the Arab World as they consider it a hazardous task, involving much risk. However, due to the democratic climate in Jordan these days, it can be argued that such hazards and risks are no longer in existence, that is why people feel free to produce jokes touching on various political issues.

> Kishtainy (1985:5) points out: "In the contemporary world of the Arabs we can find practically all the reasons, which made humour relevant to politics. There is the great gap between the earlier promises and hopes, the sense of past glory, the rich resources, the strategic position and the human potential on the one hand, and the political chaos, tyranny, dismemberment, fratricide and successive failures and defeats on the other. It is a perfect contrast between the conception and reality".

Now cosider examples (11-13) below:

(11) **Q.** what is the similarity between an MP who is for *salam* (peace) and an MP who is against *salam* (peace)?

A. Both warmly shake hands with *Abdel salam*. (Be it known that Abdul-Salam 'an ex-Jordanian Prime Minister' has been one of the peace architects between Jordan and Israel).

(12) **Q.** What is the difference between Rabin and Arafat?

be easily grasped if the recepient is aware of the joker's intentionality (i.e bringing out the *Sheikh's* greediness).

In example (9), the interlocutors (the *Sheikh* and the man) are actively engaged in an exchange, which starts seriously but ends ludicrously. In the last stretch of his speech, the *Sheikh* implies that that sort of wife (after ten years of marriage) has ceased to appeal to her husband. The *sheikh* couldn't finish the last utterance of his exchange (It's like licking my "......") because 'buttocks' or 'ass' are taboo words indicating sexual connotation. The message of the joke may not be received by western audience who are unaware of Islamic culture. If this is uttered particularly by a *Sheikh* who is expected to be both righteous and well-mannered, it will violate the maxim of "politeness" in Arabic and look humorous. In contrast, if this joke is produced, say, by a youngman it will not be as ludicrous as in this example.

By the same token, the joke in example (10) involves some "untranslatable" lexical units (namely: "building a mosque" and "prayers without *wudū* !"). In fact, anyone who is not fully aware of the denotative and connotative meanings of these religious expressions will find much difficulty in appreciating and comprehending the joke. Generally speaking, the translation of this joke may not be fully grasped by westerners due to its complex character and the high density of cultural obstacles.

It is clear that the above jokes on religion (8-10) strike a balance between explicitness and implicitness. In this spirit Lendvai (1993: 105) observed that: "Joke organization requires an optimal balance between explicitness and implicitness. Genenally speaking, jokes should be characterized by high degree of implicitness in order to preserve communicative tension before the punch line. Thus, joke - explications must be restricted to the necessary and sufficient level".

(9) A man came to the *sheikh*[5] and said : *Oh sidi*[6] the *sheikh*. I feel miserable!!

The Sheikh: What is the matter with you, my son?

The Man: I kissed my wife today while I was fasting and, as you know, we are in *Ramadan*[7].

The Sheikh: (after a silence and speculation) How long have you been married my dear son?

The Man: ten years.

The Sheikh: Carry on your fasting; it's like licking my ...... (buttocks).

(10) One wanted to compete with his neighbour in building a mosque[8] opposite to the one built by that neighbour. Unfortunately, worshippers did not come to pray in his newly - built mosque.

So, he sat in front of his mosque shouting: "Come on in here prayers, without *wudū* (ablutions)![9]"

It can be expected that the religious terms used in examples (8-10) will be familiar to the recipients as they relate to universal and/or Christian premises; otherwise there will be no appreciation of these jokes whatsoever. In fact, it is possible to translate these jokes if a translator keeps in mind that the TL will not be always as humorous as the SL. That is why the translator should locate the humorous element of the joke and then try to interpret it before rendering the joke into English.

In example (8) above, the joke presents no translation difficulties and, in fact, was well translated into English. The translation retains all of the ludicrous values of the original. Its pragmatics and semantics will

presuppose a background about *Mahbula* and its population in the minds of the recipients, or else they fall flat. However, for Arabs in general and Jordanians in particular these jokes accurately capture the spirit of the ideas expressed and succinctly describe the *Mahbulis'* daftness. It should be noted that the jokes were told and retold by young people, particularly university students. They spread very quickly among them.

In Arabic, as well as in other languages, the humour may come from ambiguity. Jokes in example (3) and (4) above are good examples of this semantic phenomenon.

3.2 Jokes expressing religious issues

Religion is a very sensitive issue that is why people often steer clear of producing religious jokes. Interpretation of a lexical item in a religious context is very different from its interpretation in, say, the context of chemistry. In the former the denotative plus the connotative meanings should be considered, whereas in the latter the denotative would suffice. In translating Arabic religious jokes into English, a translator should be aware of the fact that most jokes in Arabic would involve Islamic issues whereas jokes in English usually involve Christian ones. In fact, Arabic and English are two languages, which are culturally remote. Hence, a translator dealing with these languages should be aware of this fact as well as of the notion of equivalence, particularly when rendering Arabic jokes expressing religious issues.

To illustrate the above discussion further, consider jokes (8-10) below:

(8) A greedy *sheikh* entered the Gardens of Eden and God bestowed upon him two palaces there. He let both of them and dwelt in Hell.

considered. However, the jokes in examples 3 and 4 above are untranslatable due to linguistic constraints.

The Arabic puns *'alwā h* (boards) and *sakani* (grey) used in examples (3) and (4) respectively are often held to be untranslatable into English. In colloquial Jordanian Arabic *lō h* means either "a wooden board" or "daft". That is why we see no humour in its literal translation. Similarly the word *sakani* means either "ash gray colour" or "place of residence".

The ambiguity here lies in the ineptness of these puns when rendered into Englsih, as they do not elicit any comic response. Indeed, the puns rooted in the pecularities of the SL fail to communicate in the TL. To this effect, Raphaelson - West (1989: 131) writes: "A major factor is not only the nature of the joke but the relationship of the languages in question".

Raphaelson - West (1989: 132) points out that according to the American humorist Larry Wilde, what we call Polish jokes are relatively universal. The testimony is as follows: "In England, they are Irish jokes. In Texas, they are Aggie jokes (about the Texas Agriculural School). In Canada, they are Newfie jokes".

In order for joke receivers to appreciate the humorous content of the joke in example (1) above, they need to know that the *Mahbulis* (the population of *Mahbula*) are stereotyped in NJ as naive and stupid. Thus, being so daft, the *mahbulis* think they can sleep inside their homes without annoyance as they think they could deceive the mosquitoes through the simple action of spreading their matresses and beddings on the courtyard.

Similarly examples 2,5,6 and 7 appeal so much to the recipients as they express naivety and stupidity of the *Mahbulis*. In fact, these jokes

(6) **A.** Why do the people of *Mahbula* unhinge the door of the bathroom while taking a shower?

B. In order that no one may peep through the keyhole.

(7) **A.** Why does a *Mahbuli* put two glasses of water: one full and the other **empty** on his side table?

B. He may get thirsty and he may not!

It is customary among North Jordanians to mock of the *Mahbulis* as soon as the name is heard. They readily crack jokes that target them. Such jokes may sound insignificant to non-Jordanians, let apart non-Arabs. That is why even when one North Jordanian says: "That is the funniest thing I've ever heard", we should not expect a westerner to show the same response. However, some types of jokes travel well among westerners. In this spirit, Lendvai (1993: 107) says:

> Jokes are regarded as pieces of folklore, which make up a more or less open and flexible system inside the culture of a given language. In a strategic approach it is crucial to compare the joke system of the source language with that of the target one. As a result one can arrive to [Sic.] the conclusion that some types of jokes (with no linguo-cultural pecularities) travel quite well, i.e identical and/or analogous jokes can be found in different joke systems.

With reference to the above jokes, it can be argued that the jokes in examples 1,2,5,6 and 7 could be appreciated by westerners and even be appropriately rendered into other languages if they are pragmatically

it to suit their own goals or their own audience. The majority of jokes are produced by jokers or inherited from the former generations. In order not to offend certain people the researcher opts, in some examples, to use a fictitious name. The paper categorizes jokes according to the main fields they experss: jokes about stupidity and naivety, religion, politics, sex, and kinship [(2)].

3.1 Jokes expressing "stupidity" and "naïvety"

People of NJ produce much humour about the people of *Mahbula*[(3)]. North Jordnians make fun of *Mahbula*, whose people are stereotyped for both "stupidity" and "naivety", and they have been targeted by North Jordanian jokers. To tell the truth, the *Mahbulis* have proved to be shrewd and intelligent. Consider jokes [(4)] (1-7) below on *Mahbula*:

(1) The *Mahbulis* spread their beddings on the house courtyard and then go to sleep inside the rooms in order **to cheat** the mosquitoes!

(2) A *Mahbuli* put two television sets one on top of the other so as to see **the legs of the female news-reader!**

(3) The *Mahbulis* do not drown while swimming because they are ***alwā h*** (boards)!

(4) The *Mahbulis* painted their houses *sakani* **(grey)** during the Gulf war because they heard that the American jet-fighters do not bomb *al'-ahdā f al-sakaniyya* **(grey inhabited houses)**.

(5) **A.** Why do the people of *Mahbula* not eat fried chickens?

B. Because they think they are **rusty**!

in the course of teaching Arabic-English translation that, so far, no satisfactory treatment of the subject has been offered.

The value of this article is theoretical as well as practical. Theoretically, it attempts to shed light on jokes in NJ: their categories, semantics, pragmatics, translatability and extra-linguistic factors. Practically, it will illustrate the difficulties faced by translators when rendering NJ jokes into English. It is hoped the practical part will answer questions such as: What are the main strategies of expressing jokes? Are linguistic and cultural problems in translating NJ jokes always bridgeable? At this juncture, it is too early to give a firm answer to the second question.

2. Data collection

The data were collected from about 100 B.A. students in the undergraduate Semantics course (ENG 417) taught by the present researcher at the Department of English Language and Literature at YU during the academic year 1993/1994. The students came from almost all NJ villages and towns. The compiling of jokes was spontaneous and the students were encouraged to feel free to compile jokes of all types to reflect the real situations. The seminars and lectures of the M.A. students[1] in Translation at YU also helped in realizing the main problems faced in translating such NJ cultural expressions. The translations provided in the present article were done by the students and the researcher inside the classrooms.

3. Categories of jokes

People living in towns and villages of North Jordan produce jokes of various types. They sometimes hear a certain joke but they later adapt

culturally. They abound in phonological, syntactic, semantic, and pragmatic patterns that may be totally different. The level of creativity in rendering SL jokes into TL jokes is singularly high, probably as high as the translation of Holy Scripture and poetry. Furthermore, the translator of a humourous text should be both an interpreter and an appreciative person. Unfortunately, there are translators who do not appreciate humorous texts and do not even comprehend them. To those, the translation of such texts would cause a problem as it involves cultural specificities of the humorous works. In this spirit Goodenough (1981:1) points out: "People do, indeed, differ in language and custom. But the precise ways in which languages, cultures, and peoples relate to one another are more complicated than we commonly assume". Leibold (1989:109) believes that humour is translatable although it is a challenge:

> The translation of humor is a stimulating challenge. It requires the accurate decoding of a humorous speech in its original context, the transfer of that speech in a different and often disparate linguistic and cultural environment, and its reformulation in a new utterance which successfully recaptures the intention of the orginal humorous message and evokes in the target avdience an equivalent pleasurable and playful response.

1. Objectives

The factors which originally motivated me to conduct the research in the present article are my own interest in the phenomena of jokes, their semanticity, pragmaticity and translatability, as well as my realisation

O. Introduction

Jokes in NJ, which are rich in humour, have received very little attention from semanticists, pragmaticists, translation theorists, sociolinguists and anthropologists in Jordan. Moreover, most researchers steer clear of this topic due to its sensitivity, as it involves jokes about stupidity and naïvety, religion, politics, sex, among other topics.

This paper is intended to shed light on the semanticity and translatability of jokes in NJ and also to show the main problems a translator may face in rendering Arabic jokes into English. It will, it is hoped, to be of value to semanticists and translators alike, particularly when the cultural differences between Arabic and English are considered.

"Jordanians are serious, they do not have a sense of humour and even they do not know how to laugh. In the streets of Amman most people look as if they were thinking seriously of their own affairs and very few people smile or laugh". This generalizing comment was made by an Egyptian friend of mine, the Egyptians being renowned for the spontaneous cracking of jokes, who had been on a visit to Jordan. However, the present article attempts to challenge this premise and to show that Jordanians, like other peoples, create and appreciate jokes to avoid expressing explicitly such taboo issues as political, social, sexual or religious ones. Indeed, Jordanians, particularly young people, enjoy and appreciate listening to jokes and they also love puns.

It goes without saying that the translatability of jokes does not stand apart from translatability in general, but could be considered a special case of it. In fact, jokes can be considered among the most difficult texts to translate, particularly when we deal with Arabic and English, two languages which are remote not only linguistically but also

Semanticity, Pragmaticity, and Translatability of Jokes in North Jordan

Dr. Abdullah Shunnaq
Department of English
Yarmouk University

Abstract

The article deals with the phenomena of "semanticity", "pragmaticity", and "translatability" of jokes in North Jordan (henceforth NJ). It is based on the analysis, categorization and translation of selected jokes collected from Yarmouk University (henceforth YU) students. The paper attempts to shed light on different types of jokes in towns and villages of NJ and to categorize jokes into jokes about stupidity and naivety, politics, religion, sex, and kinship. The non-equivalent translation of the Arabic - English jokes, in the present article can be mainly ascribed to linguistic, pragmatic, and cultural issues.



- تاجر، جاك (١٩٤٥): حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، القاهرة،دار المعارف بمصر.
- عبد الرحمن، طه (١٩٩٥): فقه الفلسفة: ١ــ الفلسفة والترجمة، الدار البيضاء وبيروت، المركز الثقافي العربي.
- عثمان، عبد العزيز محمد (١٤١٢هجري ١٩٩٢ ميلادي): "ترجمة القرآن الكريم: بين واقعنا المعاش ومستقبلنا المنشود"، في الصحوة الإسلامية، الهند، الجامعة الإسلامية دار العلوم حيدر آباد.
- نعمان، الدكتور أحمد بن (١٩٨١): التعريب بين المبدأ والتطبيق الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- مواعدة، محمد (١٩٨٦): حركة الترجمة في تونس وأبرز مظاهرها في الأدب (١٨٤٠ ــ ١٩٥٥)، طرابلس (ليبيا) وتونس، الدار العربية للكتاب.

Received 10/6/1999

- الخوري، شحادة: (١٩٨٧): تعريب التعليم الطبي والصيدلي في الوطن العربي،بيروت، دار الرائد العربي.
- الصافي، عثمان عبد القادر: (١٩٩١): القرآن الكريم: بدعية ترجمته ألفاظه ومعانيه وتفسيره وخطر الترجمة على مسار الدعوة ونشر رسالة الإسلام، بيروت ودمشق، المكتب الإسلامي.
- الصيادي، محمد المنجي (وأخرون): (١٩٨٢): التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- **الصيادي، محمد المنجي (طبعة ثانية ١٩٨٢): التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.**
- الشباب، عمر شيخ: التأويل ولغة الترجمة: نحو نظرية لغوية لدراسة الإبداع والاتباع في الترجمة، بيروت، دار الهجرة.
- المبارك، مازن، (١٩٨٥): اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، دمشق، دار النفائس.
- بناني، محمد الصغير (١٩٨٣): النظريات اللغوية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- بدوي، عبد الرحمن (بدون تاريخ): دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، تقويم عام لتحقيق التراث اليوناني المترجم إلى العربية، بيروت المؤسسة، العربية للدراسات والنشر.
- بدوي، عبد الرحمن (١٩٨٩): موسوعة المستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين.

- NIDA, EUGENE A , (1994): "The Sociolinguistics of Translating Canonical Religious Texts", *TTR*, 7, 1, pp. (191-217), Canada.
- PRASAD, INDIRA (1990): "Translation and Adaptation: Their Respective Realms", *International Journal of Translation*, 2, 1, pp. (37-45), India.
- Pym, Anthony (1994): "Twelfth-Century Toledo and Strategies of Literalist Trojan Horse", *Target*, 6, 1, pp. (43-66), The Netherlands.
- RANTANEN, AULIS (1991): "On the Treatment of Elements That have to be Left Untranslated", *International Journal of Translation*, 3, 1-2, pp (1-12), India.
- THOMAS, STEPHEN, (1994): "Relevance and Translation", *Turjuman*, 3, 2, pp (37-49), Morocco.
- SHUNNAQ, ABDULLAH T, (1994): "Semantic Redundancy and Translation from Arabic into English", *Turjuman*, 3, 2, PP (103-120), Morocco.
- SWALES, J. M. (1990): Genre Analysis: English in Academic and Professional Settings, Cambridge, CUP.
- WIDDOWSON, H. G. (1978): *Teaching Language as Communication*, Oxford, OUP.

Arabic References

- الجابري، محمد عابد (١٩٩١): تكوين العقل العربي، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- الجابري، محمد عابد (١٩٩٣): بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، بيروت، المركز الثقافي العربي.

- ELLIS ,JEFFERY (1966): "On Contextual Meaning" in Bazell, C. E. et al (Eds.) *In Memory of J. R. Firth*, London, Longman.
- HALLIDAY, M. A. K. (1967-8): "Notes on Transitivity and Theme in English", Parts 1-3, *Journal of Linguistics*, (1967), pp 37-81; (1967), 199-244; (1968), 179-215.
- HALLIDAY, M. A. K. AND HASSAN, R., (1976): *Cohesion in English*, London, Longman.
- HAMMOND, G., (1993): "The Authority of the Translated Word of God: A Reading of the Preface to the Bible", in *Translation and Literature, Vol 2*, Edinburgh, EUP, pp (17-36).
- HAWAS, HAMID M, (1990): "Some Lexical Problems in English-Arabic Translation", *International Journal of Translation*, 2, 1, pp. (59-66), India.
- HEWSON, L.and MARTIN, J. (1991): *Redefining Translation: The Variational Approach*, London, Routlege.
- HUSAYN, A. al -D. A , (1984): The Application of Semantics to the Translation of pre-Islamic poetry, with Special Reference to the Mu'allaqa of Imru'il-Qays, Unpublished Ph. D. thesis, St. Andrews University, UK.
- ILYAS, A. I., (1982): *Linguistic and Extra-Linguistic Problems in the Translation of the Holy Qur'an*, Unpublished Ph. D. thesis, St. Andrews University, UK.
- MACQUARIE, JOHN, (1967): God Talk: An Examination of the Language and Logic of Theology, London, SCM Press Ltd.
- NIDA, EUGENE A, (1994): "Translation: Possible and Impossible", *Turjuman*, 3, 2, pp (147-163), Morocco.

Anotada y Coentada.., Barcelona, Juan Aleu, Editor, Calle De Tallers.

Vernet, J. (1980, 1993): *El Coran*, Barcelona, Plaza & Janés Editores.

Russian:

Cασ YKOβα (1878):

Ahmedi Sect (no date):

REFERENCES

- AL-SHABAB, OMAR S. (1997): "Translating with Difference", in Al-Shabab, O. S. and Baka, F., *Linguistic Applications: Teaching English in Arabic Context*, Damascus, Dibs Typesetting, (1997), pp (83-165).
- AL-SHABAB, OMAR S. (1996): Interpretation and the Language of Translation: Creativity and Convention in Translation, London, Janus.
- ABDERRAHMAN ,W, H., (1981): *The Role of Derivation in the Process of Neologisation in Modern Arabic*, Unpublished Ph. D. thesis, London University (SOAS), (UK).
- BASSNET-MEGUIRE, S., (1982): *Translation Studies*, London, Methuen.
- CHANDRA, SURESH, (1990): "Disturbing Aspects of translation", *International Journal of Translation*, 2, 1, pp. (23-36), India.
- COPELAND, RITA (1994): "Rhetoric, Hermeneutics, and Translation in the Middle Ages: Academic Traditions and Vernacular Texts", *Anglia*, 112, 1-2, pp 180-183, Germany.

Anonymous (1649): The Alcoran of Mahomet, Translated out of Arabique into French, by the Sieur Du Ryer...And Newly Englished, for the Satisfaction of all that Desire to Look into Turkish Vanities, London.

Arberry, A. J. (1955): *The Koran Interpreted*, New York, 1Macmillan Publishing Co., Inc..

Irving, T. B., Ahmed, K. and Ahsan, M. M. (1979): *The Qur'an: Basic Teaching*, London, The Islamic Foundation.

Irving, T. B. (1992): *The Noble Qur'an: Arabic Text and English Translation*, Brattleboro, Vermont USA, Amana Books.

KFS (1990): *The Holy* Qur-an: *English Translation of the Meanings and Commentary*, Al-Madinah Al-Munawarah, King Fahd Holy Qur-an Printing Complex.

Rodwell, J. M. (1861): The Koran: Translated from the Arabic, the Sura Arranged in Chronological Order, London and Edinburgh, Williams and Norgate.

Sale, G. (1734): The Korân: Translated into English from The Original Arabic, London, Frederick Warne.

Italian:

Bonelli, D. L. (1987): *Il Corano: Nuova Versione Letterale Italiana*, Milano, Ulrico Hoepli Editore

Calza, V. (1847): *Il Corano Versione Italiana del Cav...*, Bastia, Della Typografia Di Cesare Fabiani.

Spanish:

De la Puebla, D. V. Ortiz (1872): El Coran Ó Biblia Mahometana Seguido de la Biografia de Mahoma: Primera Version Española

Blachère, R. (1957, 1980): *Le Coran: (al-Qor'ân)*, Paris, G. P. Maisonneuve & Larose, Éditeurs.

Du Ryer (1647): *L'Alcoran de Mahomet*, Paris, Antoinne de Sammauille.

Fatma-Zaida (1861): *L'Alkoran: Le Livre par Excellence*, Lisbonne, Imprimerie de la Société Typographique Franco-Portugaise.

Hamza, C. B. (1989): *Le Coran*, Alger, ENAG/Editions.

Kechrid, S. E. (1979,1984): *al-Qur'an al-Karîm*, Beyrouth, Dar El-Gharb El-Islami.

KFS (1990): *Le Saint Coran: et la Traduction en Langue Française du Sens de ses Versets*, Al-Madinah Al-Munawwarah, King Fahd Holy Qur

Savary, M. (1783): *Le Coran*, 2 Volumes, Paris, Knapen and Fils.

German:

Megerlin, M. D. F. (1772): *Die Türkische Bibel, Oder des Korans*, Franckfurt am Mann, Ber Johann Gottlieb Garbe.

Paret (1983): *Der Koran*

Rückert, F. (1888): *Der Koran*, Frankfurt am. Mann.

Schweiggern, S. (1623): Alcoranus Mahometicus, das ist: der Türcken Alcoran, Nürnberg.

English:

Al-Hilali, M. T. & Khan, M. H. (1993): *The Noble Qur'an: in the English Language*, Riyadh, Maktaba Dar-us-Salam.

Text satisfies a certain desire. But its function and meaning in its new habitat can hardly be that of the native original entity. Not only the shape of the TT, a foreign entity, is different; but reality itself which gives it its function and meaning is different. At the end, in all cases translation produces difference; in part it embraces inadequacy; and on certain occasions it woos impossibility. Its rises and falls mirror the human condition in which any human enterprise is imprisoned in a linguistic game, rich in possibility, but removed from reality.

Having registered this additional vain note about my topic, Translation, I have to resort to the most definite reality which punctuates human language and existence, **silence**.

Notes

1. The words (i. e. characters and spelling) in tables 1 and 2 are quoted as they are written in the original document.
2. The following translations of the Quran have been used as source texts in this paper .

Latin:

Retenensis, R. and Dalmati, H. (trabslated 1143, published 1543): Machumetis Sarracenorum Principis Vita ac Doctrina Omnis, Quæ &... Alcoranum Dicitur, ex Arabica Lingua ante cccc Annos in Latinam Translata..., 3 Volumes, Basle.

Marracci, L. (1698): *Refutatio Alcorani*, 2 Volumes, Patavii, Typographia Seminarii.

French:

Ben Mahmoud, N. (No Date): *Le Coran*, Dar Al-Fikr.

study of translation data derived from TTs (see pp. 72-87). The new methodology should be empirical in the sense of being testable. It should capitalize on the potential of the structuralist methodology and add to it new non-structuralist dimensions.

8. Finally, there is an important aspect of the translations of The Quran into European languages which should not go unnoticed. This is seen in the contributions of many "orientalists" and "Arabists" of European nationality and/or origin, as translators, commentators and academics, who study Islam and the Arabic language and culture from the point of view of Christianity and the West. It is enough to notice that the overwhelming majority of the translations of the Quran have been carried out by non-Muslim Europeans and non-Arab Muslims.

This complex and controversial aspect of Arabic linguistics and Islamic studies cannot, however, be resolved in this paper. But a comprehensive study of the translation of the Quran into European languages will not be complete without a thorough discussion of orientalism and its role in Arabic history and culture.

This paper has come after a silence of ten years. It gives another example which shows the centrality of the study of difference to translation. In addition, it indicates to the place of the notions of inadequacy and impossibility in translation. These three notions exist in translation not independently, but at one and the same time, in the same translation by the same translator. The translated utterance may simultaneously show difference, inadequacy and impossibility.

As in the case of every human endeavor, in translation "perfection" is illusive. Its weaknesses are obvious to all; its glamour shines over the ruins of more vivid masterpieces; and its existence is a shadowy world of estrangement. Its promise is great; its baseline is necessity; and its excuse is ignorance. Like moving the Pantheon to Paris, or keeping a camel in a London zoo, having a Translated

which touch on essential Islamic culture and on matters of "faith".

2. The reasons behind offering a new interpretation for a complete text, or a part of it, are many. The suggested theoretical discussion of this aspect is the linguistic "inadequacy" of existing translations.

3. The translations of the present examples show a variety of techniques and strategies including borrowing the Arabic lexical root and adding information in order to delimit the concept being translated and help explain it.

4. Different translations of the same SL utterance are given by the same translator in the same Sura of the Quran. The verse in Table 1 is translated in one way at the beginning of the Sura and in another way in the body of the text (See Fatma-Zaida 1861).

5. The examples studied in this paper bring out the difficulties faced by the translators of religious texts. These difficulties poise the argument toward the impossibility of translating certain concepts which are deeply rooted in the culture and the collective subconscious of the SL community. The question of the impossibility of translating the Quran has been voiced in the past and recently as has been said earlier in section 2 of this paper. The present paper is a linguistic study which leaves religious debate outside its concern, and investigates the linguistic aspects of the impossibility of translation.

6. The examples in tables 1 and 2 illustrate the strong tendency to follow established conventions set by previous translators. They show the evolution of a subculture (i. e. professional blueprint) peculiar to the translators of The Quran into European languages, a subculture which needs to be fully investigated.

7. The brief discussion of the current examples stresses the need for developing new methodologies based on a new approach to the

In relation to the second question, we observe that the translations of The Quran into European languages emerged with the rise of the vernaculars in Europe. These translations have since the sixteenth century been conditioned by the fortunes of national (linguistic) scholarship in Italian, German, French, and Anglo-Saxon societies. All these developments in European Modern Languages have come at the expense of what was until the fifteenth century the common language of European scholarship, Latin. It is hoped that our large-scale project will enrich our understanding of the phenomenon of translation in general, and the translations used in this corpus in particular.

Concerning the third question, however, more work is needed before linguistic adequacy can properly be tested and evaluated. This is also true to the fourth question about the possibility of obtaining an acceptable translation of The Quran, since this question cannot, of course, be answered by the study of a few examples. Still, these examples provide a glimpse of the precariousness of the translator's world and the estrangement of the LT. Finally, is it desirable to have a standard, "ideal", translation of The Quran? The answer from the Muslims' point of view may be no. This is partly because of the precedence of the Indonesian translation which has helped, according to Uthman (1992), to sever the relation between the 150 million Muslims of Indonesia and the rest of the Islamic world. The problems arising from text appropriation via translation cannot but have negative consequences on translation as a whole.

Thirdly, in relation to the translation of "بسم الله الرحمن الرحيم" and the utterances from the first Sura from The Quran, we can summarize the discussion in the following points.

1. The translations of the Quranic utterances in Tables 1 and 2 show difference at the linguistic level, and they passe questions

building up, the texture of this new verbal entity, which we call the TT, with its difference from and its independence of other texts in the SL and the TL. The study of the TTs, and ultimately the LT, should refine the methods which show how texture globally produces the TT (top-down) and locally makes its parts (bottom-up). Texture, of course, works within the options available in the TL and required by the immediate context of the TT which may well be alien to much of what is known or expected in the TL.

The second remark pertains to a number of general questions relevant to the translation of the Quran into European languages.

1. Have the structural and textual features of these translations been studied?
2. Can these translations contribute to enhancing our knowledge about constructing the TT and its meaning in the cultural context of the LT?
3. Have these translations achieved linguistic adequacy from the viewpoint of a European reader who knows nothing of the Arabic language and culture?
4. Is it possible to obtain an acceptable translation of the Quran? Is it desirable to have a translation of the Quran independent of the original Arabic text?

In answer to the first question, as far as I know, there is a big gap in studying the translations of The Quran structurally. With the exception of the study of grammatical units in six translations of The Quran by Ilyas (1982) and a study of translating metaphors in five English translations by Zahri (1990), there is not much work. The gap is most obvious when it comes to interlingual variety studies (see the need for this level in Al-Shabab 1986), which investigate one feature in the same text-type, religious texts here, in a number of TLs, i. e. across a number of target languages.

meaning of the TT. **The study of meaning in translation should treat the TT as an independent text with its independent meaning, message and world, a text realizing an independent level of linguistic analysis, i. e. the Language of Translation, in an independent linguistic phenomenon, namely translation (see Paper Five above). The study of meaning in TTs, should take into account "local texture" (i. e. phraseology) as determined by the options available in the TL, "textual context", "text continuity" (Ellis 1978), "meaning potential" (Halliday 1978), and the status of TT in the TL in relation to other TLs.**

The last point above includes consideration of quotation, reporting, innuendoes, parody, irony and other features of intertextuality. In other words, the study of the process of formulating the TT and its meaning is not fully revealed by analysing segments. The meaning of the TT is understood when TTs are analysed as living (dynamic) organic entities. Then, the emphasis is on the process which enables the TT to function as one meaningful unit and an independent linguistic entity realizing a well-recognized part of the TL, i. e. translated works, the ultimate corpus for the LT.

May be said, therefore, that, important as it is, the analytical structuralist method is not enough for the study of translation data and TTs. What is needed, in addition to the structuralist method, is to develop a constructivist approach which works from the total and dynamic meaning of the TT in the TL. This last goal is what is sought in the study of the Language of Translation (LT). **Ultimately, we should go beyond the level of segmental units and analytical processes required by the process of interpreting, in order to obtain a theoretical methodological frame that can handle the process of constructing as opposed to deconstructing meaning in the TT. This means that in addition to studying the process of interpreting via structuralist analysis, one has to consider the process of constructing the TT. In other words, one has to study the process of making, i. e.**

Arabic lexical root, or adding a periphrastic or an explanatory expression as in Fatma-Zaida (1861) who adds "juste, bon et puissant" and Kechrid (1984) who adds "par essence et par excellence" (in essence and perfection).

In those cases where the translator sets out to convey his/her own interpretation, difference is manifested not just in the translation of one utterance. The English translation by Sale (1734), Rodwell (1861) and Irving (1992), and the French translations by Fatma-Zaida (1861) and Kechrid (1984) show that difference in such translations is a general discourse strategy and a determined approach to put forward the translator's own perception of translation.

5. CONCLUDING REMARKS

Three concluding remarks may be made about the main topics of this paper. Firstly, a methodological point should be made in relation to the discussion of translating concepts. The study of the translation of concepts or vocabulary items out of context is not enough for understanding the contextual meaning of the Translated Text (TT) (see Ellis (1966) for the term "contextual meaning"). It is widely acknowledged that the meaning of a text is not merely the aggregate meaning(s) of the vocabulary items and concepts in that text. The meaning of a TT, or an utterance in it, is far more than the meaning of isolated words or aggregate of those isolated words. This criticism holds well against the segmental structuralist method and the functional semantic approach of studying transitivity as in Halliday (1967) and Al-Shabab (1996). This criticism can also be extended to the theme/rheme approach and other aspects of the structuralist approach such as word grammar and phrase grammar. Not even the study of overall text structuring as suggested by Widdowson (1978) or Swales (1990) or cohesion as suggested by Hallidday and Hasan (1976) would be enough for grasping the

of the text as in Hilali and Khan's "(Mankind, Jinns, and all that exist)" to explain the loanword "Alamîn", or the explanation can appear in the form of a footnote which is a wide practice. Fourthly and finally, the translator can opt for the ultimate resort in translation, namely translation by default, in which case the Arabic word is used as a loanword. The four options attested in the translations in Tables 1 and 2, clearly show the presence of difference. Moreover, they definitely point to dissatisfaction with the translations carried out prior to the current one.

Surely, we cannot discuss, with a reasonable degree of certainty, the reasons behind a new interpretation by studying a few examples. But we can still identify certain linguistic processes employed by the translators, and we can speculate about the motivation which helps bring about a new interpretation. The movement from translating the Arabic word "الله" by using a TL lexical root, to translating it by using a loanword, suggests that the translator is not satisfied with the resultant translation in which the TL native root is used. It was noticed earlier that this dissatisfaction was expressed by Fatma-Zaida (1861) and followed by Blachère (1957) and by others. It was also seen that Fatma-Zaida's translation adds a number of French words to render the meaning of the two Arabic attributes of "الله". This is also found in a number of other translations including Hilali and Khan's English translation (1993). The cause of dissatisfaction could be the failure of the "meaning" of the European lexical items to evoke the range of features characterizing and delimiting the Arabic concept. It is known to anyone versed in Arabic that the features characterizing the meaning of the Arabic word for deity in Islam are well attested in the Quran as ninety-nine definite semantic features, with a specific semantic value (signifier) for each feature. It is no wonder, therefore, to find the translator pondering whether to use a TL lexical item, or surrender to translation by default, i. e. using the

"univers"; English uses "creatures", "worlds", "universe", and the loanword "Alamîn"; German uses "Welt", Welten" and "aller Geschopse"; Italian uses "universo" and "mondi"; Spanish uses "universo" and "mundos"; Russian uses, мірвъ

This shows clearly that there is no agreement on one lexical item. But, it is clear as well that the Latin translations have set the convention of using a derivation from the lexical roots "universitatis" and "Domino", which is followed in most translations. However, there is room for adding explanatory remarks as in Sale's translation, which uses "all creatures", or borrowing the Arabic word as in Hilali and Khan's translation, which uses "Alamîn".

The translation of the second utterance also shows differences. But all of them use words which belong to the semantic field of "king", "ruler", " sovereign" "master", "ruling" or "owner". The main two alternatives are "king" and "ruler/ruling". The translation of the third utterance in Table 2 reinforces the feeling that difference works within a limited set of options. Latin uses "semitæ"(a narrow way), and "uiam" (road). All translations into modern European languages follow suite: French: chemin, voie and sentier, English: way, road and path, German: weg, Italian: Sentiero, Spanish: sendero and camino, and Russian: путемъ .

At the lexical level, the translations of the four utterances in Tables 1 and 2 provide a sketch of a regular pattern in handling the translation of concepts. The set of options open to the translator includes the following. Firstly, the translator can adopt the convention set by Latin by using a latinized derivation as "universe" in English, or he can use a native word translating the Latin, as the English "World" to translate the Latin "domino" Secondly, a new word can be suggested to translate the concept at hand as in Irving *et. al*'s "Day for repayment" instead of "the Day of Judgment". Thirdly, an explanatory note can be used in the body

Table 2: Translation of three utterances from the first Sura of the Quran into seven European languages(1)

١ - رب العالمين ٢ - مالك يوم الدين ٣ - الصراط المستقيم			
Language	**Translator**	**year**	**Translation**
German	Paret	1983	1. dem Herrn der Menschen in aller Welt 2. der am Tag des Gerichts regiert! 3. Den geraden Weg
Italian	Calza	1847	1. padrone dell'universo 2. Sovrano il giorno della retribuzione 3. nel sentiere retto
Italian	Bonelli	1987	1. il Signore dei mondi 2. Il padrone del giorno del Giudizio. 3. il retto sentiero
*Spanish	De la Puebla	1872	1. señor del universo 2. Soberano en el dia de la retribucion 3. el sendero recto
Spanish	Vernet	1980 (1993)	1. Señor de los mundos 2. Rey del Día del Juicio 3. al camino recto
*Russian		1878	
Russian	Ahmedi Sect	No Date	

*The asterisk(*) indicates that the translation is the first into the TL(2)

*(KFS) is an acronym for King Fahd Society for Printing and translating the Holy Quran

The translations of the first utterance show differences: the first Latin translation uses "uniuersitatis" and "domino"; the second Latin translation uses "domino"; French uses "mondes" and

Table 2: Translation of three utterances from the first Sura of the Quran into seven European languages(1)

١- رب العالمين ٢- مالك يوم الدين ٣- الصراط المستقيم			
Language	**Translator**	**year**	**Translation**
English	Arberry	1955	1. the Lord of all Being 2. the Master of the Day of Doom. 3. The straight path
English	KFS	1990	1. The Cherisher and Sustainer of the Worlds 2. Master of the Day of Judgment 3. the straight way
English	Irving et. Al.	1979 1992	1. Lord of the Universe 2. Ruler on the Day for Repayment 3. the Straight Road
English	Hilali & Khan	1993	1. the Lord of the "Alamîn" (Mankind. Jinns, and all that exists) 2. The Only Owner (and the Only Ruling Judge) of the Day of Recompense (i.e. the Day of Resurrection) 3. the straight way
*German	Schwei- ggern	1623	1. der grschffung 2. unden welchen das erste gewesen ist ein geder 3. der
German	Megerlin	1772	1. Dem herrn aller Geschöpse 2. Dem könig des Tags des Gerichts 3. den richtigen weeg
German	Rückert	1888	1. der herr der Welten 2. Der Rönig Des Gerichtstags 3. den weg den graden

Table 2: Translation of three utterances from the first Sura of the Quran into seven European languages(1)

١- رب العالمين
٢- مالك يوم الدين
٣- الصراط المستقيم

Language	Translator	year	Translation
French	Blachère	1957 (1980)	1. Seigneur des Mondes 2. Souverain du Jour du Jugement! 3. La voie droite
French	Kechrid	1984	1. Seigneur-et-Maître des univers 2. Roi du jour de la rétribution 3. Le droit chemin
French	Hamza	1989	1. Maître des mondes 2. Maître du jour de la rétribution. 3. La bonne voie
French	KFS	1990	1. Seigneur de l'univers 2. Maître du Jour de la rétribution 3. Le droit chemin
French	Ben Mahmoud	No date	1. Le maître des mondes 2. SOUVERAIN au jour du jugement dernier. 3. Le droit chemin
*English (from French)	Anony-mous	1649	1. [not translated] 2. King of the Day of Judgment 3. the right way
*English (from Arabic)	Sale	1734	1. the Lord of all creatures 2. the king of the day of judgment 3. the right way
English	Rodwell	1861	1. Lord of the worlds 2. King on the day of reckoning 3. the straight path

Table 2: Translation of three utterances from the first Sura of the Quran into seven European languages(1)

١ - رب العالمين
٢ - مالك يوم الدين
٣ - الصراط المستقيم

Language	Translator	Year	Translation
*Latin	Retenensis and Dalmati	1143 1543	a. 1. Uniuersitatis creatori 2. cuius postrema dies expectat 3. semitæq (donum & dogma) b. 1. Domino uniuersitatis 2. iudici diei iudicij 3. uiam rectam c. 1. Regi seculorum 2. regi diei iudicij 3. punctum rectum
Latin	Marracci	1698	1. Domino Mundorum 2. Regnanti diei Judicii. 3. Viam rectam ١٧٢١ Edition 1. Domino Mundorum (creaturarum) 2. Regi Diei judicii 3. viam rectam
*French	Du Ryer	1647	1. [not translated] 2. Roy du iour du Iugement 3. Droict chemin
French	Savary	1783	1. Souverain des mondes 2. Le roi du jour de jugement 3. le sentier du falut
French	Fatma-Zaida	1861	1. maitre de l'univers 2. Souverain au jour de la rétribution: Roi de tout ce qui exite, a existé et existera! 3. La voie droite de l'Islam

TL native lexical roots. Thus, the Romance group makes use of the lexical roots "Miseratoris/Misiricordis"; while German uses "Barmherssigen/ gädigen", and English uses "Mercy/Grace", and finally Russian uses "6m oct ba o". Some translations add one or more lexical items to the basic lexical root(s). Fatma-Zaida's French translation (1861) adds "Clement, juste, bon et puissant". Rodwell's English translation (1861) adds "Compassionate", and Hilali and Khan's translation (1993) adds "Beneficent".

The present example shows clearly that the same Arabic utterance has received different treatment by different translators across TLs and within the same TL. Difference is, therefore, well documented here. But it is noticed that there is an opposite trend in the direction of using what is available from previous translations, i. e. following a convention. A great effort seems to be exerted in producing the first translation, the pre-dictionary translation (see Al-Shabab 1996, pp. 49-52). But afterwards, the translator is torn by a conflict between using the set convention, which may have gained currency, acceptability and, maybe, respectability, and producing his/her version based on his/her own interpretation of the ST utterance. This latter course will produce and explain the difference, and the risk of producing a new "weak" or "trivial" translation.

To check whether the differences found in the utterance discussed above are peculiar to this utterance or whether they can be taken as a pointer to a regular practice, three utterances from the first Sura, al-Fatiha (The Opening), have been selected for study (Table 2).

translations of The Quran are chronologically studied, they show close affinities. The first Italian and French translations were made from Arabic with the help of the first Latin translation (see Arrivabene 1548 for the Italian Translation, and du Ryer 1647 for the French Translation). The first German translation was made from the first Italian (see Schweiggern 1623), and the first English was made from the first French (See The first English translation 1649). We also know that the second Latin translation by Marracci (1698) was motivated by dissatisfaction with the first Latin translation by Retenensis and Dalmati [helped by an Arab by the name of Mohamed] in (A.D.1143) and published in (1543).

If we examine the translations of the name of "الله" (the Muslim deity) in Tables 1 and 2 above, we find that the lexical roots in the early translations coincide with the three groups of European languages. Thus, the Romance group uses the lexical Latin root "Die", the Germanic group uses the root "Gotte", and the Slavonic uses the root "6o a".

From the above, we notice that there was a trend to translate the word "الله" by using a TL native word. In the nineteenth century, an important change occurred in the French translation carried out by the first (Turkish) Muslim - and the only woman - translator Fatma-Zaida (1861). In this translation, the Arabic word "الله" is borrowed and presented as a transliteration using the TL native script "Allah". Thus, Fatma-Zaida set an example which was followed by Blachère (1957) in his famous French translation, by Hilali and Khan in their English translation (1993) and by the Ahamdi Sect in the Russian translation (see Table 1 above). A number of other translations into European languages including German translations follow this practice.

Moving to the translations of the two attributes of the name in the verse (see Table 1 above), it is found that they are rendered in the

Table 1: Translation of "بسم الله الرحمن الرحيم"

بسم الله الرحمن الرحيم			
Language	**Translator**	**year**	**Translation**
Italian	Bonelli	1987	Nel nome di **Dio**, Misericordioso e compassionevole.
*Spanish	De la Puebla	1872	En nombre de **Dios** clemente y misericordioso.
Spanish	Vernet	1980 (1993)	En el nombre de **Dios**, el Clemente. el Misericordioso.
*Russian	C YK O	1878	**Во мя Бога, милостиваго, милосердаго.**
Russian	Ahmedi Sect	No Date	**Во имя Аллаха, Милостивого, Милосердного.**

*The asterisk (*) indicates that the translation is the first into the TL

*(KFS) is an acronym for King Fahd Society for Printing and translating the Holy Quran

The examination of the translations in Table 1 makes it readily clear that the sounds – the way the translation is orally produced – are peculiar in each language. It is also readily clear that the grammatical structure of each TL is different from the SL grammatical structure and from other TLs' grammatical structures. Still, we can notice the presence of the prepositional phrase in all translations, as well as in the Source Text (ST).

The seven TLs fall in three groups: (1) the Romance group: Latin, French, Italian and Spanish; (2) the Germanic group: German and English; and (3) the Slavonic group: Russian. If all European

Table 1: Translation of "بسم الله الرحمن الرحيم"

بسم الله الرحمن الرحيم			
Language	**Translator**	**year**	**Translation**
*English	Anony-mous	1649	In the name of **God**. gracious and merciful.
*English	Sale	1734	In the name of the Most Merciful **God**.
English	Rodwell	1861	In the name of **God**. the Compassionate, the Merciful.
English	Arberry	1955	In the name of **God**. the Merciful. the Compassionate.
English	KFS	1990	In the name of **Allah**. Most Gracious. Most Merciful.
English	Irving	1979 1992	In the name of **God**. the Mercy-giving. the Merciful!
English	Hilali & Khan	1993	In the name of **Allah**. The Most Beneficent. the Most Merciful
*German	Schwei-ggern	1623	Im Namen des barmherssigen gutigen **Gottes**.
German	Megerlin	1772	Im Nahmen **Gottes** des Barmherzigsten Liebhabers.
German	Rückert	1888	Im Namen **Gottes** des Allbarmherzigen Erbarmers.
German	Paret	1983	Im Namen des barmherzigen und gnädigen **Gottes**.
Italian	Calza	1847	In nome di **Dio** clemente e misericordioso.

word "الله" (the word for deity in Islam), and italic letters are used for writing the two words which describe "Him"

Table 1: Translation of "بسم الله الرحمن الرحيم"

بسم الله الرحمن الرحيم			
Language	**Translator**	**year**	**Translation**
Latin*	Retenensis and Dalmati	1143 1543	1. [No translation] 2. In nomine **Die** *misericordis, miseratoris.* 3. In nomine **Die** *misericordis, pij.* 4. In nomine **Domini** *pij and misericordis.*
Latin	Marracci	1698	In nomine **Dei** Miseratoris. Misericordis
French*	Du Ryer	1647	Au Nom de **Dieu** clement & misericordieux.
French	Savary	1783	Au nom de **Dieu** clément & miséricordieux
French	Fatma-Zaida	1861	Au nom d'**Allah** clément et misericordieux, juste, bon et puissant!
French	Blachère	1957 1980	Au nom d'**Allah,** le Bienfaiteur miséricordieux.
French	Kechrid	1984	Au nom de **Dieu** le Miséricordieux par essence et par excellence.
French	Hamza	1989	De par le nom de **Dieu**, Tout-Miséricordieux, Tout-Compatissant.
French	KFS	1990	Au nom d'**Allah**, le Tout Miséricordieux, le Très Miséricordieux.
French	Ben Mahmoud	No date	Au nom de **Dieu**, le clément et qui manifeste sa clémence.

4. The project studies features of creativity and features of following a convention in the subculture created by the translators of The Quran into those seven languages.
5. The project aims also at discovering the techniques and strategies employed by the translators who contributed to this vast unique corpus.
6. The project studies the role-played by these translations, individually and collectively, in the context of European culture. It studies the success and failure of this role from the viewpoint of Arabic-Islamic culture, and the extent to which these translations have harmed or fulfilled their religious, cultural and linguistic purposes.

4 - THE TRANSLATION OF FOUR QURANIC UTTERANCES INTO EUROPEAN LANGUAGES

In this section, four verses from the Quran are taken and their translations into seven European languages are studied. The translations include the first translation into the TL and the translations carried out at long intervals. The verses are taken from the first Sura, "The Opening" of The Quran, and the first verse is repeated at the beginning of each Sura (Chapter) of the Quran. The first Sura, which is recited by every Muslim in Arabic in every prayer, is widely used and its meaning is widely sought by non-Arab Muslims. Table 1 below shows the verse in Arabic and its twenty-seven translations into seven European languages.

In Table 1, the translation of the Arabic Quranic verse "بسم الله الرحمن الرحيم" is in the first column to the right. This is followed by the year of publication in the second column, and then the translator's name in the third column, and the TL in the fourth. In the translation, bold type is used for the translation of the Arabic

is also impossible to obtain reliable results before analyzing a reasonable amount of data derived from a wide enough sample.

The original project makes use of an extended corpus of more than forty translations into seven European languages, and to this extent it belongs to corpus oriented translation research. From each of the European languages, the corpus includes the first translation. It also includes certain translations, which consciously "reform" previous translations or set out to produce, from their point of view, "different" translations. Fatma-Zaida's French translation (1861) is a case in point.

The collection of the data for the original project has been in progress for few years. However, much work is needed to read translations printed hundreds of years ago. This is particularly true to the first Latin translation and the older German translations due to the characters used in printing and the development of these languages. The main aims of this project can be summarized in the following points.

1. The project studies aspects of interpretation and difference in the translations of the Quran into seven European languages, since the first Latin translation (A.D.1143) up to the present day.

2. The project investigates the hypothesis, which states that the language of translation is different from the SL and the TL, and studies aspects of inadequacy and aspects of impossibility of translating certain parts of the corpus. (For the study of the language of translation see Al-Shabab 1996, pp. 59- 60.)

3. The project tries to discover new linguistic dimensions of the language of translation, and to devise appropriate methods for this purpose.

translation must be elevated from a passing remark and an impressionistic judgement as used by Copeland (1991), to become a theoretical designate in a comprehensive hermeneutic theory of translation seeking to explain difference (i. e. the presence of differences) in verbal interpretation (i. e. any process of translation). Inadequacy will also explain the practice and persistent need to produce new translations of the same work, as in the case of The Bible or Shakespeare, into the same TL. By accounting for difference in translation, the notion of "inadequacy" would shed light on interpretation, as theory and process. But at the same time, it would shed light on certain aspects of the phenomenon of translation left unexplained by the concept of difference. However, there is not ample room here to elaborate on various aspects of "inadequacy" in translation.

A brief mention should be made here of what may be considered the ultimate question in relation to translation, namely, "the impossibility of translation". It should be said at this point that The Quran has evoked the issue of impossibility in the past by Al-Jahez within Arabic rhetoric, and recently by Al-Safi (1991) within Islamic theology. But the impossibility of translating the Quran has not, to my knowledge, been studied within the frame of the twentieth century linguistics. This ultimate question will be attempted in the final stage of our project, which studies the translations of The Quran into European languages.

3 - THE QURAN AND ITS TRANSLATION INTO UROPEAN LANGUAGES: A LINGUISTIC APPROACH

This paper represents a rudimentary step in a larger project, which aims at studying the translation of the Quran into seven European languages. The linguistic data used in the project are taken from a large number of translations. Still it is not possible to include all translations into those languages, and selection should be made. It

seem to have consciously been carried out for reasons and purposes different from previous translations into the same TL.

2 - THEORETICAL FRAME

The present work will use the theoretical frame suggested in this book in which a specific linguistic level for the Language of Translation is hypothesized (see Paper Five above). Therefore, the present paper concentrates on the study of the Language of Translation (LT) as a new language independent of the SL and the TL. Hence, the first step is to study translation data in order to discover any difference(s) from the Source Text (SL) and a comparable TL text. Features of difference are studied in translations (i. e. TTs) across languages (i. e. a number of TLs, e. g. Latin, French, English, etc.) and in the same TL, e. g. English or French. (For the study of difference in translation, see "Translating with Difference: Theory and Practice" by Al-Shabab, in O. S. Al-Shabab and F. Baka (eds.): *Linguistic Applications: Teaching English in Arabic Context*, 1997, pp. 83-165.)

Since difference in translation stems from difference in interpretation, the investigation of translation differences amounts to investigating the differences in interpretation (see Al-Shabab 1996, pp. 37-42). Interpretation, which is the essence of translation, is taken here to necessarily presuppose difference. Therefore, the presence of difference in translation renders any discussion of "equivalence" null and void (cf. Catford 1965). "Any theory of translation, therefore, should aim at explaining and incorporating difference, rather than chasing the mirage of 'equivalence' via constructed formulae and short-winded instances." (Al-Shabab 1997, p 106). This naturally leads us to designate a theoretical status to "inadequacy" in translation as a concept which evolves around the pivot of "difference", and which has the potential of explaining it (i. e. explaining difference). "Inadequacy" in

1 - The discussion of any aspect of the Holy Quran will necessarily touch on all the intellectual and scholarly issues of Arabic culture (See: *The Make-Up of the Arabic Mind,* M. A. Al-Jabiri 1993). No one, except a biased or ignorant person, would deny the great role of the Quranic text in the making of Arabic scholarship and culture. The attempts to translate this text have linguistic and cultural dimensions which must be closely studied, since, doubtlessly, no other Arabic text has been, repeatedly, translated into so many languages. Nor has the translation of any other Arabic text in the past or today provoked so much controversy. In addition to this and despite its peculiarities (i. e. specificity) and the multitude of cultural and religious controversies its translation has provoked, this text provides the best source of translation data which enables us to study a wide variety of questions posed by translation.

The present paper aims at (1) testing the hypothesis which states that the language of translation is different from the Target Language (TL) and the Source Language (SL), (2) examining the adequacy of the Translations of The Quran into European Languages, and (3) illustrating some cultural aspects of these translations. This paper presents a brief account which is an embryonic stage of a large-scale project, in an attempt to outline the writer's theoretical and methodological background in the field of translation studies.

However, the present paper remains a linguistic study, leaving non-linguistic issues, important as they may be, outside its current concern. Our data come from translations of The Quran into seven European languages: Latin, French, Italian, Spanish, German, English and Russian. Naturally, only certain translations into each of these languages are selected for study, since tens of translations into one European language, e. g. English, exist. Our examples are selected from translations which have been produced at different periods of time of the TL. We also try to include translations which

Aspects of the language of translation in the translations of the Holy Quran into European Languages

Dr. Omar Sheikh Al-Shabab
King Faisal University

Abstract

The role of the Quran in establishing the foundations of the Arabic language and culture is widely acknowledged (see Al-Jabri 1992). The translation of this text has received more attention than any other text in Arabic.

The present paper studies some linguistic and cultural aspects of the translation of the Quran into seven European languages starting from the first Latin translation (1143) and including Italian, German, French, English, Spanish and Russian. The theoretical frame on which the paper is based has been suggested in Al-Shabab (1996). This frame hypothesizes the presence of difference. The paper also touches on the topics of inadequacy and impossibility of translation.

The research has shown significant differences in the corpus used (28 translations into seven European languages). Some of the differences are between translations across language. Others are found between translations within the same target language. This work is a step in a large-scale project which is currently undertaken by the researcher to investigate and evaluate the features of the language of translation and the translators' strategies as they appear in this important corpus.

Développement des Banques de Données Urbaines en France

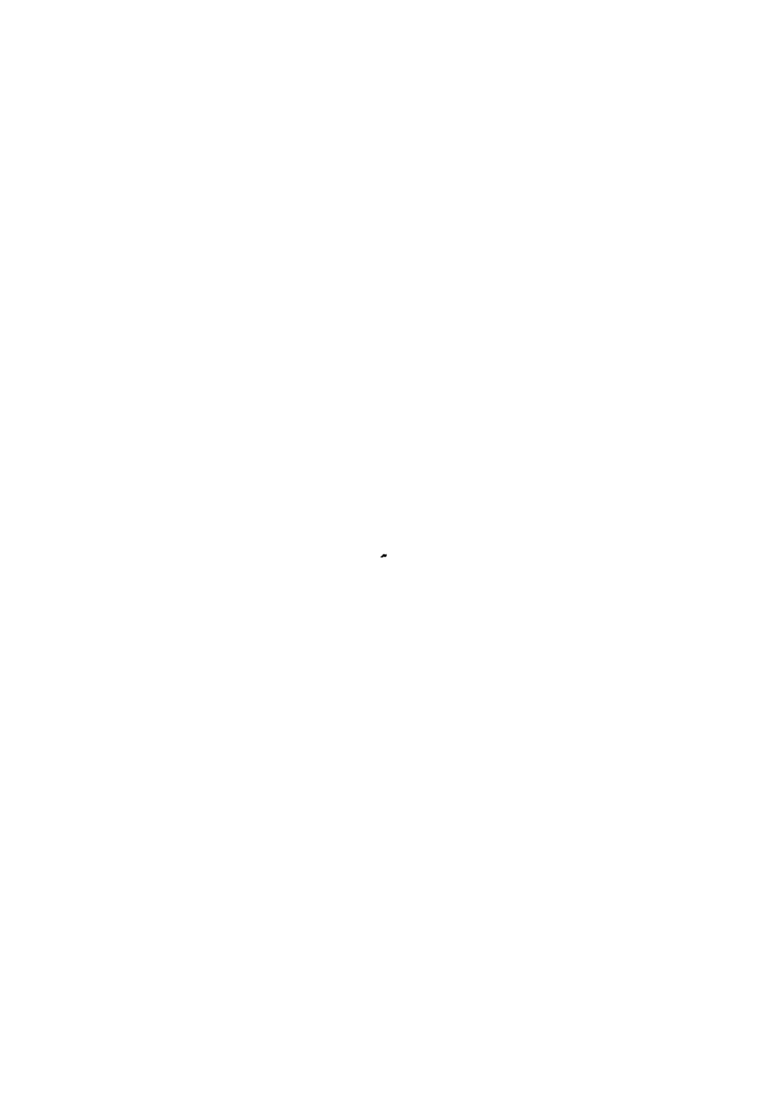
Dr. Faical Koumach
Faculté de letters
Départment de Geographique
Université de Damas

Résume

Cet article s'appuie sur des iterviews réalisées auprés des responsables des banques de données urbaines implantéess dans quelques collectivités locales françaises. leurs réflexions nous permettront de mieux comprendre le contenu de la notion de banque de données urbaines, l'évolution de ces derniéres depuis leurs débuts,et la réalité qu'elles recouvrent. La B.D.U actuelle est composée de toutes les données qui décrivent la ville et tutes les interventions qu'elle subit. ellee contient égalment des outils pour assurer la cochérence et pour gérer la localisation des données.

MOTS-CLES:
banques de données urbaines, base de données, données localisées, graphiques, fichiers administratifs, de gestion et statistiques, SGBD, information géographique, systéme d'information, SIG, planification, gestion urbaine.

L'article en Arab, Veuller, consulter, Les Pages (٢٥٨ ـ ٢٤٣)



Sources of Stress in Job among Kuwaiti and Non - Kuwaiti Teachers

Dr. Awied Sultan Al-Mashaan
Department of Psychology – College of Social Sciences
Kuwait University

Abstract

The present study aims at investigating sources of stress in job among Kuwaiti and Non - Kuwaiti teachers who work in the State of Kuwait. The sample of the study comprises (745) male and female teachers. (377 Male teachers, 368 Female teachers, 363 of them are Kuwaiti teachers and 382 non-Kuwaiti teachers).

The results of the study shows that there were significant differences between the two sub - samples in sources of job stress. That is, Kuwaiti teachers reported that they had more job stress. Also, there were sex-related differences, that is, female teachers were more sensitive to job stress than their male peers.

However, there were no significant differences in job stress as to both age groups and length of experience in the job with the exception of job distress, in which the age group (45 + years) was exposed to more job stress than the other age groups. As regards the role ambiguity and difficulties in time management the age group (25-34 years) and the category of experience in the job (5-9 years) were more susceptible to stress in their jobs in comparison with the other age and experience groups.

For the paper in Arabic language see the pages (٢٤١ _ ٢٠٣)

Islamic economic system and democratic measures supported by civil society institutions.

For the paper in Arabic language see the pages (٢٠١ ــ ١٣٥)

The Question of Arab Unity:
An Exploratory Study of Opinion Leaders' Attitudes in Jordan

Dr. Ghazi H. Sawa
Department of Sociology
Faculty of Humanities and Social Sciences
University of Jordan

Khalid M. Suliman
Center for Strategic Studies
University of Jordan

Abstract

This study investigated the attitudes of Jordanian opinion leaders towards the question of Arab unity. Data were collected through a questionnaire which was distributed, during the spring of 1998, to a stratified sample of 245 individuals representing seven categories of opinion leaders in the Jordanian society, Data were analyzed using descriptive statistical procedures (i.e. frequency and percentage distributions) to define the responses to each item in the questionnaire. Results indicated that the majority of respondents tend to believe in the idea of Arab unity given its extremely significant linkage to Arab revivalism in the various spheres. However, respondents pointed to some of the obstacles encountering the realization of Arab unity, including the absence of democracy, refusal of some Arab regimes, and the conspiracies of some foreign powers. To overcome such obstacles, several mechanisms were suggested, most notably the actual implementation of democracy, raising the national awareness of the Arab masses, and activating the role of joint Arab institutions. Most respondents also supported an Arab-Islamic identity with a federal unitary. nature that would gradually be accomplished in no longer than two decades. This Arab unity would rest on an



Hypocrisy and Hypocrites in The Holy Qur,an

Dr. Amyymah Baddr Eddeen
Department of Arabic Language
Faculty of Letters
Damascus University

Abstract

This research is about hypocrisy and hypocrites in the Holy Qoran.
Hypocrisy is one of the Islamic terms, which bears a new meaning and which was not known before the establishment of Islam. Whenever it appears in the Holy Qoran the term "hypocrites" refers to the action of expressing faith and hiding the disbelief.
This was done by a group of people from Al Madinah and others who allied themselves with the Jewish and trained themselves on methods of using tricks and deceiving Muslims in an attempt to threaten the newly -born Islamic state in Al-Madinah Al-unawarah.
Because of the danger of this group of this future and unity of Muslims, God flight them and reveals a lot of their conspiracies and shows their qualities in many verses in Al-Quran which warn Muslims from against hypocrisy and encourage them to find out hypocrites.
In spite of these injurious positions, the prophet Mohammed pace be upon him, followed the policy of lenience whit them in order to keep the unity of Muslims. This prophetic and wise policy had a great affection the coming back of many of them to Islam.
Contemplating the wonderful scenes which the holy Quran has shown in describing this group offers something new to those who want to search and study the subjects of holy Quran.

For the paper in Arab language see the pages (١٢٤ _ ٨٩)



The effect of varying the number of true and false alternatives in multiple true-false tests on its psychometric properties

Dr. Yousef Sawalmeh
Dr. Ahmad Qawasmeh
Department of Curricula
Faculty of Education
Yarmouk University

Abstract

The purpose of the study was to investigate the effect of the distribution of the number of true and false alternatives in multiple true and false tests on its psychometric properties. The sample of the study is composed of (238) male and female students enrolled in two courses (EP: 362, EP: 351) offered at Yarmouk University. The instruments of the study in every course are composed of two tests made by the course instructor: The first test involved 20 Multiple choice(MC) items, and the second test involved 20 multiple true-false tests (MTF) items, Three forms of the MTF test were constructed. The forms differ only in the distribution of true and false items. In this regard, Form I is composed of 20 items of the type (2T, 2F); Form II is composed of 10 items of the type (1T, 3F) and 10 items of the type (3T, IF); and Form III is composed of 5 items of the type (i T, 3 F), 10 items of the type (2T, 2F), and 5 items of the type (3T, IF). Each Form was administered randomly to one third of the students in the course and Reliability and validity evidence were established in the two courses. The results indicated that there is a significant difference in reliability in favor. of Form III.

For the paper in Arabic language see the pages (٨٨ ـ ٦١)

demise of the influence of Discourse and narrative forms. These factors, along with other political, economic, social ones have affected Arabic Media language resulting in a distinctive Arabic Media character throughout the various historical periods.

The first characteristic of this Media language is its flimsy informative aspect. This can be measured by apply the Entrophy theory to representative patterns of Arabic Media language (examples available in annexes).

The second characteristic is the existence of a dysfunction between the language, which is based on monism and false harmony, and the semantic nature of its source (society). Umberto Eco provides an accurate simple theory that can be applied to pattern of Arabic Media language in order to identify the points of dysfunction and their aspects.

As a result of these two characteristics the research goes further in order to identify the several aspects of the dysfunction which are:

1- The monologue aspect of the current Arabic Media language, its exclusivity and its refusal of the "other", in addition to its coded fetishism that is a direct result of the fixed prohibitions in a mobile variable world. This is what makes Arabic Media language, with very few exceptions, non-economical and wasteful.

2- Moreover there are other dysfunctional aspects in the form and content of Arabic Media language that are the direct consequences of the dysfunction of form and which in turn, contribute in deepening the dysfunction of content.

The outcome of this research stresses the necessity of civil society, with all its communities including the elite, in order to release Arabic Media language from its malfunctions, and to replace it in the process of current civilization.

For the paper in Arabic language see the pages (٩-٥٩)

Content-Dialectic and form in Arabic Media Language: between Heritage and Current Communications Requirements

Dr. Ferial Mhanna
Department of Journalism
Faculty of Letters
Damascus University

Abstract

Arabic Media language has been reviewed throughout history. As far back as Pre-Islamic (Jahilia) times poetry and rhetoric, the two Media instruments, have played an effective communicative role. However, during the Prophecy period, the influence of poetry declined due to the emergence of the Holy Qoran and Sunna that brought about great changes in the Media language. Consequently, during the Prophecy period, Media language depended solely on Qoran verses and the Prophet, s (God's Blessing and Peace be upon Him) Hadith in the operation of establishing a new society based on monotheism.

Rhetoric remained an important Media instrument during the Orthodox Caliph's era. However, during the Omayyad Caliphate, poetry regained its pubic importance; and it formed via its political content a Media instrument along with narrative forms (stories) in the establishment of political hegemony.

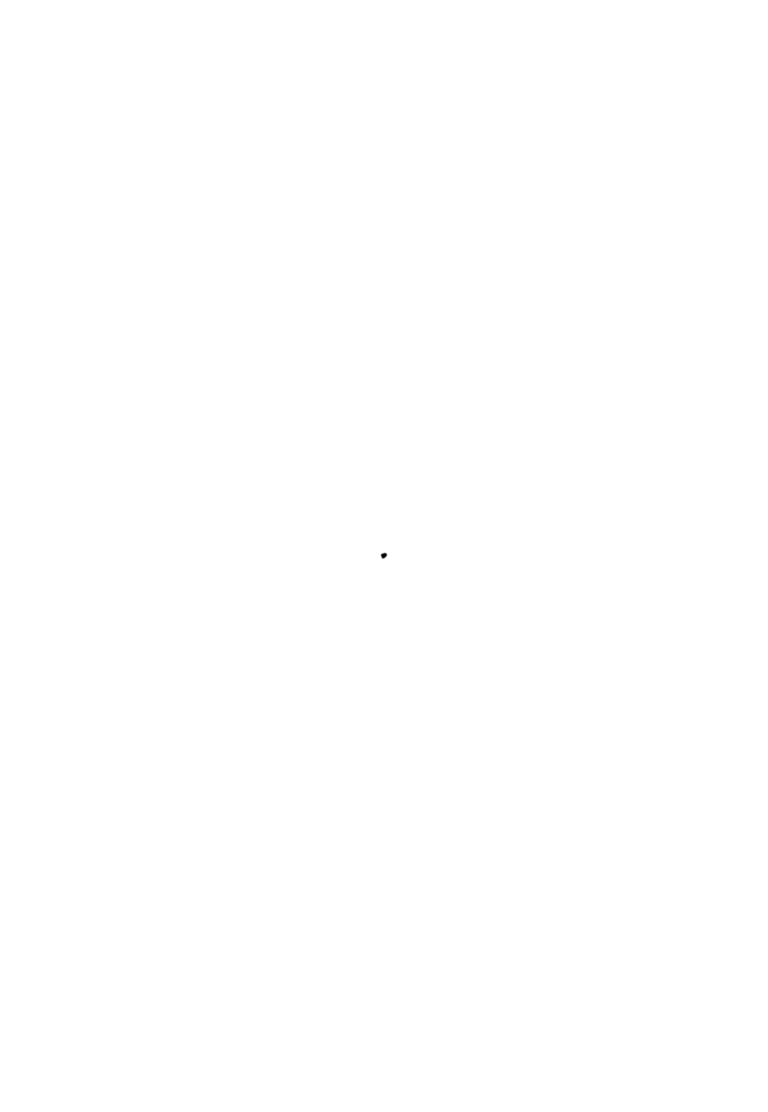
During the Abbasi Caliphate, another Media instrument emerged which is that or Discourse (Al Munazzaraat). However, poetry, rhetoric and narrative forms remained effective Media instruments.

This subject research attempts to explain the repercussions of the continuity of the influence of poetry and rhetoric upon the modern Arabic Media and the



CONTENTS

♦ **Content-Dialectic and form in Arabic Media Language.**	Dr. Ferial Mhanna	7
♦ **The effect of varying the number of true and false alternatives in multiple true-false tests on its psychometric properties.**	Dr. Yousef Sawalmeh Dr. Ahmad Qawasmeh	9
♦ **Hypocrisy and Hypocrites in The Holy Qur'an.**	Dr. Amyymah Baddr-Eddeen	11
♦ **The Question of Arab Unity.**	Dr. Ghazi H. Sawa Khalid M. Suliman	13
♦ **Sources of Stress in Job among Kuwaiti and Non-Kuwaiti Teachers.**	Dr. Awied Sultan Al-Mashaan	15
♦ **Développement des Banques de Données Urbaines en France**	Dr Faical Koumach.	17
♦ **Aspects of the language of translation in the translations of the Holy Quran into European Languages.**	Dr. Omar Sheikh Al-Shbab	19
♦ **Semanticity, Pragmaticity, and Translatability of Jokes in North Jordan.**	Dr. Abdullah Shunnaq	51



DAMASCUS UNIVERSITY

JOURNAL

FOR THE ARTS AND HUMAN AND EDUCATIONAL SCIENCES



A Refereed Research Journal

VOL. 16 – NO. 1- 2000





